بداية الهداية

لحجة الإسلام الإمام

أبي حامد الغزالي

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

عبد الحميد محمد الدرويش

دار صادر

بيروت

بداية الهداية

الطبعة الأولى
1998

تأسست سنة ١٨٦٣

COPYRIGHT © DAR SADER Publishers
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

دار صادر للطباعة والنشر
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

Tel & Fax (+961) 04.920978 / 04.922714 / 01.448827 هاتف وفاكس

مقدمة المحقق

الحمد لله ذي الطول والآلاء، وصلى الله على سيد المرسلين والأنبياء، وعلى آله وصحبه الأتقياء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن معالجة النفوس أمرٌ لا بُدَّ منه للإنسان، الذي يشبه المملكة، التي تحتاج إلى إصلاحٍ وإعمارٍ، لكي ترتقي بها إلى أعلى المستويات، فكيف يكون ذلك: أيكون إعمارها باتباعنا الأساليب الملتوية التي تلهينا عن أوامر الخالق؟ أم بانحرافنا عن الجادة التي خطها لنا ربنا في كتابه المجيد، ونبيه المصطفى الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه.

فإذا أردنا إعمار مملكتنا بالفطرة الإنسانية التي فطرنا الله عليها، فيجب علينا أن نهذب مملكتنا ـ أي: نفسنا ـ الأمارة بالسوء، وذلك بوضعها على الطريق السليم، والمنهج القويم، باتباع أوامر مَلِكِ المملكة وسيدها الرب العظيم، ورئيس مملكته النبي الأمين، والإنتهاء عما نهى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عنهما.

ونعمل جاهدين بأن لا يكون لشيطان المملكة المتمثل بالنفس التأثير البالغ علينا، بأن ننحرف عن الجادة، فإذا أطعناه ندمنا وكان بوارنا، وإذا انفككنا عنه كان فوزنا وفلاحنا، فهو جادٌّ بإغوائنا، قال تعالى على لسانه: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾. خص جميع أفراد الإنسانية، لكن هل إغواؤه يكون للناس أجمعين؟ لا، لأنه قال: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾.

فإذاً هو جادٌّ لإغوائنا وإغواء المملكة التي جهد الإنسان في إعمارها والترقي بها ورفع مستواها، ليكون نتيجةً لذلك في الآخرة من الذين قال عنهم رب العالمين: ﴿نار وقودها الناس والحجارة﴾.

فإني إن أردت إعمار مملكتي، فإنني أعمرها بكباح جماح نفسي، وإرضاخها لأوامر المولى تبارك وتعالى، وبجعل شيطان مملكتي مبعداً عنها، لكي لا يوسوس لها بالهروب من منفاه والعودة إلى المملكة للفتك بها وبإفسادها، وبانحرافها عن الطريق القويم.

فتهذيب نفسي هو أساس مملكتي، وهو عمودها وذروة سنامها.

فبلزومنا طاعات ربنا، وبُعدنا عن وسواس شيطاننا، تعمر النفوس، وترتقي.

فإنني إذا أردت اليوم متابعة مملكة الآخرين لوجدت أن المسلم اليوم في جميع أنحاء المعمورة قد أصبح مقهوراً مستذلاً من قبل شيطان الكفر والإباحية، فبعد أن كنا متبوعين أصبحنا تابعين.

لماذا أصبح واقعنا هكذا؟ وقد كنا سادات العالم قروناً، نمدهم بحضارتنا، وبقيمنا، وبأخلاقنا، فكانوا يحتذون حذونا في معاملاتهم.

أهو من مغريات الدنيا التي انكببنا عليها، أم من أنانية الذات، أم من تركنا الكتاب والسنة اللذين هما عصمة أمرنا، فإن استقمنا عليهما سعدنا وأفلحنا.

لقد تهاونا في ديننا فضعنا، لقد تهاونا بالذي إن تمسكنا بهما فلا نضل أبداً.

لقد اتبعنا دول الغرب الذين هدموا الأخلاق وأشاعوا المنكرات، وأنكروا الفضيلة، ها هم اليوم يخططون من وراء الكواليس إلى إزالة عقدة نفسية في صدورهم اسمها: القرآن الكريم وسنة النبي العظيم.

فهم يعلمون أن الحق والصدق هو بهذا الكتاب المنير، الذي ينير البصائر، ويدفع الوساوس، لكن شيطان مملكتهم أغواهم وأضلهم عن الجادة الصحيحة، إلا ما رحم الله، فمنهم من أبعد شيطانه ونفاه عن مملكته ليصبح نقياً طاهراً سليم الفطرة، بعودته إلى الصراط المستقيم، لكنهم قوبلوا بالعداوة من قبل أعداء الإسلام، لأن شيطانهم اللعين قد أغوى نفوسهم فاتبعوه منقادين لوساوسه وأهوائه.

وإننا اليوم لنشاهد بأعيننا فساد شبابنا وفتياتنا، وانحرافهم عن الطريقة السليمة باتباعهم الغرب بأقوالهم وأعمالهم وتصرفاتهم، فقد جعلوهم القدوة والمثل، ونسوا أن قدوتنا ومثلنا

الأعلى هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، النبي الكريم الذي زرع في قلوب أصحابه والأجيال المتلاحقة حب الكتاب والسنة والسير عن نهجهما لكي يفلحوا في الدنيا والآخرة، لقد هذب أنفسهم بأن راضهم في بستان القرآن وأهله، في مزرعة الطاعات واجتناب المعاصي، بتركهم حظيرة الكفر، فكانوا قدوة بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم اهتدت بهم الأمم والشعوب بأخلاقهم وتصرفاتهم وأحوال معاشهم.

حذارِ حذارِ أخي الشاب المسلم من أساليب الإغواء التي تقدم بأثوابٍ براقة وفيها يكمن الخطر. فإذا أردت أخي المسلم أن تعود إلى الصفاء والنقاء فعليك بالكتاب والسنة وبتهذيب نفسك، وإنني أقدم لك كتاباً يكون سبيلاً لك في تهذيب نفسك هو: **بداية الهداية** لحجة الإسلام الإمام الغزالي الذي راض نفسه وجاهدها، وطرد شيطان الرعونة، ولبس زيَّ الأتقياء، فأنتج لنا زبدة مصنفاته في هذه الرسالة التي هي بحق بدايةٌ للمبتدي بوضعه على بداية الطريق للرجوع السليم إلى الجادة، فبالعمل بمضمونه تصلح مملكتك، وترتقي نفسك، وترتفع همتك إلى الاستزادة من هذا المحيط الذي لا ينفد.

فهذه رسالة **بداية الهداية** ترسِّخُ أعمدة بناء المملكة وتقوِّمُ أساسها.

هي رسالة إذا طالعها القارىء وجدها صغيرة الحجم، كبيرة الفائدة، تصل الماضي بالحاضر بالمستقبل؛ مليئة بالفوائد والكنوز التي بين صفحاته وأسطرها، مليئة بما يرجعك إلى الطريقة الحقة، والنور المبين، مليئة بلؤلؤٍ وضاء، يريدك فقط أن تنهل من معارفه وعلومه لتردي شيطانك وبال أمره الذي أقسم بإغوائنا، لكنك بمجاهدته تقذف به إلى القاع فلا يستطيع أن يقربك ويوسوس لك.

فأصلح مملكتك، وخف على رعيتك - التي هي أعضاء جسمك - من النار، فإنك مسؤول عنها يوم المعاد، فلا تبطش بيدك ظلماً ولا تأكل بها المال الحرام، ولا تمش برجلك إلى المساوىء والأقذار، ولا تنظر بعينك إلى المحرمات فتدخل النار، ولا تتكلم بسوءٍ فتهويه سبعين خريفاً في نار السموم، واحفظ فرجك عن الزنا كي لا يكون سبباً في دخولك نار الجحيم المقيم.

رحم الله مؤلف هذه الرسالة، وأدخله الجنة، وحشره وإيانا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

كما أنني أشكر فضيلة العلامة الشيخ، الناقد عبد الله محمَّد الدرويش الذي زرع فيَّ حبَّ متابعة الطريق في سبيل العلم، وحثني عليه في مجال تحقيق التراث الإسلامي، فيسر لي ما أحتاج إليه من مصادر ومراجع تعينني على عملي هذا من خلال مكتبته العامرة المليئة بالمصنفات القديمة والحديثة، ونبهني إلى الأخطاء كي أستدركها وأصححها. فجزاهُ الله عنا كل خير، وجعل هذا العمل في صحيفته يوم القيامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق: خادم العلم الشريف

١٩ صفر ١٤١٩هـ. عبد الحميد محمَّد الدرويش

١٤ حزيران ١٩٩٨م

التعريف بكتاب بداية الهداية

هو كتابٌ قلما يستغني عنه عالمٌ أو متعلم، فهو أول ما يعطى لطالب العلم الشرعي كي يروض نفسه لتحمل مشاق الطريق، ويزكي نفسه بمتابعة رئيس المملكة والأصحاب والتابعين وتابعي التابعين، فيكفي نفسه مؤونه تحفظه إلى أن يلج قبره الذي هو صندوق عمله في الدنيا، معبرة إلى الآخرة ليحاسب بما علم وعمل.

فقد اعتنى به العلماء قديماً وحديثاً ودرس في المعاهد الشرعية والإسلامية للطلبة والمريدين أمثال جامع الأزهر الشريف، وجوامع أخرى في جميع مدن العالم الإسلامي.

وقد قسمه مصنفه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في الطاعات.

القسم الثاني: في اجتناب المعاصي.

القسم الثالث: القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق سبحانه والخلق.

فهو جامعٌ بحق لحفظ النفس ولغوائلها، وصون الأعضاء وحفظها، وإتمام الأخلاق وصيانتها.

وهو من الكتب التي صحح العلماء نسبته إليه، ومما يثبت صحة نسبة هذا الكتاب لمؤلفه:

١- الإحالات التي أشار فيها المصنف لمؤلفاته الأخرى.

٢- عزو المصنفين لهذا الكتاب ومنهم ابن الصلاح حيث قال:

من تفردات الغزالي في **بداية الهداية** في سنة الجمعة بعدها: **أن له أن يصليها ركعتين، وأربعاً، وستاً، قال: فأبعد في ست وشذ**[1].

---

(١) - نقله ابن السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة المؤلف: (٦/٢٨٧).

٣- العبارات التي نقلت من الكتاب ممن بعده من أمثال الحافظ الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (١٩/٣٣٨) قال:

أخبرنا محمد بن عبد الكريم، أخبرنا أبو الحسن السخاوي، أخبرنا حطئبا بن قمرية الصوفي، أخبرنا سعد بن أحمد الإسفراييني بقراءتي، أخبرنا أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الطوسي قال:

اعلم أن الدين شطران: أحدهما: ترك المناهي، والآخر فعل الطاعات، وترك المناهي هو الأشد، والطاعات يقدرُ عليها كل أحد، وترك الشهوات لا يقدرُ عليها إلا الصديقون، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه». انتهى.

وهذا النصُّ بحروفه في بداية القسم الثاني من هذا الكتاب.

ونستفيد مما نقله الحافظ الذهبي أنَّ هذا الكتاب مرويٌّ عن مؤلفه بالسند المتصل، وهذه أقوى الأدلة على صحة نسبته له.

ولأهمية الكتاب اعتنى به العلماء فشرحه:

- عبد القادر بن أحمد الفاكهي المتوفى ٩٨٢هـ.

- محمد بن عمر النووي الجاوي المتوفى سنة ١٣١٦هـ. وهو شرحٌ نفيسٌ على هذه الرسالة.

وقد وقع بين يدينا منه نسخةٌ قديمة محفوظة في مكتبة **العلامة الشيخ النَّاقد عبد الله محمَّد الدرويش** حفظه الله تعالى. وقد استفدنا منه بالملاحظات الهامة التي ستجدها في حواشي الكتاب إن شاء الله تعالى.

وترجم إلى اللغات العالمية كالإنكليزية والألمانية.

وقد طبع طبعات كثيرة بعضها جيد وكثيرٌ منها يعوزه الضبط والتحقيق.

فأحببت أن أرفده ببعض الفوائد والضبط للنص لكي يسهل على القارىء تناوله والاستفادة من معارفه ولأنال الشرف العناية بهذا السِّفر القيم.

عملي في هذه الرسالة:

١- ترجمة المصنف.

٢- ضبط النص بالشكل.

٣- إثبات الفوارق بين النسخ المطبوعة.

٤- عزو الآيات إلى أماكنها.

٥- تخريج الأحاديث من مصادرها.

٦- إضافة فصول وجدتها متتمة للكتاب موضوعة في حواشيه، منتقاة من كتاب **أدب الدنيا والدين** للإمام أبي الحسن البصري الماوردي الشافعي.

٧- وضع عنونة للأبواب بين [ ].

٨- التنبيه على أخطاء قد شذ بها الإمام الغزالي في المذهب الشافعي.

٩- تبيين الأحاديث التي انفرد بروايتها الغزالي دون غيره.

١٠- فهرس الآيات القرآنية.

١١- فهرس الأحاديث والآثار.

١٢- فهرس موضوعات الكتاب.

الإمام الغزالي في سطور

اسمه: زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي.

لماذا أطلق عليه الغزالي: قال الإمام الذهبي: قرأت بخط النوٰوي رحمه الله: قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح، وقد سئل: لم سمي الغزالي بذلك، فقال: حدثني من أثق به، عن أبي الحرم الماكسي الأديب، حدثنا أبو الثناء محمود الفرضي قال: حدثنا تاج الإسلام ابن خميس، قال لي الغزَّالي: الناس يقولون لي الغزَّالي، ولست الغزَّالي، وإنما أنا الغَزَالي منسوب إلى قرية يقال لها: غزالة، أو كما قال.

وقال الذهبي أيضاً: قولهم: الغزَّالي، والعطاردي، والخبازي، نسبة إلى الصنائع بلسان العجم، شمع ياء النسبة والصيغة

مولده: ولد في طوس سنة ٤٥٠هـ.

أخوته: للغزالي أخٌ واعظ مشهور، وهو أبو الفتوح أحمد، له قبول عظيم في الوعظ.

أولاده: قال الإمام الذهبي: و لم يُعْقِبْ إلا البنات.

مذهبه: المذهب الذي سار على نهجه هو مذهب الإمام الشافعي.

علمه: قال الذهبي: صاحب التصانيف والذكاء المفرط.

العلوم التي برع فيها:

١- الفقه.

٢- أصول الفقه.

٣- الكلام والجدل. قال أبو بكر بن العربي: شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع.

٤- المنطق.

رحلاته: لقد جال حجة الإسلام في أسقاع الأرض رحلةً في طلب العلم فقد رحل إلى: نيسابور، وبيت المقدس، وبغداد، وجرجان، والإسكندرية (مصر)، ومكة المكرمة.

شيوخه: من شيوخه الذين حصل العلم على أيديهم وصحبهم في أسفاره:

١- إمام الحرمين: أبو المعالي الجويني.

٢- نصر بن إبراهيم، وهو من الذين صحبهم إلى دمشق.

٣- أبو علي الفارمَذِي.

٤- القاضي أبو الفتح الحاكمي الطوسي.

٥- محمد بن أحمد الخواري.

٦- أبو سهل الحفصي.

٧- أبو نصر الإسماعيلي وأخذ عنه التعليقة بجرجان.

تَلاَمذته وتشجيعه لهم:

١- أبو العباس أحمد الخطيبي.

٢- أسعد الميهني.

٣- أبو بكر بن العربي.

٤- أبو الحسن علي بن المُسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي الدمشقي الشافعي الفرضي. قال الإمام الذهبي[١] : جمال الإسلام، الشيخ الإمام العالم، مفتي الشام، أبو الحسن علي بن المُسَلَّم بن محمد بن علي بن الفتح، السلمي الدمشقي الشافعي الفرضي. قال الغزالي فيما حكاه ابن عساكر أنه قال: خلَّفتُ بالشام شاباً إن عاش كان له شأن، فكان كما تفرس به، ودرس بحلقة الغزالي مدة، ثم ولي تدريس الأمينية في سنة أربع عشرة... لازم الغزالي مدة في مقامه بدمشق، وهو الذي أمره بالتصدر بعد شيخه نصر وكان يثني على علمه وفهمه.

زهده ومنهجه: أدى نظره في العلوم وممارسته لأفانين الزهديات إلى رفض الرئاسة، والإنابة إلى دار الخلود، والتأله، والإخلاص، وإصلاح النفس.

وغلب عليه الخلوة وترك التدريس، ولبس الثياب الخشنة، وتقلل في مطعومه.

المناصب التي وليها: ولاه نظام الملك تدريس نظامية بغداد.

---

(١) - سير أعلام النبلاء (١٩/٣١ - ٣٢).

ودرس في نظامية نيسابور، وكانت تعقد له حلقات في الزاوية الغربية من الجامع الأموي والتي سميت بعد ذلك بالزاوية **الغزّالية**.

شهادة العلماء له: قال ابن النجار: بلغني أن إمام الحرمين قال: **الغزالي بحرٌ مغرق**، وإلكيا أسدٌ مطرق، والخوافي نارٌ تحرق.

قال السلفي: سمعت الفقهاء يقولون: كان الجويني يقول في تلامذته إذا ناظروا: التحقيق للخوافي، **والجريان للغزالي**، والبيان للكيا.

وقال: قرأ أبو المعالي (المنخول للغزالي) فقال: دفنتني وأنا حي، فهلا صبرت الآن، كتابك غطّى على كتابي.

الاعتراضات التي عورض بها: أهم ما اعترض به عليه عدم عنايته بالحديث النبوي الشريف في بداية طلبه للعلم. ولذلك اعتنى في آخر حياته بقراءة كتب السنة فقرأ سنن أبي داوود والمولد لابن أبي عاصم ومات وصحيح البخاري على صدره رحمه الله تعالى.

مصنفاته: له الكثير من المصنفات وأهمها:

إحياء علوم الدين وأيها الولد وبداية الهداية والمنقذ من الضلال والوجيز والبسيط والوسيط في الفقه الشافعي. وتهافت الفلاسفة والمنخول والمستصفى في علم أصول الفقه.

ونسب إليه كتب ليست من تأليفه، وإنما وضعت باسمه لتروجَ. من أمثال: (المضنون به على غير أهله) كما قال ابن الصلاح.

وفاته: قال عبد الغافر الفارسي: توفي يوم الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مئة، وله خمسون سنة، ودفن بمقبرة الطابران، قصبة بلاد طوس.

مصادر ترجمته:

لقد أفرده القدماء والمحدثون بترجمات مطولة، ومن الذي أخذنا الترجمة عنهم:

- تبيين كذب المفتري لابن عساكر: ص٢٩١ - ٣٠٦.
- المنتخب من السياق لعبد الغافر الفارسي ص٧٣ - ٧٥ (١٦١).
- سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٢ - ٣٤٦.

بداية الهداية

لحجّة الإسلام الإمام

أبي حامد الغزالي

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[مُقدمة المؤلف]

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلاَّمَةُ، حُجَّةُ الإِسْلاَمِ، وَبَرَكَةُ الأَنَامِ، أَبُـوْ حَـامِدٍ مُحَمَّـدُ بْـنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيُّ الطُّوْسِيُّ، قَدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ، وَنَوَّرَ ضَرِيْحَهُ آمِيْن:

الْحَمْدُ للهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ (رَسُوْلِهِ وَعَبْدِهِ)[1]، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْحَرِيْصُ، الْمُقْبِلُ عَلَى (اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ)[2]، الْمُظْهِرُ (مِنْ نَفْسِهِ)[3] صِدْقَ الرَّغْبَةِ، وَفَرْطَ التَّعَطُّشِ إِلَيْهِ، أَنَّكَ إِنْ كُنْتَ تَقْصِدُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ الْمُنَافَسَةَ وَالْمُبَاهَاةَ، وَالتَّقَدُّمَ عَلَى الأَقْرَانِ، وَاسْتِمَالَةَ وُجُوْهِ النَّاسِ إِلَيْكَ، وَجَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا، فَأَنْتَ سَاعٍ فِي هَدْمِ دِيْنِكَ، وَهَلاَكِ نَفْسِكَ، وَبَيْعِ آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ، فَصَفْقَتُكَ خَاسِرَةٌ، وَتِجَارَتُكَ بَائِرَةٌ، وَمُعَلِّمُكَ مُعِيْنٌ لَكَ عَلَى عِصْيَانِكَ، وَشَرِيْكٌ لَكَ فِي خُسْرَانِكَ، وَهُوَ كَبَائِعِ سَيْفٍ مِنْ قَاطِعِ طَرِيْقٍ، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ أَعَانَ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، كَانَ شَرِيْكاً لَهُ فِيْهَا»**[4].

---

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – أي: الاستفادة من المعلم وفي نسخة: (اقتناص العلم) بالنون ثم الصاد، أي: اصطياد فحينئذ شبه العلم بالصيد في كون كل يحتاج إلى الحيلة والسياسة. (مراقي العبودية ص٣).

(٣) – في نسخة: (من نفسك) بالخطاب. (مراقي العبودية ص٣).

(٤) – لم أجده في مصادر التخريج بهذا اللفظ. وإنما بلفظ: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقي الله عز وجل، مكتوب بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله». أخرجه ابن ماجة (٢٦٢٠) عن أبي هريرة. بإسنادٍ ضعيف. وانظر الجامع الصغير: (٨٤٩٧) بتحقيق شيخنا. وأخرجه البيهقي في السنن

وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُكَ وَقَصْدُكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ الْهِدَايَةَ دُوْنَ مُجَرَّدِ الرِّوَايَةِ فَأَبْشِرْ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَبْسُطُ أَجْنِحَتَهَا إِذَا مَشَيْتَ، وَحِيْتَانُ الْبَحْرِ تَسْتَغْفِرُ لَكَ إِذَا سَعَيْتَ[(١)] .

وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَكَ[(٢)] أَنْ تَعْلَمَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّ الْهِدَايَةَ[(٣)] هِيَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ لَهَا بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ، وَظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَلاَ وُصُوْلَ إِلَى نِهَايَتِهَا إِلاَّ بَعْدَ إِحْكَامِ[(٤)] بِدَايَتِهَا، وَلاَ عُثُوْرَ[(٥)] عَلَى بَاطِنِهَا إِلاَّ بَعْدَ الْوُقُوْفِ عَلَى ظَاهِرِهَا[(٦)] .

الكبرى (٢٢/٨) وفيه: (مكتوب على جبهته) بدل: (مكتوب بين عينيه). وأبو نعيم في الحلية: (٧٤/٥). والزيلعي في نصب الراية: (٣٢٦/٤).

(١) – اقتبس المصنف عبارته من قوله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وَإِنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحَظٍّ وافر». أخرجه الترمذي (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء.

(٢) – قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص٤): (ولكن ينبغي) أي يطلب (لك) العبادة مع العلم وإلا كان علمك هباءً منثوراً، فإن العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فيجب عليك أولاً أن تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفات ذاته ومما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد فيه وفي صفاته شيئاً مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباءً منثوراً وذلك أن تعرف أن لك إلهاً عالماً قادراً مريداً حياً متكلماً سميعاً بصيراً منفرداً بالقدم عن كل محدث واحداً لا شريك له متصفاً بصفات الكمال منزهاً عن النقصان والزوال ودلالات الحدوث....

(٣) – أي: سلوك الطريقة إلى الله تعالى.

(٤) – أي: إثبات.

(٥) – أي: لأعلم. وفي نسخة: (لا عبور) بالباء الموحدة أي: لا مرور.

(٦) – قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص٥): ومثل بعضهم الشريعة بالسفينة والطريقة بالبحر، والحقيقة باللؤلؤ فلا يتحصل اللؤلؤ إلا من البحر ولا يتوصل إلى لجة البحر إلا بالسفينة.... قال أبو علي الدقاق: العبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخاص الخواص.

وَهَا أَنَا مُشِيرٌ عَلَيْكَ بِبِدَايَةِ الْهِدَايَةِ لِتُجَرِّبَ بِهَا نَفْسَكَ، وَتَمْتَحِنَ بِهَا قَلْبَكَ.

فَإِنْ صَادَفْتَ قَلْبَكَ إِلَيْهَا مَائِلاً، وَنَفْسَكَ بِهَا مُطَاوِعَةً وَلَهَا قَابِلَةً، فَدُونَكَ التَّطَلُّعَ[1] إِلَى النِّهَايَاتِ، وَالتَّغَلْغُلَ فِي بِحَارِ الْعُلُومِ.

وَإِنْ صَادَفْتَ قَلْبَكَ عِنْدَ مُوَاجَهَتِكَ إِيَّاهَا بِهَا مُسَوِّفاً، وَبِالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا مُمَاطِلاً؛ فَاعْلَمْ (أَيُّهَا الطَّالِبُ)[2] : أَنَّ نَفْسَكَ الْمَائِلَةَ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ هِيَ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوْءِ[3] ، وَقَدْ انْتَهَضَتْ مُطِيْعَةً لِلْشَّيْطَانِ اللَّعِيْنِ، لِيُدْلِيْكَ بِحَبْلِ غُرُوْرِهِ، فَيَسْتَدْرِجُكَ بِمَكِيْدَتِهِ إِلَى غَمْرَةِ الْهَلاَكِ[4] ، وَقَصْدُهُ أَنْ يُرَوِّجَ عَلَيْكَ الشَّرَّ فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ حَتَّى يُلْحِقَكَ ﴿بِالأَخْسَرِيْنَ أَعْمَالاً[5] ، الَّذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعاً﴾[الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]. وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتْلُو عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَضْلَ الْعِلْمِ وَدَرَجَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمَا وَرَدَ فِيْهِ مِنَ الأَخْبَارِ وَالآثَارِ[6] ، وَيُلْهِيكَ عَنْ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنِ ازْدَادَ عِلْماً وَلَمْ يَزْدَدْ هُدَىً لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلاَّ بُعْداً»[7] .

---

(١) - في المطبوع: (والتطلع).

(٢) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) - قال تعالى: ﴿إن النفس لأمارةٌ بالسوء﴾[يوسف: ٥٣].

(٤) - أي: شدته.

(٥) - أي: الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً فنالوا هلاكاً.

(٦) - وهي أقوال الصحابة والتابعين. قال الربيع: العلماء سرج الأزمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل زمانه. (مراقي العبودية ص٥).

(٧) - أخرجه الديلمي في الفردوس (٥٨٨٧) عن علي بن أبي طالب بلفظ: «من ازداد علماً و لم يزدد في الدنيا زهداً لم يزدد من الله عز وجل إلا بعداً». وأورده السيوطي في الجامع الصغير (٨٤٢٣) بإسناد ضعيف جداً. بتحقيق شيخنا. وأورده العجلوني في كشف الخفاء: (٢٤٠٢) وقال:... وقال السخاوي: وفي لفظ: «ثم ازداد للدنيا حباً ازداد من الله غضباً». وانظره أيضاً في إتحاف السادة المتقين: (١٢٣/٣ و٤٤٧/٨). والدرر المنتثرة: (١٤٥). وكنز العمال: (٢٩٠١٦). ومختصر المقاصد الحسنة: (٩٩٣).

وَعَنْ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ**»[1] .

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعْ، وَقَلْبٍ لاَ يَخْشَعْ، وَعَمَلٍ لاَ يُرْفَعُ، وَدُعَاءٍ لاَ يُسْمَعْ**»[2] .

وَعَنْ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيْضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلاَ نَأْتِيْهِ، وَنَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَنَأْتِيْهِ**»[3] .

فَإِيَّاكَ يَا مِسْكِيْنُ أَنْ تُذْعِنَ لِتَزْوِيْرِهِ، (فَيُدْلِيْكَ)[4] بِحَبْلِ غُرُوْرِهِ، فَوَيْلٌ لِلْجَاهِلِ حَيْثُ لَمْ يَتَعَلَّمْ مَرَّةً وَاحِدَةً. وَوَيْلٌ لِلْعَالِمِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا عَلِمَ أَلْفَ مَرَّةٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ[5] النَّاسَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ[6] عَلَى ثَلاَثَةِ أَحْوَالٍ:

---

(١) – أخرجه الطبراني في الصغير (٥٠٨). والبيهقي في الشعب: (١٧٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) – أخرجه أحمد (٣/٢٥٥) عن أنس رضي الله عنه. وفيه: (قول لا يسمع) بدل: (دعاء لا يسمع). وأخرجه الحاكم (١/١٠٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) – أخرج أحمد (٣/١٨٠) رقم (١٢٨٥٦) عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مررت ليلةَ أسري بي على قوم تُقرضُ شفاههم بمقاريض من نار، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء خُطباء أمتك من أهل الدنيا، كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟».

(٤) – في نسخة: (وتدلي).

(٥) – في نسخة من المطبوع: (رحمك الله أن).

(٦) – ونذكر هنا في هذا المجال ما يكون سبباً في تقصير طالب العلم، وخير ما قيل في ذلك وجمع جميع تلك الأسباب الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص٧١ – ٧٨): ولذلك أسباب فاسدة، ودواعٍ واهية: فمنها: **أن يكون في النفس أغراضٌ تختصُّ بنوعٍ من العلم**، فيدعوه الغرضُ إلى قصد ذلك النوع، ويعدلُ عن مقدماته، كرجل يؤثر القضاء، ويتصدى للحكم، فيقصد من علم الفقه إلى أدب القاضي، وما يتعلق به من الدعوى والبينات. أو يحب الاتسام بالشهادة، فيتعلم كتاب الشهادات،

لئلا يصير موسوماً بجهل ما يعاني، فإذا أدرك ذلك ظن أنه قد حاز من العلم جُمهوره، وأدرك منه مشهوره، ولم يرَ ما بقي منه إلا غامضاً، طلبُهُ عناءٌ. وعويصاً، استخراجه فناءٌ؛ لقصور همته على ما أدرك، وانصرافها عما ترك، ولو نصح نفسه لعلم أن ما ترك أهمُّ مما أدرك؛ لأن بعض العلم مرتبط ببعضٍ، ولكل باب منه تعلُّقٌ بما قبله، ولا تقوم الأواخر إلا بأوائلها، وقد يصح قيام الأوائل بأنفسها، فيصير طلب الأواخر بترك الأوائل، تركاً للأواخر والأوائل؛ فإذاً ليس يعرى من لومٍ، وإن كان تاركُ الكُلِّ ألومَ. ومنها: **أن يحبَّ الاشتهار بالعلم، إما لتكسُّبٍ أو لتجمُّلٍ**، فيقصد من العلم ما يشتهر به؛ من مسائل الجدل، وطريق النظر، ويتعاطى علم ما اختلف فيه، دون ما اتفق عليه، ليناظر على الخلاف، وهو لا يعرفُ الوِفاقَ، ويجادل الخصوم، وهو لا يعرف مذهباً مخصوصاً.

وقد رأيت من هذه الطبقة عدداً قد تحققوا بالعلم تحقق المتكلمين، واشتهروا به اشتهار المتبحرين؛ إذا أخذوا في مناظرة الخصوم ظهر كلامهم، وإذا سئلوا عن واضح مذهبهم ضلت أفهامهم؛ حتى إنهم ليخبطون في الجواب خبط عشواء، فلا يظهر لهم صوابٌ، ولا يتقرر لهم جواب، ثم لا يرون ذلك نقصاً، إذا نمقوا في المجالس كلاماً موصوفاً، ولفقوا على المخالف حجاجاً مألوفاً، وقد جهلوا من المذاهب ما يعلمهُ المبتدىء، ويتداوله الناشىء، فهم دائماً في لغطٍ مضلٍّ، أو غلطٍ مُذلٍّ. ورأيت قوماً منهم يرون الاشتغال بالمذهب تكلفاً، والإستكثار منه تخلفاً، وحاجَّني بعضهم عليه، فقال: لأن علم حافظ المذهب مستورٌ، وعلمَ المناظر عليه مشهور. فقلت: كيف يكون علمُ حافظ المذهب مستوراً وهو سريع الجواب، كثير الصواب؟ فقال: لأنه إن لم يُسأل سكت، فلم يعرف، والمناظر إن لم يُسأل سأل فعرف. فقلت: أليس إذا سئل الحافظ فأصاب بانَ فضلهُ؟ قال: نعم. قلت: أفليس إذا سئل المناظر فأخطأ بان نقصه، وقد قيل: عند الامتحان يُكرم المرءُ أو يهان؟ فأمسك عن جوابي، لأنه إن أنكر كابر المعقول، ولو اعترف لزمته الحجة، والإمساك إذعانٌ، والسكوت رضاً، ولأن ينقاد إلى الحق أولى من أن يستفزه الباطل. وهذه طريقة من يقول: اعرفوني، وهو غير عرُوفٍ ولا معروف، وبعيد ممن لا يعرف العلم أن يعرف به. وقد قال زهير:

ومهما تكن عند امرىءٍ من خَليقةٍ   وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

ومن أسباب التقصير أيضاً: **أن يغفل عن التعلم في الصغر**، ثم يشتغل به في الكبر، فيستحي أن يبتدىء بما يبتدىء به الصغير، ويستنكف عن أن يساويه الحدث الغرير، فيبدأ بأواخر العلوم وأطرافها، ويهتم بحواشيها وأكنافها، ليتقدم على الصغير المبتدىء، ويساوي الكبير المنتهي، وهذا ممن رضي بخداع نفسه، وقنعَ بمداهنة حسه؛ لأن معقوله إن أحس، ومعقول كل ذي حسٍّ يشهد بفساد هذا التصور،

وينطقُ باختلال هذا التخيل؛ لأنه شيء لا يقوم في وهم. والجهل ما يبتدىء به المتعلم أقبحُ من جهل ما ينتهي إليه العالمُ، وقد قال الشاعر:

ترقَّ إلى صغير الأمر حتى يرقيك الصغير إلى الكبير

فتعرف بالتفكر في صغيرٍ كبيراً بعد معرفةِ الصغير

ولهذا المعنى وأشباهه كان التعلم في الصغر أحمدَ. روى مروان بن سالم، عن إسماعيل، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلُ الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر، والذي يتعلم في كبره كالذي يكتبُ على الماء». وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: قلبُ الحَدَثِ كالأراضي الخالية، ما ألقي فيها من شيءٍ قبلته. وإنما كان كذلك؛ لأن الصغير أفرغُ قلباً، وأقل شغلاً، وأيسرُ تبذلاً، وأكثر تواضعاً. وقد قيل في منثور الحكم: المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً. فأما أن يكون الصغير أضبطَ من الكبير إذا عَرِيَ من هذه الموانع، وأوعى منه إذا خلا من هذه القواطع، فلا. حُكي أن الأحنف بن قيس سمع رجلاً يقول: التعلُّم في الصغر كالنقش على الحجر. فقال الأحنف: الكبير أكثر عقلاً، ولكنه أشغلُ قلباً. ولعمري لقد فحصَ الأحنف عن المعنى وبينه، ونبه على العلة، لأن قواطع الكبير كثيرة؛ فمنها ما ذكرنا من الاستحياء. وقد قيل في منثور الحكم: من رَقَّ وجهه رقَّ علمه. وقال الخليل بن أحمد: يرتع الجهلُ بين الحياء والكبر في العلم. ومنها: **وفورُ شهواته، وتقسم أفكاره**. وقد قال الشاعر:

صرفُ الهوى عن ذي الهوى عزيز إن الهوى ليس له تمييزُ

ومنها: **الطَّوارقُ المزعجة، والهموم المذهلة**؛ وقد قيل في منثور الحكم: الهمُّ قيد الحواس. وقال بعض البلغاء: من بلغَ أشُده، لاقى من العيش أشده. ومنها: **كثرة اشتغاله وترادف أحواله**، حتى إنها لتستوعب زمانه، وتستنفدُ أيامه، فإذا كان ذا رئاسةٍ ألهته، وإن كان ذا معيشة قطعته، ولذلك قيل: تفقهوا قبل أن تسودوا. وقال بُزرجمهر: الشغل مجهدة، والفراغ مفسدة. فينبغي لطالب العلم ألا يَنِيَ في طلبه، وينتهز الفرصة به، فربما شح الزمان بما سمح، وضنَّ بما منح ويبتدىء من العلم بأوله، ويأتيه من مدخله، ولا يتشاغل بطلب مالا يضر جهله، فيمنعه ذلك من إدراك مالا يسعهُ جهله، فإن لكل علم فضولاً مذهلة، وشذوراً مشغلة، إن صرف إليها نفسه قطعته عما هو أهم منها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العلمُ أكثرُ من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه. وقال المأمون: ما لم يكن من العلم بارعاً، فبطون الصحف أولى به من قلوب الرجال. وقال بعض الحكماء: بتركِ مالا يعنيك تدرك ما يعنيك. ولا ينبغي أن يدعوه ذلك إلى ترك ما استصعب عليه، إشعاراً لنفسه أن ذلك من فضول علمه، وإعذاراً لها في ترك الاشتغال به؛ فإن ذلك مطية النوكَى، وعذرُ المقصرين،

١- رَجُلٌ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَتَّخِذَهُ زَادَهُ إِلَى الْمَعَادِ، وَلَمْ يَقْصُدْ بِهِ إِلاَّ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، فَهَذَا مِنَ الْفَائِزِيْنَ(١) .

٢- وَرَجُلٌ طَلَبَهُ لِيَسْتَعِيْنَ بِهِ عَلَى حَيَاتِهِ الْعَاجِلَةِ، وَيَنَالَ بِهِ الْعِزَّ وَالْجَاهَ وَالْمَالَ، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ، مُسْتَشْعِرٌ فِي قَلْبِهِ رَكَاكَةَ حَالِهِ، وَخِسَّةَ مَقْصَدِهِ(٢) ، فَهَذَا مِنَ الْمُخَاطِرِيْنَ فَإِنْ

ومن أخذ من العلم ما تسهل، وترك منه ما تعذر، كان كالقناص، إذا امتنع عليه الصيد تركه، فلا يرجع إلا خائباً، إذ ليس يرى الصيد إلا ممتنعاً، كذلك العلم: طلبه صعبٌ على من جهله، سهل على من علمه؛ لأن معانيه التي يتوصل إليها مستودعة في كلام مترجمٍ عنها، وكل كلام مستعملٍ فهو يجمعُ لفظاً مسموعاً، ومعنًى مفهوماً؛ فاللفظ كلامٌ يعقل بالسمع، والمعنى تحت اللفظ يُفهم بالقلب. وقد قال بعض الحكماء: العلوم مطالعها من ثلاثة أوجه: قلب مفكر، ولسان معبِّر، وبيان مصور؛ فإذا عقل الكلام بسمعه فهم معانيه بقلبه، وإذا فهم المعاني، سقطت عنه كُلفةُ استخراجها، وبقي عليه معاناة حفظها واستقرارها؛ لأن المعاني شوارد تضل بالإغفال، والعلوم وحشية تنفر بالإرسال، فإذا حفظها بعد الفهم أنست، وإذا ذاكر بها بعد الأنس رست. وقد قال بعض الحكماء: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينسَ ما علمَ، واستفاد ما لم يعلم. وقال الشاعر:

إذا لم يُذاكر ذو العلوم بعلمه ... ولم يستفد علماً نسي ما تعلما

فكم جامع للكتب في كل مذهب ... يزيدُ مع الأيام في جمعه عمى

(١) - أي: الناجين من عذاب الله تعالى اللاحقين بالخير. وعلامة عالم الآخرة وهي: عدم طلب الدنيا بالعلم وكون قصده بالإشتغال بالعلوم نيل سعادة الآخرة فيكون معتنياً بعلم الباطن سائساً لقلبه بمجاهدة النفس وكون اعتماده في العلوم على اتباع صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله. وعلامة عدم طلب الدنيا بالعلم، أن يكون أول عامل بالأمر ومجتنب للنهي وأن يكون مجتنباً ترفه مطعم ومسكن وملبس وأن يكون منعزلاً منقبضاً عن مخالطة السلطان إلا النصح له أو لرد مظالم إلى أربابها أو للشفاعة في مرضاة الله تعالى وأن لا يكون مسارعاً إلى الفتاوى كأن يدل على من هو أعلم منه. (مراقي العبودية ص٦).

(٢) - أي: مقصوده.

عَاجَلَهُ أَجَلُهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ خِيفَ عَلَيْهِ مِنْ سُوْءِ الْخَاتِمَةِ، وَأَضَافَ إِلَى الْعِلْمِ الْعَمَلَ، وَتَدَارَكَ مَا فَرَّطَ فِيْهِ مِنَ الْخَلَلِ، الْتَحَقَ بِالْفَائِزِيْنَ، فَإِنَّ: «التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»[1].

٣- وَرَجُلٌ ثَالِثٌ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَاتَّخَذَ عِلْمَهُ ذَرِيْعَةً إِلَى التَّكَاثُرِ بِالْمَالِ، وَالتَّفَاخُرِ بِالْجَاهِ، وَالتَّعَزُّزِ بِكَثْرَةِ الأَتْبَاعِ، (وَ)[2] يَدْخُلُ بِعِلْمِهِ[3] كُلَّ مَدْخَلٍ، رَجَاءَ أَنْ يَقْضِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَطَرَهُ[4]، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُضْمِرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ عِنْدَ اللهِ (بِمَكَانَةٍ)[5] لاتِّسَامِهِ (بِسِيْمَةِ)[6] الْعُلَمَاءِ، وَتَرَسُّمِهِ بِرُسُوْمِهِمْ[7] فِي الزِّيِّ وَالْمَنْطِقِ، مَعَ تَكَالُبِهِ عَلَى الدُّنْيَا ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَهَذَا مِنَ الْهَالِكِيْنَ، وَمِنَ الْحَمْقَى الْمَغْرُوْرِيْنَ.

إِذِ الرَّجَاءُ مُنْقَطِعٌ عَنْ تَوْبَتِهِ لِظَنِّهِ أَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِيْنَ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَالاَ تَفْعَلُوْنَ﴾[الصف: ٢]. وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ فِيْهِمْ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا مِنْ غَيْرِ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَّالِ»، فَقِيْلَ: (وَ)[8] مَا هُوَ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ فَقَالَ: «عُلَمَاءُ السُّوْءِ»[9]، وَهَذَا لأَنَّ الدَّجَّالَ غَايَتُهُ الإِضْلاَلُ.

---

(١) - أخرجه ابن ماجة (٤٢٥٠) والبيهقي في السنن الكبرى: (١٠/١٥٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) - أي: يمكر بعلمه مكراً كثيراً قال تعالى: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾[النحل: ٩٤].

(٤) - أي: حاجته.

(٥) - في نسخة: (بمكان). قال الإمام محمد نووي الجاوي (ص٧): قال شيخنا يوسف السنبلاويني: أي: عظامة وارتفاع وهو مصدر مكن بضم الكاف كذا في المصباح وذكر الجوهري في فصل الكاف أن المكانة بمعنى المنزلة وهو من كان وفي فصل الميم بمعنى الاستقامة وهو من مكن.

(٦) - في نسخة: (بسمة).

(٧) - أي: بصورتهم.

(٨) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٩) - أخرج أحمد (٥/١٤٥) رقم (٢١٣٥٤) عن أبي ذر قال: كنت أمشي مع رسول صلى الله عليه وسلم فقال: «لغير الدجال أخوفني على أمتي» قالها ثلاثاً، قال: قلت: يا رسول الله، ما هذا الذي

وَمِثْلُ هَذَا: الْعَالِمُ وَإِنْ صَرَفَ النَّاسَ عَنِ الدُّنْيَا بِلِسَانِهِ وَمَقَالِهِ، فَهُوَ دَاعٍ لَهُمْ إِلَيْهَا بِأَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَلِسَانُ الْحَالِ (أَنْطَقُ)[1] مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ، وَطِبَاعُ النَّاسِ إِلَى (الْمُسَاعَدَةِ)[2] فِي الأَعْمَالِ أَمْيَلُ (إِلَيْهَا مِنَ)[3] الْمُتَابَعَةِ فِي الأَقْوَالِ.

فَمَا أَفْسَدَهُ هَذَا الْمَغْرُوْرُ بِأَعْمَالِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْلَحَهُ بِأَقْوَالِهِ، إِذْ لاَ يَسْتَجْرِىءُ الْجَاهِلُ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ باسْتِجْرَاءِ الْعُلَمَاءِ، فَقَدْ صَارَ عِلْمُهُ سَبَباً لِجُرْأَةِ عِبَادِ اللهِ عَلَى مَعَاصِيْهِ، وَنَفْسُهُ الْجَاهِلَةُ مُدِلَّةٌ[4] مَعَ ذَلِكَ تُمَنِّيْهِ[5] وَتُرَجِّيْهِ[6] ، وَتَدْعُوْهُ إِلَى أَنْ يَمُنَّ عَلَى اللهِ بِعِلْمِهِ، وَتُخَيِّلَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيْرٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ.

فَكُنْ أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنَ الْفَرِيْقِ الأَوَّلِ. وَاحْذَرْ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْفَرِيْقِ الثَّانِي، فَكَمْ[7] مِنْ مُسَوِّفٍ عَاجَلَهُ الأَجَلُ قَبْلَ التَّوْبَةِ فَخَسِرَ[8] .

غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: «أئمة مضلين». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢١٢): رواه أحمد، وفيه: ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

وأخرج الطبراني في الكبير (٧٦٥٣) عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لست أخافُ على أمتي جوعاً يقتلهم ولا عدواً يجتاحهم ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلين، إن أطاعوهم فتنوهم، وإن عصوهم قتلوهم». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢١٨): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه. وقال شيخنا في تحقيقه للمجمع: وكل رجاله مترجمون، وفيه: عبد الله بن رجاء الشامي، قال أبو حاتم: مجهول. وأبو عبد الله مريح: وثقه ابن حبان وباقي رجاله ثقات.

(١) – في نسخة: (أفصح). أي: أوضح.

(٢) – في نسخة: (المساهمة).

(٣) – في نسخة: (منها إلى).

(٤) – والمدلة: بضم الميم وكسر الدال من أدل بهمزة الصيرورة كما في الصحاح ومعنى ذلك: أن النفس صارت دلالا، أي: ملاعبة مع صاحبها. (مراقي العبودية ص٨).

(٥) – أي: تأمره النفس بأن يتمنى ما بعد حصوله كالجنة والثواب العظيم.

(٦) – أي: تأمره نفسه بأن يترجى ما سهل حصوله كالمال وكثرة الأتباع.

(٧) – الفاء للتعليل، أي: لأن كثيراً.

(٨) – أي: ضل وهلك. ويجوز بالحاء المهملة بمعنى: حزن وندم في الآخرة فلم ينفعه الندم.

وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَرِيْقِ الثَّالِثِ، فَتَهْلِكَ هَلاَكاً لاَ يُرْجَى مَعَهُ فَلاَحُكَ، وَلاَ يُنْتَظَرُ صَلاَحُكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا **بِدَايَةُ الْهِدَايَةِ** لأُجَرِّبَ بِهَا نَفْسِي؟

فَاعْلَمْ: أَنَّ **بِدَايَتَهَا** ظَاهِرَةُ التَّقْوَى، **وَنِهَايَتَهَا** بَاطِنَةُ التَّقْوَى. فَلاَ عَاقِبَةَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى، وَلاَ هِدَايَةَ إِلاَّ لِلْمُتَّقِيْنَ.

وَالتَّقْوَى: عِبَارَةٌ عَنِ امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيْهِ، فَهُمَا قِسْمَانِ:

وَهَا أَنَا أُشِيْرُ عَلَيْكَ (بِجُمَلٍ)[١] مُخْتَصَرَةٍ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ التَّقْوَى فِي الْقِسْمَيْنِ جَمِيْعاً. (وَأُلْحِقُ بِهِ قِسْماً ثَالِثاً لِيَصِيْرَ هَذَا الْكِتَابُ جَامِعاً مُغْنِياً. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ)[٢].

---

(١) - في نسخة: (بجملة).

(٢) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

القِسمُ لأوَّلُ
في الطَّاعَاتِ

اعْلَمْ: أَنَّ أَوَامِرَ اللهِ تَعَالَى: فَرَائِضُ وَنَوَافِلُ.

فَالْفَرْضُ: رَأْسُ الْمَالِ، وَهُوَ أَصْلُ التِّجَارَةِ، وَبِهِ تَحْصُلُ النَّجَاةُ.

وَالنَّفْلُ: هُوَ الرِّبْحُ، وَبِهِ الْفَوْزُ (بِالْدَّرَجَاتِ)[1] . قال صلى الله عليه وسلم: «**يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ، وَلاَ يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ[2] حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا[3]** ».

وَلَنْ تَصِلَ أَيُّهَا الطَّالِبُ إِلَى الْقِيَامِ بِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى، إِلاَّ بِمُرَاقَبَةِ قَلْبِكَ وَجَوَارِحِكَ، فِي لَحَظَاتِكَ وَأَنْفَاسِكَ، مِنْ حِينِ تُصْبِحُ إِلَى حِينِ تُمْسِي.

فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى ضَمِيرِكَ، وَمُشْرِفٌ عَلَى ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ، وَمُحِيطٌ بِجَمِيعِ لَحَظَاتِكَ وَخَطَرَاتِكَ وَخَطَوَاتِكَ، وَسَائِرِ سَكَنَاتِكَ وَحَرَكَاتِكَ، وَأَنَّكَ فِي

---

(١) – في نسخة: (في الدرجات).

(٢) – قال الإمام محمد نووي الجاوي (ص٨ – ٩): والمراد بالنوافل هي: النوافل الواقعة ممن أدى الفرائض لا ممن ترك شيئاً منها كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

(٣) – قال الإمام محمد نووي الجاوي (ص٩): والحاصل: أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه الله تعالى إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان فيصير يعبد الله تعالى على الحضور والشوق إليه تعالى حتى يصير مشاهداً له تعالى بعين البصيرة فكأنه يراه تعالى فحينئذ يمتلىء قلبه بمعرفته ومحبته ثم لا تزال محبته تتزايد حتى لا يبقى في قلبه غيرها فلا تستطيع جوارحه أن تنبعث إلا بموافقة ما في قلبه وهذا هو الذي يقال فيه: لم يبق في قلبه إلا الله، أي: معرفته ومحبته وذكره.

مُخَالَطَتِكَ وَخَلَوَاتِكَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ يَدَيْـهِ، فَـلاَ يَسْكُنُ فِي الْمُلْـكِ وَالْمَلَكُوْتِ سَاكِنٌ، وَلاَ يَتَحَرَّكُ مُتَحَرِّكٌ، إِلاَّ وَجَبَّارُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَـةَ الأَعْيُـنِ[1] وَمَا تُخْفِي الصُّدُوْرُ﴾[غافر: ١٩]. ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[طه: ٧].

فَتَأَدَّبْ أَيُّهَا الْمِسْكِيْنُ ظَاهِراً وَبَاطِناً بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى تَأَدُّبَ الْعَبْدِ الذَّلِيْلِ الْمُذْنِبِ فِي حَضْرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ الْقَهَّارِ.

وَاجْتَهِدْ أَنْ لاَ يَرَاكَ مَوْلاَكَ حَيْثُ نَهَاكَ، وَلاَ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَلَنْ تَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ إِلاَّ بِأَنْ تُوَزِّعَ أَوْقَاتَكَ، وَتُرَتِّبَ أَوْرَادَكَ مِنْ صَبَاحِكَ إِلَى مَسَائِكَ، فَاصْغِ إِلَى مَا يُلْقَى إِلَيْكَ مِنْ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْكَ مِنْ حِيْنِ تَسْتَيْقِظُ مِنْ مَنَامِكَ إِلَى وَقْتِ رُجُوْعِكَ إِلَى مَضْجَعِكَ.

(فَصْلٌ فِي)[2] آدَابِ الاسْتِيْقَاظِ مِنَ النَّوْمِ

فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ مِنَ النَّوْمِ، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ قَبْلَ طُلُوْعِ الْفَجْرِ، وَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا يَجْرِي عَلَى قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى، فَقُلْ عِنْدَ ذَلِكَ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُوْرُ**[3] ، **أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ، وَالْعَظَمَةُ**[4] **وَالسُّلْطَانُ للهِ، وَالْعِزَّةُ**

---

(١) – أي: خيانتها التي هي أخفى ما يقع من أفعال الظاهر وهو الإشارة بالعين كذا قاله الشربيني. ويصح أن يكون ذلك من إضافة الصفة للموصوف، أي: العين الخائنة بمسارقتها النظر إلى مالا يحل. (مراقي العبودية ص٩).

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) – أخرج البخاري (٦٣١٢ و٦٣١٤ و٦٣٢٤ و٧٣٩٤) والترمذي (٣٤١٣) وأبو داود (٥٠٤٩) عن حذيفة وعن أبي ذر رضي الله عنهما.

(٤) – أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٨) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله عز وجل،

وَالْقُدْرَةُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلاَمِ وَعَلَى كَلِمَةِ الإِخْلاَصِ وَعَلَى دِيْنِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ[1] ، اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوْتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُوْرُ[2] ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَنَعُوْذُ بِكَ أَنْ نَجْتَرِحَ فِيْهِ سُوْءاً، أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ[3] أَوْ يَجُرَّهُ أَحَدٌ إِلَيْنَا، نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ، وَخَيْرَ مَا فِيْهِ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ، وَشَرِّ مَا فِيْهِ[4] ».

والحمد لله والكبرياء والعظمة لله، والخلق والأمر والليل والنهار، وما سكن فيهما لله تعالى، اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً، وأوسطه نجاحاً، وآخره فلاحاً، يا أرحم الراحمين».

(١) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١ و٢ و٣ و٣٤٣ و٣٤٤) والدارمي (٢٦٩١) عن عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين».

(٢) - أخرجه الترمذي (٣٣٨٨) وأبو داود (٥٠٦٨) وابن ماجة (٣٨٦٨) والبخاري في الأدب المفرد (١١٩٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) - أخرج أبو داود (٥٠٧٣) عن أبي مالك قال: قالوا: يا رسول الله حدثنا بكلمة نقولها إذا أصبحنا وأمسينا واضطجعنا، فأمرهم أن يقولوا: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء والملائكة يشهدون أنك لا إله إلا أنت، فإنا نعوذُ بك من شر أنفسنا ومن شر الشيطان الرجيم وشركه، **وأن نقترف سوءاً أو نجره إلى مسلم**».

(٤) - أخرج مسلم (٢٧٢٣) والترمذي (٣٣٨٧) وأبو داود (٥٠٧١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٣ و٥٧٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك... له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ربِّ أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشرِّ ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً».

[آدابُ اللِّبَاس]

فَإِذَا لَبِسْتَ ثِيَابَكَ فَانْوِ بِهِ امْتِثَالَ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى فِي سَتْرِ عَوْرَتِكَ، وَاحْذَرْ أَنْ يَكُونَ قَصْدُكَ مِنْ لِبَاسِكَ مُرَاءَاةَ الْخَلْقِ فَتَخْسَرُ[١] .

آدَابُ دُخُوْلِ الْخَلاَءِ

فَإِذَا قَصَدْتَ بَيْتَ الْمَاءِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، فَقَدِّمْ فِي الدُّخُوْلِ رِجْلَكَ الْيُسْرَى، وَفِي الْخُرُوْجِ رِجْلَكَ الْيُمْنَى[٢] ، وَلاَ تَسْتَصْحِبْ شَيْئاً عَلَيْهِ اسْمُ اللهِ تَعَالَى وَرَسُوْلُهُ، وَلاَ تَدْخُلْ حَاسِرَ الرَّأْسِ[٣] وَلاَ حَافِيَ الْقَدَمَيْنِ.

وَقُلْ عِنْدَ الدُّخُوْلِ: «**بِسْمِ اللهِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ، الْخَبِيْثِ الْمُخْبِثِ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ**»[٤] .

وَعِنْدَ الْخُرُوْجِ: «**غُفْرَانَكَ**[٥] ، **الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي مَا يُؤْذِيني وَأَبْقَى عَلَيَّ مَا يَنْفَعُنِي**»[٦] .

---

(١) – أي: فتهلك.

(٢) – ومثل بيت الماء كل ما لبس شريفاً ولو خرج من مستقذر إلى مستقذر قدم يساره كذا أفادني الونائي. (مراقي العبودية ص١١).

(٣) – قال ابن قدامة في المغني (١/٢٢٦): ويستحب أن يغطي رأسه، لأن ذلك يروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أخرج أبو نعيم في الحلية (٢/١٨٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء غطى رأسه.

(٤) – أخرجه ابن ماجة (٢٩٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

وَيَنْبَغِي أَنْ تُعَدَّ النُّبْلُ[1] قَبْلَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَأَنْ لاَ تَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ فِي مَوْضِعِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَأَنْ تَسْتَبْرِىءَ مِنَ الْبَوْلِ بِالتَّنَحْنُحِ وَالنَّتْرِ ثَلاَثاً[2] ، وَبِإِمْرَارِ الْيَدِ الْيُسْرَى عَلَى أَسْفَلِ الْقَضِيْبِ، وَإِنْ كُنْتَ فِي الصَّحْرَاءِ فَابعُدْ عَنْ عُيُوْنِ النَّاظِرِيْنَ[3] ، وَاسْتَتِرْ بِشَيءٍ إِنْ

---

(٥) – أخرجه أحمد: (١٥٥/٦) والدارمي (٦٨٦) والبخاري في الأدب المفرد (٦٩٣) وابن ماجة (٣٠٠). والترمذي (٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٩) و(٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) – أخرج ابن ماجة (٣٠١) بإسناد ضعيف عن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال: «الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني».

(١) – قال ابن حجر في تلخيص الحبير (١١٨/١) حديث: روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الملاعن، وأعدوا النبل». عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن الشعبي مرسلاً. ورواه أبو عبيد من وجه آخر، عن الشعبي، عن من سمع النبي صلى الله عليه وسلم، وإسناده ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم في العلل من حديث سراقة مرفوعاً، وصحح أبوه وقفه.

تنبيه: قال الخطابي: والنُّبل بضم النون وفتحها وأكثر الرواة يروونها بالفتح، والضم أجود، وهي الأحجار الصغار التي يستنجى بها.

أخرج ابن أبي حاتم في علل الحديث (٣٦/١ – ٣٧) قال: سألت أبي عن حديث رواه أحمد بن ثابت فروي، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن سماك بن الفضل، عن أبي رشدين الجندي، عن سراقة بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة واتقوا مجالس اللعن والظل والماء وقارعة الطريق واستمخروا الريح واستشبوا على سوقكم وأعدوا النبل». قال أبي: أن ما يروونه موقوف وأسنده عبد الرزاق بأخرة.

(٢) – وكيفية النتر: أن يمسح يسراه من دبره إلى رأس ذكره ويعيده بلطف ليخرج ما بقي إن كان، ويكون ذلك بالإبهام والمسبحة لأنه يتمكن بهما من الإحاطة بالذكر وتضع المرأة أصابع يدها اليسرى على عانتها كذا نقله البجيرمي عن شرح الروض لشيخ الإسلام لكن المراد بالنتر هنا: مد الذكر بلطف. (مراقي العبودية ص١١).

(٣) – أخرج الترمذي (٢٠) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم حاجته، وأبعد في المذهب.

وَجَدْتَهُ[١] ، وَلاَ تَكْشِفْ عَوْرَتَكَ قَبْلَ الانْتِهَاءِ إِلَى مَوْضِعِ الْجُلُوسِ، وَلاَ تَسْتَقْبِلِ الشَّمْسَ وَلاَ الْقَمَرَ[٢] ، وَلاَ تَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلاَ تَسْتَدْبِرْهَا[٣] ، وَلاَ (تَجْلِسْ)[٤] فِي مُتَحَدَّثِ النَّاسِ[٥] ، وَلاَ تَبُلْ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ[٦] (وَتَحْتَ)[٧] الشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ[٨] ، وَلاَ فِي الْجُحْرِ[٩] ،

وأخرج النسائي (١/١٧ و١٨) عن عبد الرحمن بن أبي قراد قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلاء، فكان إذا أراد الحاجة أبعد.

(١) – أخرج مسلم (٣٤٢) عنن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه، فأسرَّ إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش نخل.

(٢) – قال الإمام النووي في المجموع (١/١٠٣): أن الحديث المستأنس به في هذا ضعيف، بل هو باطل، وأن الصحيح المشهور: أنه يكره الاستقبال دون الاستدبار.

(٣) – أخرج البخاري (١٤٤) ومسلم (٢٦٤) عن أبي أيوب الأنصاري قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط، ولكن شرقوا أو غربوا».

(٤) – في نسخة: (تبل).

(٥) – أخرج مسلم (٢٦) وأبو داود (٢٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا اللاعنين، قيل: وما اللاعنان؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم».

(٦) – أخرج النسائي (١/٣٤) عن جابر رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال في الماء الراكد.

قال الإمام النووي: وينبغي أن يحرم البول في الماء القليل جارياً أو راكداً، وفي الكثير الأولى اجتنابه.

(٧) – في نسخة: (ولا تحت).

(٨) – ذكر الهيثمي في المجمع (١٠٠٠) عن عبد الله بن عمر قال: نهر رسول الله صلى الله عليه وسل أن يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة أو على ضفة نهر جارٍ. وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير الشطر الأخير. وفيه: فرات بن السائب وهو متروك الحديث.

(٩) – وألحقوا به السَّرب بفتح السين والراء وهو الشق المستطيل، لما قيل إن ذلك مسكن الجن، وأنهم قتلوا سعد بن عبادة رضي الله عنه لما بال فيه. (مراقي العبودية ص١٢).

وَاحْذَرِ الأَرْضَ الْصُّلْبَةَ وَمَهَبَّ الْرِّيحِ[1] احْتِرَازاً مِنَ الْرَّشَاشِ[2] ، لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ**»[3] .

وَاتَّكِيءْ فِي جُلُوْسِكَ عَلَى الْرِّجْلِ الْيُسْرَى[4] ، وَلاَ تَبُلْ قَائِماً[5] إِلاَّ (عَنْ ضَرُوْرَةٍ وَاجْمَعْ فِي الاسْتِنْجَاءِ بَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْحَجَرِ وَالْمَاءِ)[6] ، فَإِذَا أَرَدْتَ الاقْتِصَارَ عَلَى أَحَدِهِمَا

---

(١) – ذكر ابن حجر العسقلاي في تلخيص الحبير (١١٧/١) عن الحضرمي رفعه: «إذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه». وقال: رواه ابن قانع، وإسناده ضعيف جداً.

وذكر أيضاً عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسل يكره البول في الهواء. وقال: رواه ابن عدي. **أقول**: وانظره في تذكرة الموضوعات لابن القيسراني (٥٥٧).

(٢) – أخرج أبو داود (٣) عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بال أحدكم فليرتد لبوله».

(٣) – أخرج الدارقطني في سننه (١٢٨/١) عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه سلم: «تنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه». وانظره في نصب الراية (١٢٨/١). وعلل الحديث (٤٢).

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠٣٣) عن معاذ بن جبل، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستنزه من البول ويأمر أصحابه بذلك، قال معاذ: إن عامة عذاب القبر منه. قال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه: رشدين بن سعد ضعفه الأكثرون، وقال أحمد: يحتمل حديثه في الرقائق، وفيه: عبد الله بن جذيم، ويقال: ابن حريث، عن معاذ و لم أر من ذكره.

(٤) – أخرج الطبراني في الكبير (٦٦٠٥) عن رجل من بني مدلج، عن أبيه قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم من عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال رجلٌ كالمستهزيء: أما علمكم كيف تخرؤون؟ قا ل: بلى، والذي بعثه باحق، لقد أمرنا أن نتوكأ على اليسرى وأن ننصب اليمنى. قال الهيثمي (١٠٢٠): رواه الطبراني في الكبير، وفيه رجل لم يسم.

أقول: قال ابن حجر في تلخيص الحبير (١١٨/١) عقبه: قال الحازمي: لا نعلم في الباب غيره. وقال في بلوغ المرام (١١١): رواه البيهقي بسند ضعيف.

(٥) – أخرج ابن ماجة (٣٠٩) عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبول قائماً.

فَالْمَاءُ أَفْضَلُ، وَإِنْ اقْتَصَرْتَ عَلَى الْحَجَرِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ ثَلاَثَةَ أَحْجَارٍ طَاهِرَةٍ مُنَشِّفَةٍ لِلْعَيْنِ تَمْسَحُ بِهَا مَحَلَّ النَّجْوِ، بِحَيْثُ لاَ تَنْتَقِلُ النَّجَاسَةُ عَنْ مَوْضِعِهَا، وَكَذَلِكَ تَمْسَحُ الْقَضِيْبَ فِي ثَلاَثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ حَجَرٍ، فَإِنْ لَمْ يَحْصَلْ الإِنْقَاءُ بِثَلاَثَةٍ، فَتَمِّمْ خَمْسَةً أَوْ سَبْعَةً، إِلَى أَنْ يُنْقَى بِالإِيْتَارِ، فَالإِيْتَارُ مُسْتَحَبٌّ، وَالإِنْقَاءُ وَاجِبٌ، وَلاَ تَسْتَنْجِ إِلاَّ بِالْيَدِ الْيُسْرَى.

وَقُلْ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الاسْتِنْجَاءِ: «**اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ، وَحَصِّنْ فَرْجِي مِنَ الْفَوَاحِشِ**»[1] . وَادْلُكْ يَدَكَ بَعْدَ تَمَامِ الاسْتِنْجَاءِ بِالأَرْضِ أَوْ بِحَائِطٍ ثُمَّ اغْسِلْهَا.

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١٥) عن عمر قال: ما بلت قائماً منذ أسلمت. قال: رواه البزار ورجاله ثقات.

وقال ابن قدامة في المغني (١/٢٢٣): وكان سعد بن إبراهيم لا يجيز شهادة من بال قائماً.

(٦) – في نسخة: (عند الضرورة).

(١) – قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/١٣٢):وقع في نسخ الإحياء عن أبي سعيد وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥/٢٦٨) دون قوله: «وفرجي من الزنا وعملي من الرياء وعيني من الخيانة». والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/٥١٤) ومشكاة المصابيح للتبريزي (٢٥٠١) وقال: رواه البيهقي في الدعوات الكبير. وانظره في الدر المنثور (٥/٣٤٩).

بَابُ

آدَابِ الْوُضُوْءِ(١)

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الاسْتِنْجَاءِ، فَلاَ تَتْرُكِ السِّوَاكَ، فَإِنَّهُ: «**مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ، وَمَسْخَطَةٌ لِلشَّيْطَانِ**»(٢) . وَ«**صَلاَةٌ بِسِوَاكٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِيْنَ صَلاَةً بِلاَ سِوَاكٍ**»(٣) .

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالْسِّوَاكِ فِي كُلِّ صَلاَةٍ**»(٤) .

---

(١) – قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص١٣): المراد بالآداب هنا المطلوبة فتشمل المندوبة والواجبة كما أفاده شيخنا عبد الحميد.

(٢) – أخرجه أحمد: (٦/١٤٦). والنسائي في سننه (٥) من حديث عائشة رضي الله عنها مقتصراً على: «السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب». وانظر تحفة الأشراف (١٦٢٧١). وابن خزيمة: (١٣٥). والدارمي: (٦٩٠).

(٣) – أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١/٣٨) عن عائشة رضي الله عنها. وذكره العجلوني في كشف الخفاء: (١٦٠٤). وقال:.. ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود بلفظ: «صلاة على أثر سواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك».

أخرج أحمد (٦/٢٧٢) وابن خزيمة: (١/١٣٧) عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفاً». قال أبو بكر: أنا استثنيت صحة هذا الخبر، لأني خائف أن يكون محمد بن إسحاق لم يسمع من محمد بن مسلم وإنما دلسه عنه.

وذكر السيوطي في الجامع الصغير (٤٤٩٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك...». وعزاه لابن النجار والديلمي في الفردوس. وهو موضوع.

وذكر الهيثمي في المجمع: (٢٥٥٤) عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فضل الصلاة بسواك على الصلاة بغير سواك سبعين صلاة». وقال: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وقد صححه الحاكم.

وَعَنْهُ صلى الله عليه وسلم: «**أُمِرْتُ بِالْسِّوَاكِ حَتَّى خَشِيْتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ**»[1] .

ثُمَّ (عِنْدَ الْفَرَاغِ)[2] اجْلِسْ لِلْوُضُوْءِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ عَلَى مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ كَي لاَ يُصِيْبَكَ الرَّشَاشُ، وَقُلْ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ**[3] ، ﴿[وَقُلْ] رَبِّ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الْشَّيَاطِيْنِ، وَأَعُوْذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوْنَ﴾[المؤمنون: ٩٧ - ٩٨]».

ثُمَّ اغْسِلْ يَدَيْكَ ثَلاَثاً قَبْلَ أَنْ تُدْخِلَهُمَا الإِنَاءَ، وَقُلْ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْيُمْنَ وَالْبَرَكَةَ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْشُّؤْمِ وَالْهَلَكَةِ**». ثُمَّ انْوِ رَفْعَ الْحَدَثِ أَوِ اسْتِبَاحَةَ الْصَّلاَةِ.

وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْزُبَ نِيَّتُكَ قَبْلَ غَسْلِ الْوَجْهِ، فَلاَ يَصِحُّ وُضُوْؤُكَ. ثُمَّ خُذْ غَرْفَةً لِفِيكَ وَتَمَضْمَضْ بِهَا ثَلاَثاً، وَبَالِغْ فِي رَدِّ الْمَاءِ إِلَى الْغَلْصَمَةِ[4] إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَائِماً (فَتَرَفَّقْ)[5] ،

---

(٤) – أخرجه البخاري (٨٨٧) ومسلم (٢٥٢).

(١) – ذكره الهيثمي في المجمع (٢٥٥٩) عن واثلة بن الأسقع. وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة مدلس وقد عنعنه. قال شيخنا في تحقيقه للمجمع: ليث: قال ابن حجر: صدوق اختلط أخيراً و لم يتميز حديثه فترك.

وأخرج أبو يعلى في مسنده (٢٣٣٠) عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه ينزلُ عليَّ به قرآنٌ أو وحيٌ». وانظره في مجمع الزوائد: (٢٥٥٦) وقال شيخنا: إسناده ضعيف فيه شريك القاضي.

وذكر الهيثمي في المجمع (٢٥٥٧) لابن عباس عند أحمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت بالسواك حتى خشيت أن يوحى إليَّ فيه» قال: ورجاله ثقات.

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) – روى أحمد (٤١٨/٢) وأبو داود (١٠١) وابن ماجة (٣٩٩) بإسنادٍ حسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه».

وقال النووي رحمه الله تعالى في الأذكار (ص٤٢): وأما الدعاءُ على أعضاء الوضوء فَلَمْ يَجِيء فِيْهِ شيءٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال الفقهاء: يُستحب فيه دعواتٌ جاءت عن السلف وزادوا ونقصوا فيها.

(٤) – الغلصمة: رأس الحلقوم.

(٥) – في نسخة: (فارفق).

وَقُلْ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى تِلاَوَةِ كِتَابِكَ وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَكَ وَثَبِّتْنِي بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**».

ثُمَّ خُذْ غَرْفَةً لأَنْفِكَ، وَاسْتَنْشِقْ بِهَا ثَلاَثاً وَاسْتَنْثِرْ مَا فِي الأَنْفِ مِنَ الرُّطُوبَةِ، وَقُلْ فِي الاسْتِنْشَاقِ: «**اللَّهُمَّ (أَرِحْنِي)**[1] **رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ**». وَقُلْ فِي الاسْتِنْثَارِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَوَائِحِ النَّارِ وَسُوءِ الدَّارِ**».

ثُمَّ خُذْ غُرْفَةً لِوَجْهِكَ، فَاغْسِلْ بِهَا مِنْ مُبْتَدَأ تَسْطِيحِ الْجَبْهَةِ إِلَى مُنْتَهَى مَا يُقْبِلُ مِنَ الذَّقْنِ فِي الطُّولِ، وَمِنَ الأُذُنِ إِلَى الأُذُنِ فِي الْعَرْضِ، وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَوْضِعِ التَّحْذِيفِ، وَهُوَ: مَا يَعْتَادُ النِّسَاءُ تَنْحِيَةَ الشَّعْرِ عَنْهُ، وَهُوَ مَا بَيْنَ رَأْسِ الأُذُنِ إِلَى زَاوِيَةِ الْجَبِيْنِ، أَعْنِي: مَا يَقَعُ مِنْهُ فِي جَبْهَةِ الْوَجْهِ، وَأَوصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَنَابِتِ الشُّعُوْرِ الأَرْبَعَةِ: الْحَاجِبَيْنِ[2] وَالشَّارِبَيْنِ[3] ، وَالأَهْدَابِ[4] وَالْعِذَارَيْنِ، وَهُمَا: مَا يُوَازِي الأُذُنَيْنِ مِنْ مُبْتَدَأ اللِّحْيَةِ.

وَيَجِبُ إِيْصَالُ الْمَاءِ إِلَى مَنَابِتِ الشَّعْرِ مِنَ اللِّحْيَةِ الْخَفِيْفَةِ دُوْنَ الْكَثِيْفَةِ، وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ الْوَجْهِ: «**اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهِي بِنُورِكَ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوْهُ أَوْلِيَائِكَ، وَلاَ تُسَوِّدْ وَجْهِي بِظُلُمَاتِكَ يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوْهُ أَعْدَائِكَ**»[5] . وَلاَ تَتْرُكْ تَخْلِيْلَ اللِّحْيَةِ الْكَثِيْفَةِ.

---

(١) – في نسخة: (أوجد لي).

(٢) – الحاجب: الشعر النابت على العينين.

(٣) – الشارب: الشعر النابت على الشفة العليا.

(٤) – الهدب: الشعر النابت على أجفان العين.

(٥) – ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٥٥٤) من حديث أنس مطولاً وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اتهم أبو حاتم ابن حبان به عباد بن صهيب واتهم به الدارقطني أحمد بن هاشم، فأما عباد فقال ابن المديني: ذهب حديثه. وقال البخاري والنسائي: متروك. وقال ابن حبان: يروي المناكير التي يشهد لها بالوضع. وأما أحمد بن هاشم فيكفيه اتهام الدارقطني. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤١٢٢/٢) وقال: رواه ابن حبان.... وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (١٠٢٩/٣).

ثُمَّ اغْسِلْ يَدَكَ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى مَعَ الْمِرْفَقَيْنِ إِلَى أَنْصَافِ الْعَضُدَيْنِ، فَإِنَّ الْحِلْيَةَ فِي الْجَنَّةِ تَبْلُغُ مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ، وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ الْيُمْنَى: **«اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي وَحَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً»**[١] . وَعِنْدَ غَسْلِ الشِّمَالِ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تُعْطِيَنِي كِتَابِي بِشِمَالِي أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي»**.

ثُمَّ اسْتَوْعِبْ رَأْسَكَ بِالْمَسْحِ بِأَنْ تَبَلَّ يَدَيْكَ، وَتُلْصِقَ رُؤُوسَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ الْيُمْنَى وَالْيُسْرَى، وَتَضَعَهُمَا عَلَى مُقَدَّمَةِ الرَّأْسِ، وَتَمُرَّهُمَا إِلَى الْقَفَا، ثُمَّ تَرُدَّهُمَا إِلَى الْمُقَدَّمَةِ، فَهَذِهِ مَرَّةٌ[٢] ، تَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الأَعْضَاءِ، وَقُلْ: **«اللَّهُمَّ غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَأَظِلَّنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّكَ»**[٣] . **«اللَّهُمَّ حَرِّمْ شَعْرِي وَبَشَرِي عَلَى النَّارِ»**[٤] .

ثُمَّ (امْسَحْ)[٥] أُذُنَيْكَ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا بِمَاءٍ جَدِيدٍ[٦] ، وَأَدْخِلْ مُسَبِّحَتَيْكَ فِي صِمَاخَي أُذُنَيْكَ[٧] وَامْسَح ظَاهِرَ أُذُنَيْكَ بِبَاطِنِ إِبْهَامَيْكَ[٨] ، وَقُلْ: **«اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ**

---

(١) – وهو المسمى بحساب العرض.

(٢) – أخرج أبو داود (١٢١ و١٢٢) عن المقدام بن معدي كرب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ، فلما بلغ مسح رأسه، وضع كفيه على مقدم رأسه، فأمرهما حتى بلغ القفا، ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه.

وأخرج الترمذي (٣٥ و٤٧) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه.

(٣) – كنز العمال (٢٦٩٩٠).

(٤) – قال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/٢٦٤): في شرح الوجيز وعند مسح الرأس: «اللهم حرم شعري وبشري على النار».

(٥) – في نسخة: (تمسح).

(٦) – أخرج الحاكم (١/١٥١) عن عبد الله بن زيد قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ، فأخذ ماء لأذنيه خلاف الماء الذي أخذه لرأسه.

الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُ، اللَّهُمَّ أَسْمِعْنِي مُنَادِيَ الْجَنَّةِ[1] فِي الْجَنَّةِ مَعَ الأَبْرَارِ».

ثُمَّ امْسَحْ رَقَبَتَكَ[2] وَقُلْ: «اللَّهُمَّ فُكَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ السَّلاَسِلِ وَالأَغْلاَلِ».

---

(٧) - أخرج أبو داود (١٢١) وابن ماجة (٤٤٢ و٤٥٧) عن المقدام بن معدي كرب قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح في وضوئه رأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما، وأدخل إصبعيه في صماخي أذنيه. قال ابن حجر في تلخيص الحبير ١٠١/١ (٢٥): وإسناده حسن.

(٨) - وأخرج الترمذي (٧٤/١) عن ابن عباس رضي الله عنه مسح برأسه وأذنيه باطنهما بالمسبحتين وظاهرهما بإبهاميه.

(١) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص١٥): وهو سيدنا بلال بن رباح الحبشي.

(٢) - قال ابن حجر في تلخيص الحبير (١٠٣/١) حديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مسح الرقبة أمانٌ من الغل». هذا الحديث أورده أبو محمد الجويني، وقال: لم يرتض أئمة الحديث إسناده فحصل التردد في أن هذا الفعل هل هو سنة أو أدب، وتعقبه الإمام بما حاصله، إنه لم يجز للأصحاب تردد في حكم مع تضعيف الحديث الذي يدل عليه.

وقال القاضي أبو الطيب: لم ترد فيه سنة ثابتة، وقال القاضي حسين: لم ترد فيه سنة. وقال الفوراني: لم يرد فيه خبر وأورده الغزالي في الوسيط وتعقبه ابن الصلاح فقال: هذا الحديث غير معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من قول بعض السلف.

وقال النووي في شرح المهذب: هذا حديثٌ موضوع، ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وزاد في موضع آخر: لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء، وليس هو سنة، بل بدعة. ولم يذكره الشافعي ولا جمهور الأصحاب، وإنما قاله ابن القاص، وطائفة يسيرة، وتعقبه ابن الرفعة، بأن البغوي من أئمة الحديث، وقد قال باستحبابه ولا مأخذ لاستحبابه إلا خبر أو أثر لأن هذا لا مجال للقياس فيه. انتهى كلامه.

ولعل مستند البغوي في استحباب مسح القفا، ما رواه أحمد وأبو داود من حديث طلحة بن مصرف، عن أبيه، عن جده أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يمسح رأسه، حتى بلغ القذال وما يليه من مقدم العنق، وإسناده ضعيف. وكلام بعض السلف الذي ذكره ابن الصلاح يحتمل أن يريد به ما

ثُمَّ اغْسِلْ رِجْلَكَ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ[1]، وَخَلِّلْ بِخِنْصَرِ الْيُسْرَى أَصَابِعَ رِجْلِكَ مُبْتَدِئاً بِخِنْصَرِ الْيُمْنَى حَتَّى تَخْتِمَ بِخِنْصَرِ الْيُسْرَى، وَتُدْخِلُ (الأَصَابِعَ)[2] مِنْ أَسْفَل. وَقُلْ: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمِي[3] عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ مَعَ أَقْدَامِ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ**». وَكَذَلِكَ تَقُوْلُ عِنْدَ غَسْلِ الْيُسْرَى: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي عَلَى الصِّرَاطِ فِي النَّارِ يَوْمَ تَزِلُّ أَقْدَامُ الْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُشْرِكِيْنَ**». وَارْفَعِ الْمَاءَ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ، وَرَاعِ التَّكْرَارَ ثَلاثاً فِي جَمِيْعِ أَفْعَالِكَ.

رواه أبو عبيد في كتاب الطهور ص٣٧٣ (٣٦٨): قال أبو عبيد: وأما مسح القفا فعن: علي بن ثابت وعبد الرحمن حدثانا عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن موسى بن طلحة قال: من مسح قفاه مع رأسه وقي الغل يوم القيامة. قلت: فيحتمل أن يقال: هذا وإن كان موقوفاً فله حكم الرفع، لأن هذا لا يقال من قبل الرأي، فهو على هذا مرسل.

حديث ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من توضأ ومسح عنقه، وقي الغل يوم القيامة»، قال أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١١٥/٢): حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا عبد الرحمن بن داود، حدثنا عثمان بن خرزاد، حدثنا عمر بن محمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عمرو الأنصاري، عن أنس بن سيرين، عن ابن عمر: أنه كان إذا توضأ مسح عنقه، ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ ومسح عنقه، لم يغل بالأغلال يوم القيامة». وفي البحر للروياني: لم يذكر الشافعي مسح العنق. وقال أصحابنا هو سنة، وأنا قرأت جزءاً رواه أبو الحسين ابن فارس بإسناده، عن فليح بن سليمان، عن نافع عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من توضأ ومسح بيديه على عنقه، وقي الغل يوم القيامة». وقال: هذا إن شاء الله حديث صحيح. قلت: بين ابن فارس، وفليح مفازة، فينظر فيها.

(١) – أخرج النسائي (٦٧/١ – ٧٠) عن الحسين بن علي قال: دعاني أبي علي بوضوء، فقربته له، فبدأ فغسل كفيه ثلاث مرات، قبل أن يدخلهما في وضوئه، ثم مضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائماً».

(٢) – في نسخة: (الأصبع).

(٣) – بكسر الميم وهو مفرد مضاف فيعم الاثنين ولو أريد المثنى لقيل: قدمايَ بالألف بعد الميم. (مراقي العبودية ص١٥).

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْوُضُوْءِ[1] ، فَارْفَعْ بَصرَكَ إِلَى السَّمَاءِ وَقُلْ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ[2] ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ[3] ؛ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوْءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ، فَاغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِيْنَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِيْنَ[4] ، وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ، وَاجْعَلْنِي صَبُوْراً شَكُوْراً، وَاجْعَلْنِي أَذْكُرُكَ ذِكْراً كَثِيْراً، وَأُسَبِّحُكَ بُكْرَةً وَأَصِيْلاً». فَمَنْ (قَرَأَ)[5] هَذِهِ الدَّعَوَاتِ فِي وُضُوْئِهِ خَرَجَتْ جَمِيْعُ خَطَايَاهُ مِنْ جَمِيْعِ أَعْضَائِهِ، وَخُتِمَ عَلَى وُضُوْئِهِ بِخَاتَمٍ، وَرُفِعَ لَهُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمْ يَزَلْ يُسَبِّحُ اللهَ (تَعَالَى)[6] وَيُقَدِّسُهُ، وَيُكْتَبُ لَهُ ثَوَابُ ذَلِكَ الْوُضُوْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَاجْتَنِبْ فِي وُضُوْئِكَ سَبْعاً:

---

(١) – أخرج مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩ و١٧٠) والترمذي (٥٥) والنسائي (١/٩٢ و٩٣) وفي عمل اليوم والليلة (٨٤) وابن السني (٣١). عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لاَ شَرِيْكَ له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثمانيةِ يدخل من أيها شاء». وزاد الترمذي: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

(٢) – أخرجه مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩ و١٧٠) والنسائي (١/٩٢ و٩٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) – أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨١ – ٨٣). والحاكم (١/٥٦٤).

(٤) – أخرجه الترمذي (٥٥) عن عمر رضي الله عنه.

(٥) – في نسخة: (قال).

(٦) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

١- لاَ تَنْفُض يَدَيْكَ[١] فَتَرُشَّ الْمَاءَ.

٢- وَلاَ تَلْطِمْ (وَجْهَكَ وَلاَ رَأْسَكَ)[٢] بِالْمَاءِ لَطْماً.

٣- وَلاَ تَتَكَلَّمْ فِي أَثْنَاءِ الْوُضُوْءِ.

٤- وَلاَ تَزِدْ فِي الْغُسْلِ عَلَى ثَلاَثِ مَرَّاتٍ.

٥- وَلاَ تُكْثِرْ صَبَّ الْمَاءِ[٣] مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِمُجَرَّدِ الْوَسْوَسَةِ فَلِلْمُوَسْوِسِيْنَ شَيْطَانٌ (يَضْحَكُ)[٤] بِهِمْ يُقَالُ لَهُ الْوَلْهَانُ[٥].

---

(١) – ذكر ابن أبي حاتم في علل الحديث (٧٣) وابن حبان في المجروحين (٢٠٣/١) والذهبي في ميزان الاعتدال (١١٣٣) وابن حجر في تلخيص الحبير ١٠٩/١(١٨) عن أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: إذا توضأتم فلا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان.

(٢) – في نسخة: (رأسك ووجهك).

(٣) – ولو على شط نهر فذلك مكروه. (مراقي العبودية ص١٧).

(٤) – في نسخة: (يلعب).

(٥) – وهو الذي يوله الناس بكثرة استعمال الماء. وذكر بعضهم: أن لإبليس تسعة من الولد لكل منهم اسم وعمل، فمنهم خنزب وهو الموسوس في الصلاة، والولهان وهو الموسوس في الطهارة، والثالث: زلنبور بزاء مفتوحة ولام مشددة بعدها نون فموحدة وآخر راء وهو في كل سوق يزين للبائعين اللغو والحلف الكاذب وتطفيف الكيل والميزان، والرابع: الأعور وهو شيطان الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، والخامس: الوسنان بواو مفتوحة وسين مهملة ساكنة ونونين بينهما ألف وهو شيطان النوم يثقل الرأس والأجفان عن القيام إلى الصلاة ونحوها ويوقظ إلى القبيح من زنا ونحوه. والسادس تبر بفوقية فموحدة فراء وهو اسم شيطان المصيبة يزين الصياح ولطم الخدود ونحوه، والسابع: داسم بدال وسين مهملتين بينهما ألف وهو اسم شيطان الطعام يأكل مع الإنسان ويدخل المنزل إن لم يسم عند طعامه ودخوله وينام على الفراش ويلبس الثياب إن لم تكن مطوية وذكر اسم ا لله عليها وقيل: إنه يسعى في إثارة الخصام بين الزوجين ليفرق بينهما. والثامن: مطون بميم مفتوحة فطاء مهملة وآخره نون ويقال: مسوط بسين مهملة مضمومة وآخره طاء مهملة وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها على ألسنة الناس ثم لا يوجد لها أصل. والتاسع: الأبيض بموحدة فتحتية فضاد معجمة موكل بالأنبياء والأولياء. أما الأنبياء: فسلموا منه وأما الأولياء فهم مجاهدون له فمن سلمه ا لله سلم ومن أغواه غوى. (مراقي العبودية ص١٧).

٦- وَلاَ تَتَوَضَّأْ بِالْمَاءِ الْمُشَمَّسِ[١].

٧- وَلاَ (مِنَ)[٢] الأَوَانِي الصُّفْرِيَّةِ.

فَهَذِهِ السَّبْعَةُ مَكْرُوهَةٌ فِي الْوُضُوْءِ، وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ: **«مَنْ ذَكَرَ اللهَ عِنْدَ وُضُوْئِهِ، طَهَّرَ اللهُ جَسَدَهُ كُلَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ لَمْ يَطْهُرْ مِنْهُ إِلاَّ مَا أَصَابَهُ الْمَاءُ»**[٣].

آدَابُ الْغُسْلِ

فَإِذَا أَصَابَتْكَ جَنَابَةٌ مِنَ احْتِلاَمٍ أَوْ وِقَاعٍ، (فَخُذْ)[٤] الإِنَاءَ إِلَى الْمُغْتَسَلِ، وَاغْسِلْ يَدَيْكَ أَوَّلاً ثَلاَثًا، وَأَزِلْ مَا عَلَى بَدَنِكَ مِنْ قَذَرٍ، وَتَوَضَّأْ كَمَا سَبَقَ (فِي)[٥] وُضُوْئِكَ لِلصَّلاَةِ مَعَ جَمِيْعِ الدَّعَوَاتِ. وَأَخِّرْ غَسْلَ (قَدَمَيْكَ)[٦] كَيْلاَ يَضِيْعَ الْمَاءُ.

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْوُضُوْءِ فَصُبَّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِكَ[٧] ثَلاَثًا[٨]، وَأَنْتَ نَاوٍ رَفْعَ الْحَدَثِ مِنَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ثَلاَثًا، ثُمَّ عَلَى الأَيْسَرِ ثَلاَثًا، وَادْلُكْ مَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِكَ

---

(١) – ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧٢) عن عائشة قالت: أسخنت ماء في الشمس فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم ليتوضأ به فقال: «لا تفعلي يا عائشة فإنه يورث البرص». قال: رواه الطبراني في الأسط، نيه: محمد بن مروان السدي، وقد أجمعوا على ضعفه. وقال: – أي الطبراني – لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد.

وقال الشافعي في الأم (٣/١): ولا أكره الماء المشمس إلا أن يكون من جهة الطب.

(٢) – في نسخة: (في).

(٣) – ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٨٧٠١) بتحقيق شيخنا وعزاه إلى عبد الرزاق في المصنف عن الحسن الكوفي مرسلاً. وقال العراقي (١٣٥/١): رواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف. وانظر إتحاف السادة المتقين: (٣٧٤/٢) وكنز العمال (٢٦٠٦٧). وهو حديث ضعيف.

(٤) – في نسخة: (فاحمل).

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) – في نسخة: (رجليك).

وَمَا أَدْبَرَ[1] (ثَلاَثاً ثَلاَثاً)[2] ، وَخَلِّلْ شَعْرَ رَأْسِكَ وَلِحْيَتِكَ، وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَعَاطِفِ الْبَدَنِ[3] وَمَنَابِتِ الشَّعْرِ مَا خَفَّ (مِنْهُ)[4] وَمَا كَثُفَ، وَاحْذَرْ أَنْ تَمَسَّ ذَكَرَكَ بَعْدَ الْوُضُوْءِ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ يَدُكَ فَأَعِدِ الْوُضُوْءَ[5] .

وَالْفَرِيْضَةُ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ:

(النِّيَّةُ وَإِزَالَةُ النَّجَاسَةِ)[6] وَاسْتِيْعَابُ الْبَدَنِ بِالْغُسْلِ[7] .

---

(٧) – قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص١٨ – ١٩): والمعتمد: أن الأفضل بعد فراغ الوضوء أن تتعهد معاطفك ثم تخلل رأسك ولو كنت محرماً لكن برفق إن كان عليه شعر بأن تدخل أصابعك العشرة فيه فيشرب بها أصوله كما قاله ابن حجر، ثم تدلكه ثلاثاً كما قاله شيخ الإسلام في التحرير، ثم تصب الماء على رأسك.

(٨) – أخرج البخاري (٢٤٥) ومسلم (٣١٦) عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة، بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله.

(١) – وظاهر كلام المصنف: أن المغتسل لا ينتقل إلى الأيسر حتى يثلث الأيمن. وصريح كلامه في الإحياء: أن الدلك يكون بعد تمام الشقين. (مراقي العبودية ص١٩).

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة. وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٦٨) من حديث طويل عن عمير مولى عمر قال: ... وأما الغسل في الجنابة: فتفرغ بيمينك على شمالك، ثم تدخل يدك في الإناء فتغسل فرجك وما أصابك، ثم تضأ وضوءك للصلاة، ثم تفرغ على رأسك ثلاث مرات تدلك رأسك كل مرة. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى من هذه الطريق ورجال أبي يعلى ثقات وكذلك رجال أحمد إلا أن فيه من لم يسم فهو مجهل.

(٣) – ذلك بأن يأخذ الماء فيغسل كل موضع من جسمه فيه انعطاف أو التواء، كالأذنين وطيات البطن وداخل السرة.

ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٧٦) عن ابن عمر أنه كان إذا اغتسل فتح عينيه وأدخل أصبعه في سرته. قال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٤) – في نسخة: (منها).

(٥) – وهذا موافق لابن حجر وهو ظاهر لأجل الخروج من الخلاف في عدم اندراج الأصغر في الأكبر. (مراقي العبودية ص١٩).

(وَفَرْضُ)[1] الْوُضُوْءِ: غَسْلُ الْوَجْـهِ، وَالْيَدَيْـنِ إِلَـى الْمِرْفَقَيْـنِ، وَمَسْـحُ بَعْـضِ الرَّأْسِ، وَغَسْلُ الرِّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ مَرَّةً (مَرَّةً)[2] ، مَعَ النِّيَّةِ، وَالتَّرْتِيْبِ[3] .

وَمَا عَدَاهَا سُنَنٌ مُؤَكَّدَةٌ فَضْلُهَا كَثِيْرٌ وَثَوَابُهَا جَزِيْلٌ، وَالْمُتَهَـاوِنُ بِهَـا خَاسِـرٌ، بَـلْ هُـوَ بِأَصْلِ فَرَائِضِهِ مُخَاطِرٌ، فَإِنَّ النَّوَافِلَ جَوَابِرُ لِلْفَرَائِضِ.

آدَابُ التَّيَمُّمِ

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ:

١- لِفَقْدِهِ بَعْدَ الطَّلَبِ[4] .

٢- أَوْ لِعُذْرٍ مِنْ مَرَضٍ[5] .

٣- أَوْ لِمَانِعٍ مِنَ الْوُصُوْلِ إِلَيْهِ مِنْ سَبُعٍ أَوْ حَبْسٍ.

---

(٦) – في نسخة: (إزالة النجاسة والنية). علماً بأن النية تقدم في كتب الفقه على الأمـور الأخرى. لأنه بها يَصِحُّ الْعَمَلُ.

(٧) – أخرج أبو داود (٢٤٨) والترمذي (١٠٦) عن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه، أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تحت كل شعرة جنابة، فاغسلوا الشعر، وأنقوا البشرة».

(١) – في نسخة: (ومن).

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) – لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾[المائدة: ٦].

(٤) – أخرج البخاري (٣٤٤) ومسلم (٦٨٢) والنسائي (٣٢٠) عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معتزلاً لم يصل مع القوم، فقال: يا فلان، ما منعك أن تصلي مع القوم؟ فقال: يا رسول الله: أصابتني جنابة، ولا ماء، فقال: عليك بالصعيد، فإنه يكفيك.

(٥) – لقوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جـاء أحدٌ منكـم مـن الغـائط أو لامسـتم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا﴾[المائدة: ٦].

٤- أَوْ كَانَ الْمَاءُ الْحَاضِرُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِعَطَشِكَ أَوْ عَطَشِ رَفِيْقِكَ(١).

٥- أَوْ كَانَ مُلْكاً لِغَيْرِكَ وَلَمْ يُبِع إِلاَّ بِأَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِ الْمِثْلِ.

٦- أَوْ (كَانَ)(٢) بِكَ جِرَاحَةٌ أَوْ مَرَضٌ تَخَافُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِكَ(٣).

فَاصْبِرْ حَتَّى يَدْخُلَ وَقْتُ الْفَرِيْضَةِ، ثُمَّ اقْصَدْ صَعِيْداً طَيِّباً(٤) عَلَيْهِ تُرَابٌ خَالِصٌ طَاهِرٌ، فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِكَفَّيْكَ، ضَامّاً بَيْنَ أَصَابِعِكَ(٥)، وَانْوِ اسْتِبَاحَةَ فَرْضِ الصَّلاَةِ، وَامْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلاَ تَتَكَلَّفْ إِيْصَالَ الْغُبَارِ إِلَى مَنَابِتِ الشَّعْرِ خَفَّ أَوْ كَثُفَ، ثُمَّ انْزَعْ خَاتِمَكَ(٦)، وَاضْرِبْ ضَرْبَةً ثَانِيَةً (مُفَرِّجاً)(٧) بَيْنَ أَصَابِعِكَ، وَامْسَحْ بِهِمَا يَدَيْكَ مَعَ

---

(١) – غير المرتد وتارك الصلاة والحربي.

(٢) – في نسخة: (كانت).

(٣) – أخرج أبو داود (٣٣٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه، فاحتلم، فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر بذلك قال: قتلوه قتلهم الله، ألا يسألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر – أو يعصب شك موسى – على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٤/١) عن ابن عباس رفعه في قوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر﴾ قال: إذا كانت بالرجل الجراحة في سبيل الله أو القرح أو الجدري فيجنب فيخاف إن اغتسل أن يموت فليتيمم.

(٤) – لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فتيمموا صَعِيْداً طَيِّباً فَامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مَا يُرِيْدُ اللهُ لِيَجعل عليكم من حرجٍ ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾[المائدة: ٦].

(٥) – وهذا مخالف لما قاله الإمام النووي والمحلي وشيخ الإسلام حيث قالوا: يندبُ تفريق الأصابع في كل ضربة.

(٦) – إن نزع الخاتم في الضربة الثانية واجب ليصل التراب إلى محله ولا يكفي تحريكه لأن التراب لا يدخل تحته لكثافته بخلاف الماء، فإيجاب نزعه إنما هو عند المسح لا عند النقل كذا أفاده أحمد الميهي. وأما في الأولى فمندوب ليكون مسح جميع الوجه باليد كما أفاده المحلى. (مراقي العبودية ص٢٠).

(٧) – في نسخة: (مفرقاً).

بِرِفَقَيْكَ[1] ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَوْعِبْهُمَا، فَاضْرِبْ ضَرْبَـةً أُخْرَى إِلَى أَنْ تَسْتَوْعِبَهُمَا، ثُـمَّ امْسَـحْ إِحْدَى (كَفَّيْكَ)[2] بِالأُخْرَى، وَامْسَحْ مَا بَيْنَ أَصَابِعِكَ بِالتَّخْلِيْلِ.

وَصَلِّ بِهِ فَرْضاً وَاحِداً، وَمَا شِئْتَ مِنَ النَّوَافِـلِ، فَـإِنْ أَرَدْتَ فَرْضاً ثَانِيـاً، فَاسْتَأْنِفْ لَـهُ تَيَمُّماً آخَرَ.

آدَابُ
الْخُرُوْجِ إِلَى الْمَسْجِدِ

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَتِكَ، فَصَلِّ فِي بَيْتِكَ رَكْعَتَي الصُّبْحِ، إِنْ كَانَ الْفَجْرُ قَـدْ طَلَـعَ[3] ؛ كَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) - أخرج الدارقطني في سننه (٢٥٦/١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه و لم قال: «التيمم ضربتان: ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين».

(٢) - في نسخة: (يديك).

(٣) - عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلي فيما بين أن يفـرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة، يُسَلِّم بين كل ركعتـين، ويوتـر بواحـدة، فـإذا سـكت المؤذن من صلاة الفجر، وتبين له الفجر، وجاءه المؤذن، قام فركع ركعتين خفيفتين، ثُمَّ اضطجـع علـى شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة. رواه مسلم (٧٣٦ و٧٣٧). انظر رياض الصالحين بتحقيق شيخنا (١١١١).

أخرج أبو داود (١٢٥٧) عن بلال رضي الله عنه، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسـلم يؤذنـه بصلاة الغداة، فشغلت عائشة بلالاً بأمرٍ سألته عنه، حتى فضحه الصبح، فأصبح جداً، قال: فقام بـلال فآذنه بالصلاة، وتابع أذانه، فلم يخرج رسـول الله صلـى الله علي وسـلم، فلمـا خـرج صلـى بالنـاس، فأخبره أن عائشة شغلته بأمر سألته عنه حتى أصبح جداً، وأنه أبطـأ عنـه بـالخروج، فقـال: إنـي كنـت ركعتُ ركعتي الفجر، فقال: يا رسول الله، إنك أصبحت جداً، قال: لو أصبحـت أكثر مما أصبحـت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما».

ثُمَّ تُوَجَّهْ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَلاَ تَدَعْ الصَّلاَةَ فِي الْجَمَاعَةِ لاَ سِيَمَا الصُّبْحَ، فَـ«صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ دَرَجَةً»[1].

فَإِنْ كُنْتَ تَتَسَاهَلُ فِي مِثْلِ هَذَا الرِّبْحِ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ.

فَإِذَا (مَشِيْتَ)[2] إِلَى الْمَسْجِدِ، فَامْشِ عَلَى (هِيْنَةٍ وَتَؤُدَةٍ)[3] وَلاَ تُعَجِّلْ، وَقُلْ فِي طَرِيْقِكَ: «اللَّهُمَّ (إِنِّي أَسْأَلُكَ)[4] بِحَقِّ السَّائِلِيْنَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ الرَّاغِبِيْنَ إِلَيْكَ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً، وَلاَ بَطَراً، وَلاَ رِيَاءً، وَلاَ سُمْعَةً، بَلْ خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيْذَنِي[5] مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوْبِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ إِلاَّ أَنْتَ»[6].

---

(1) – أخرجه البخاري (٦٤٥) عن عبد الله بن عمر بهذا اللفظ. و(٦٤٦) بلفظ: «تفضل صلاة الفذ بخمسٍ وعشرين درجة».

(2) – في نسخة: (سعيتَ).

(3) – في نسخة: (الهينة وسكينة).

(4) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(5) – في نسخة: (تنقذني). والتصحيح من مصادر التخريج.

(6) – أخرجه أحمد (٣/٢١) وابن ماجة (٧٧٨) من حديث أبي سعيد الخدري وليس فيه: (وبحق الراغبين إليك). (وخرجت) بدل: (بل خرجت). و(إنه لا يغفر) بدل: (فإنه لا). وزاد في نهايته: (أقبل الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك). وهو حديث ضعيف.

وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٤) بإسناد ضعيف جداً من حديث بلال رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله آمنت بالله، توكّلتُ على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بحق السائلين عليك، وبحقِّ مخرجي هذا إليك، فإني لم أخرجه أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً، خرجت ابتغاء مرضاتك، واتّقاء سُخطك، أسألك أن تعيذني من النار، وأن تدخلني الجنة».

آدَابُ
دُخُوْلِ الْمَسْجِدِ

فَإِذَا أَرَدْتَ الدُّخُوْلَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَدِّمْ رِجْلَكَ الْيُمْنَى، وَقُلْ: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوْبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»**[(١)] .

وَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي الْمَسْجِدِ مَنْ يَبِيْعُ (أَوْ يَبْتَاعُ)[(٢)] ، فَقُلْ: **«لاَ أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ»**، وَإِذَا رَأَيْتَ فِيْهِ مَنْ يَنْشُدُ[(٣)] ضَالَّةً؛ فَقُلْ: **«لاَ رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ»**، كَذَلِكَ أَمَرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم[(٤)] .

فَإِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ فَلاَ تَجْلِسْ حَتَّى تُصَلِّي رَكْعَتَي التَّحِيَّةِ[(٥)] ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى طَهَارَةٍ، أَوْ لَمْ تُرِدْ فِعْلَهَا كَفَتْكَ: **«الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»**[(٦)] ثَلاَثاً. وَقِيْلَ: أَرْبَعاً، وَقِيْلَ ثَلاَثاً

---

(١) – أخرج مسلم (٧١٣) وأبو داود (٤٦٥) والنسائي (٥٣/٣) والترمذي (٣١٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٥٦) عن أبي حميد أو أبي أسيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك».

وأخرج أحمد (٢٨٢/٦ و٢٨٣) والترمذي (٣١٤) وابن ماجة (٧٧٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٧) عن عبد الله بن الحسن، عن أمه، عن جدته قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد حمد الله – تعالى – وسمى وقال: «اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك». وإذا خرج قال مثل ذلك وقال: «اللهم افتح لي أبواب فضلك».

(٢) – ما بين: ( ) زيادة في نسخة.

(٣) – ينشد: أي: يطلب.

(٤) – لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رأيتم من ينشد فيه ضالة، فقولوا: لا ردَّ الله عليك». أخرجه الترمذي (١٣٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لِلْمُحْدِثِ، وَوَاحِدَةً لِلْمُتَوَضِّىءِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ صَلَّيْتَ (فِي بَيْتِكَ)[1] رَكْعَتَي الْفَجْرِ، فَيُجْزِئُكَ أَدَاؤُهُمَا عَنِ التَّحِيَّةِ[2]، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ، فَانْوِ الاعْتِكَافَ، وَادْعُ بِمَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ رَكْعَتَي الْفَجْرِ، فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي[3]، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي[4]، وَتُصْلِحُ بِهَا دِينِي، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي، وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَقْضِي لِي بِهَا حَاجَتِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوْءٍ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَاناً (خَالِصاً)[5] يُبَاشِرُ قَلْبِي، (وَيَقِيْناً)[6] صَادِقاً حَتَّى أَعْلَمَ (أَنَّهُ)[7] لَنْ يُصِيْبَنِي إِلاَّ مَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ (وَرَضِّنِي)[8] بِمَا قَسَمْتَهُ لِي. اللَّهُمَّ إِنِّي

---

(٥) – أخرج البخاري (٢/٤٤٧) ومسلم (٧١٤) وأبو داود (٤٦٧ و٤٦٨) والترمذي (٣١٦) والنسائي (٧٢٩) وابن ماجة (١٠١٣) عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس».

(٦) – قال السيوطي في الدر المنثور: (٤/٢٢٥) أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: والباقيات الصالحات قال هي: ذكر الله لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على محمد رسول الله والصلاة والصيام والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة.

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – قال البجيرمي: إذا نوى التحية مع فرض مثلاً حصل ثوابها اتفاقاً وإذا نفاها فلا يحصل اتفاقاً وإن أطلق حصل الثواب على المعتمد. (مراقي العبودية ص٢٢).

(٣) – أي: تصلح بها ما تفرق من أموري. وفي شرح الشفا: أي: تجمع بها تفرق خاطري، وتضم بها تشتت أمري. (مراقي العبودية ص٢٢).

(٤) – أي: ما كنت آلفه.

(٥) – في نسخة: (دائماً).

(٦) – في نسخة: (وأسألك يقيناً).

(٧) – في نسخة: (أن).

أَسْأَلُكَ إِيْمَاناً صَادِقاً، وَيَقِيناً لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (الْفَوْزَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَالصَّبْرَ عِنْدَ الْقَضَاءِ)[1] ، وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاءِ. اللَّهُمَّ (إِنِّي)[2] أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي وَإِنْ ضَعُفَ رَأْيِي، وَقَصُرَ عَمَلِي، وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الأُمُوْرِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُوْرِ، كَمَا تُجِيْرُ بَيْنَ الْبُحُوْرِ أَنْ تُجِيْرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيْرِ، وَمِنْ (دَعْوَةِ الثُّبُوْرِ[3] وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُوْرِ)[4] . اللَّهُمَّ وَمَا (قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي)[5] ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي وَأُمْنِيَّتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ، أَوْ خَيْرٍ أَنْت مُعْطِيَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيْهِ، وَأَسْأَلُكَ إِيَّاهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِيْنَ مُهْتَدِيْنَ غَيْرَ ضَالِّيْنَ وَلاَ مُضِلِّيْنَ، حَرْباً لأَعْدَائِكَ، سِلْماً لأَوْلِيَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ النَّاسَ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ. اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَعَلَيْكَ الإِجَابَةُ، وَهَذَا الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلاَنُ، وَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ. اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيْدِ، وَالأَمْرِ الرَّشِيْدِ، أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيْدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُوْدِ، مَعَ الْمُقَرَّبِيْنَ الشُّهُوْدِ، الرُّكَّعِ السُّجُوْدِ، وَالْمُوْفِيْنَ لَكَ بِالْعُهُوْدِ، إِنَّكَ رَحِيْمٌ وَدُوْدٌ، (وَإِنَّكَ)[6] تَفْعَلُ مَا تُرِيْدُ، سُبْحَانَ مَنْ (تَعَطَّفَ)[7] بِالْعِزِّ وَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ مَنْ لَبِسَ الْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ مَنْ لاَ يَنْبَغِي التَّسْبِيْحُ إِلاَّ لَهُ،

---

(٨) – في نسخة: (والرضا).

(١) – في نسخة: (الصبر عند القضاء والفوز عند اللِّقاء).

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) – أي: من النداء بالهلاك والخسران في المحشر.

(٤) – في نسخة: (فتنة القبور ومن دعوة الثبور).

(٥) – في نسخة: (ضعف عنه رأيي، وقصر عنه عملي).

(٦) – في نسخة: (وأنت).

(٧) – في نسخة: (اتّصف).

سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي (الْقُدْرَةِ)[1] وَالْكَرَمِ، سُبْحَانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُوْراً فِي قَلْبِي، وَنُوْراً فِي قَبْرِي، وَنُوْراً فِي سَمْعِي، وَنُوْراً فِي بَصَرِي، وَنُوْراً فِي شَعْرِي، وَنُوْراً فِي بَشَرِي، وَنُوْراً فِي بَشَرِي، وَنُوْراً فِي لَحْمِي، وَنُوْراً فِي دَمِي، وَنُوْراً فِي عِظَامِي، وَنُوْراً مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَنُوْراً مِنْ خَلْفِي، وَنُوْراً عَنْ يَمِيْنِي، وَنُوْراً عَنْ شِمَالِي، وَنُوْراً مِنْ فَوْقِي، وَنُوْراً مِنْ تَحْتِي، اللَّهُمَّ زِدْنِي نُوْراً، وَأَعْطِنِي نُوْراً وَأَعْظِمْ لِي نُوْراً، وَاجْعَلْ لِي نُوراً بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[2] »[3].

---

(١) – في نسخة: (الجود).

(٢) – هذا من عطف العام على الخاص، أي: اجعل لي نوراً شاملاً للأنوار السابقة ولغيرها. (مراقي العبودية ص٢٤).

(٣) – أخرجه الترمذي (٣٤١٩) وابن خزيمة (١١١٩) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (الفقيه القاضي إلا أنه سيء الحفظ)، عن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلةً، حين فرغ من صلاته: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك، تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وترد بها ألفتي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيماناً ويقيناً، ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز في العطاء – ويروى في القضاء – ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء. اللهم إني أنزل بك حاجتي، وإن قَصُرَ رأيي وضعف عملي، افتقرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور. ويا شافي الصدور، كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السّعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور. اللهم ما قصر عنه رأيي، و لم تبلغه نيتي و لم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحداً من خلقك، أو خير أنت مُعطيه أحداً من عبادك، فإني أرغبُ إليك فيه، وأسألكه برحمتك ربَّ العالمين. اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الشديد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وأننت تفعل ما تريد. اللهم اجعلنا هادين مُهتدين غير ضالين ولا مُضلين، سلماً لأوليائك وعدواً لأعدائك، نُحِبُّ بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالفك. اللهم هذا الدعاء، وعليك الاستجابة، وهذا الجهدُ، وعليك التكلان. اللهم اجعل لي نوراً في قبري، ونوراً في قلبي، ونوراً من بين يدي، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الدُّعَاءِ، فَلاَ تَشْتَغِلْ (إِلَى وَقْتِ الْفَرْضِ إِلاَّ بِفِكْرٍ أَوْ تَسْبِيحٍ)[1] ، أَوْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

فَإِذَا سَمِعْتَ الأَذَانَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ، فَاقْطَعْ مَا أَنْتَ فِيهِ، وَاشْتَغِلْ بِجَوَابِ الْمُؤَذِّنِ، فَإِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ[2] . وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ، إِلاَّ فِي الْحَيْعَلَتَيْنِ، فَقُلْ فِيهِمَا: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[3] . فَإِذَا قَالَ: «الصَّلاَةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ». فَقُلْ: «صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ»[4] .

في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي. اللهم أعظم لي نوراً، وأعطني نوراً، واجعل لي نوراً، سبحان الذي تعطّف العز، وقال به، سبحان الذي لبسَ المجدَ، وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي المجد والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام». وانظر المسند الجامع (٨/٤٣/٦١٤٣).

(١) – في نسخة: (إلا بأداء الفريضة، أو بذكر أو تسبيح).

(٢) – وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن». أخرجه البخاري (٦١١) ومسلم (٣٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) – قال النووي في الأذكار ص٥٣ – ٥٤: يستحب أن يقول – من سمع المؤذن والمقيم – مثل قوله، إلا في قوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فإنه يقول في دُبُر كل لفظةٍ منهما: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ابن القيم في زاد المعاد (٢/٣٩١): و لم يجيء عنه صلى الله عليه وسلم الجمع بينها وبين حي على الصلاة، حي على الفلاح. ولا الاقتصار على الحيعلة، وهديه صلى الله عليه وسلم الذي صح عنه إبدالهما بالحوقلة، وهذا مقتضى الحكمة المطابقة لحال المؤذن والسامع، فإن كلمات الأذان ذكر، فسن للسامع أن يستعين على هذه الدعوة بكلمة الإعانة وهي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٤) – أخرجه أبو داود (٥٢٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وأورده النووي في الأذكار (١٠١). وقال:.. وقيل: يقول: صَدَقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصلاة خيرٌ من النوم. وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (١/٢١١): ولا أصل لما ذكره في الصلاة خير من النوم.

فَإِذَا سمعتَ الإقَامَةَ، فَقُلْ مِثْلَ مَـا يَقُـولُ، إلاَّ فِـي قَوْلِـهِ: «قَـدْ قَـامَتِ الْصَّـلاَةُ»، فَقُـل: «أَقَامَهَا ا للهُ وَأَدَامَهَا مَا دَامَتْ الْسَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ»[١] .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ جَـوَابِ الْمُـؤَذِّنِ، فَقُـلْ: «اللَّهُـمَّ إِنِّـي أَسْـأَلُكَ عِنْـدَ حُضُـوْرِ صَلاَتِـكَ وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ، وَإِدْبَارِ لَيْلِكَ، وَإِقْبَالِ نَهَـارِكَ، أَنْ تُؤْتِـيَ مُحَمَّـداً الوَسِـيْلَةَ وَالْفَضِيْلَـةَ وَالْدَّرَجَةِ الْرَّفِيْعَةِ، وَابعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُوْدَ الْذِي وَعَدْتَهُ[٢] (إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيْعَادَ)[٣] يَا أَرْحَمَ الْرَّاحِمِيْنَ»[٤] .

فَإِذَا سَمِعْتَ الأَذَانَ وَأَنْتَ فِي الْصَّلاَةِ، فَتَمِّمْ الْصَّلاَةَ، ثُمَّ تَـدَارَكْ الْجَـوَابَ بَعْـدَ الْسَّـلاَمِ عَلَى وَجْهِهِ.

فَإِذَا أَحْرَمَ الإِمَامُ بِالْفَرْضِ فَلاَ تَشْتَغِلْ إِلاَّ بالاقْتِدَاءِ بِهِ وَصَلِّ الْفَرْضَ كَمَـا سَيُتْلَى عَلَيْـكَ فِي كَيْفِيَّةِ الْصَّلاَةِ وَآدَابِهَا، فَـإِذَا فَرَغْـتَ فَقُـل[٥] : «اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَلَـى مُحَمَّـدٍ وَعَلَـى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْسَّلاَمُ، وَمِنْـكَ الْسَّـلاَمُ، وَإِلَيْـكَ يَعُـوْدُ الْسَّـلاَمُ، فَحَيِّنَـا رَبَّنَـا بِالْسَّـلاَمِ، وَأَدْخِلْنَـا (الْجَنَّـةَ)[٦] دَارَ الْسَّـلاَمِ، تَبَارَكْتَ[٧] (وتعـاليتَ)[٨] يَـا ذَا الْجَـلاَلِ

---

(١) – أخرجه أبو داود (٥٢٨). عن أبي أمامة. وأورده النووي في الأذكار (١٠٩).

(٢) – لقوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[الإسراء: ٧٩].

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – حديث الوسيلة أخرجه البخاري (٦١٤) عـن جـابر بـن عبـد ا لله رضـي ا لله عنـه. ومسـلم (٣٨٤) عن عمرو بن العاص رضي ا لله عنه.

(٥) – بعد الاستغفار ثلاثاً كما رواه مسلم، عن ثوبـان عتيـق رسـول ا لله صلـى ا لله عليـه وسـلم. (مراقي العبودية ص٢٥).

(٦) – في نسخة: (دارك).

(٧) – أي: تقدست كما قاله العزيزي. (مراقي العبودية ص٢٥).

(٨) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة. أي: تنزهت.

وَالإِكْرَامِ[١] ، سُبْحَانَ رَبِّي الْعَلِيِّ الأَعْلَى (الْوَهَّابِ)[٢] ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيْتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوْتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ[٣] ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ أَهْلُ (النِّعْمَةِ)[٤] وَالْفَضْلِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ».

ثُمَّ ادْعُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ، (وَهُوَ)[٥] مَا عَلَّمَهُ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، ما عَلِمْتَ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَنِيَّةٍ وَاعْتِقَادٍ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَنِيَّةٍ وَاعْتِقَادٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ

---

(١) - أخرج مسلم (٥٩١) والترمذي (٣٠٠) وأبو داود (١٥١٣) وابن ماجة (٩٢٨) عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام».

(٢) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) - أخرج البخاري (٨٤٤ و٦٣٣٠ و٦٤٧٣ و٦٦١٥ و٧٢٩٢) ومسلم (٥٩٣) وأبو داود (١٥٠٥) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

وأخرج الترمذي (٣٤٧٠) عن أبي ذر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير....».

(٤) - في نسخة: (النعم).

(٥) - في نسخة: (وهي).

عَبْدُكَ (وَنَبِيُّكَ)[١] مُحَمَّدٌ صلى ا لله عليه وسلم، اللَّهُمَّ وَمَا قَضَيْتَ (عَلَيَّ)[٢] مِنْ أَمْرٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رشداً»[٣] .

ثُمَّ ادْعُ بِمَا أَوْصَى بِهِ رَسُوْلُ اللهِ صلى ا لله عليه وسلم فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا فَقُلْ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ، وَمِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيْرُ، لاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي (وَلاَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ)[٤] طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ بِمَا أَصْلَحْتَ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِيْنَ»[٥] .

ثُمَّ قُلْ مَا قَالَهُ عِيْسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لاَ أَسْتَطِيْعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ، وَلاَ أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو، وَأَصْبَحَ الأَمْرُ بِيَدِكَ لاَ بِيَدِ غَيْرِكَ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهِناً بِعَمَلِي، فَلاَ فَقِيْرَ أَفْقَرُ مِنِّي إِلَيْكَ، وَلاَ غَنِيَّ أَغْنَى مِنْكَ عَنِّي، اللَّهُمَّ لاَ تُشَمِّتْ بِي عَدُوِّي، وَلاَ تَسُوْءْ بِي صَدِيْقِي، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيْبَتِي فِي دِيْنِي، وَلاَ تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِي، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ بِذَنْبِي مَنْ لاَ يَرْحَمُنِي»[٦] .

---

(١) – في نسخة: (ورسولك).

(٢) – في نسخة: (لي).

(٣) – أخرجه أحمد (١٤٧/٦) وابن ماجة (٣٨٤٦) وصححه ابن حبان (٢٤١٣) موارد. والحاكم (٥٢١/١ – ٥٢٢) ووافقه الذهبي. عن عائشة رضي ا لله عنها.

(٤) – ما بين: ( ) زيادة نسخة.

(٥) – أخرج النسائي في عمل اليوم والليلة (٥٧٠) وابن السني (٤٨) والحاكم في المستدرك (٥٤٥/١) عن أنس رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لفاطمة رضي ا لله عنها: ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم، بك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

(٦) – ذكره المصنف في إحياء علوم الدين (٣١٦/١).

ثُمَّ ادْعُ بِمَا بَدَا لَكَ مِنَ الدَّعَوَاتِ الْمَشْهُوْرَاتِ[1] وَاحْفَظْهَا مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ مِنْ كُتُبِ إِحْيَاءِ عُلُوْمِ الدِّيْنِ[2] .

وَلْتَكُنْ أَوْقَاتُكَ بَعْدَ الصَّلاَةِ إِلَى طُلُوْعِ الشَّمْسِ مُوَزَّعَةً عَلَى أَرْبَعِ وَظَائِفَ:

١- وَظِيْفَةٌ فِي الدَّعَوَاتِ.

٢- وَوَظِيْفَةٌ فِي الأَذْكَارِ وَالتَّسْبِيْحَاتِ، وَتُكَرِّرُهَا فِي سُبْحَةٍ[3] .

٣- وَوَظِيْفَةٌ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

٤- وَوَظِيْفَةٌ فِي التَّفَكُّرِ. فَتُفَكِّرُ فِي ذُنُوْبِكَ وَخَطَايَاكَ، وَتَقْصِيْرِكَ فِي عِبَادَةِ مَوْلاَكَ، وَتَعَرُّضِكَ لِعِقَابِهِ الأَلِيْمِ، وَسُخْطِهِ الْعَظِيْمِ.

وَتُرَتِّبُ (بِتَدْبِيرِكَ)[4] أَورَادَكَ فِي جَمِيْعِ يَوْمِكَ، لِتَتَدَارَكَ بِهِ مَا (فَرَطَ)[5] مِنْ تَقْصِيْرِكَ، وَتَحْتَرِزَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِسُخْطِ اللهِ الأَلِيْمِ فِي يَوْمِكَ، وَتَنْوِي الْخَيْرَ لِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَتَعْزِمُ أَنْ لاَ تَشْتَغِلَ فِي جَمِيْعِ نَهَارِكَ إِلاَّ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَتَقْصِدُ فِي قَلْبِكَ الطَّاعَاتِ الَّتِي تَقْدِرُ عَلَيْهَا، وَتَخْتَارُ أَفْضَلَهَا، وَتَتَأَمَّلُ تَهْيِئَةَ أَسْبَابِهَا لِتَشْتَغِلَ بِهَا.

---

(١) - قال في مراقي العبودية: والأولى الإتيان بسيد الاستغفار وهو: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوءُ لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت.

(٢) - (الإحياء ١/٢٩٣ - ٣٢٩).

(٣) - نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن الذكر بالمسبحات خير من العدد بالحصى وذلك في حديث مسلم (٢٧٢٦) والترمذي (٣٥٥٠) وأبو داود (١٥٠٣) وابن ماجة (٣٨٩٨) عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصُّبح، وهي في مسجدها، ثُمَّ رجع بعد أن أضحى، وهي جالسةٌ فيه، فقال: «ما زلت اليوم على الحال التي فارقتُكِ عليها؟» قالت: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد قلتُ بعدكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثلاث مراتٍ لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهنَّ: سبحان اللهِ وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنةَ عرشه، ومدادَ كلماته».

(٤) - في نسخة: (أوقاتك بتدبيرك).

(٥) - في نسخة: (فرطت).

وَلاَ تَدَعْ عَنْكَ التَّفَكُّرَ فِي قُرْبِ الأَجَلِ وَحُلُوْلِ الْمَوْتِ الْقَاطِعِ لِلأَمَلِ[1]، وَخُرُوْجِ الأَمْرِ عَنِ الاخْتِيَارِ، وَحُصُوْلِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ (بِطُوْلِ)[2] الاغْتِرَارِ.

وَلْيَكُنْ مِنْ تَسْبِيْحَاتِكَ وَأَذْكَارِكَ عَشْرُ كَلِمَاتٍ:

إِحْدَاهُنَّ: **«لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيْتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوْتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ»**[3].

الثَّانِيَةُ: **«لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِيْنُ»**[4].

الثَّالِثَةُ: **«لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيْزُ الْغَفَّارُ»**[5].

الرَّابِعَةُ: **«سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ[6] الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ»**.

---

(١) – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات». أخرجه الترمذي (٢٣٠٧). وابن ماجة (٤٢٥٨). والنسائي (٤/٤). والحاكم (٤/٣٢١). وابن حبان (٢٩٩٢ و٢٩٩٣) والقضاعي في مسند الشهاب (٦٦٩). وانظره في رسالتنا: الأربعون الصحاح في ذكر الموت (ص٨).

(٢) – في نسخة: (وطول).

(٣) – أخرج الترمذي (٣٤٧٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٢٧) عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثانٍ رجليه قَبْلَ أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات....».

(٤) – قال العراقي: رواه المستغفري في الدعوات، والخطيب [تاريخ بغداد:١٢/٣٥٨، ٣٥٩] في الرواة عن مالك من حديث علي: «من قالها في يوم مئة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة». وانظر إتحاف السادة المتقين (٥/١٣١).

(٥) – أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٥٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٦٤) والحاكم (١/٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان (٥٥٣٠) عن عائشة رضي الله عنها.

الْخَامِسَةُ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[1] .

السَّادِسَةُ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ[2] ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»[3] .

---

(٦) – ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٥٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وقال: رواه الطبراني، وفيه: جرير بن أيوب، وهو ضعيف جداً.

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٦١) عن سعد – يعني: ابن أبي وقاص –: أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمني كلاماً أقوله، فقال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والله أكبر كبيراً، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». قلت: هو في الصحيح خلا قوله: «العلي العظيم». قال: رواه البزار [٣٠٧٧] ورجاله رجال الصحيح.

(١) – أخرجه أحمد (٦/٣٥ و٩٤ و١١٥ و١٤٨ و١٤٩ و١٧٦ و١٩٣) ومسلم (٤٨٧) وأبو داود (٨٧٢) والنسائي (٢/٢٢٤). وذكره النووي في الأذكار (١٤٢ و١٥٥) وقال: قال أهل اللغة: سبوح قدوس: بضم أولهما وبالفتح أيضاً لغتان، أجودهما وأشهرهما وأكثرهما الضم.

قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص٢٨): (سبوح قدوس): هما اسمان من أسماء الله تعالى. قال ثعلب: كل اسم جاء على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وقرأهما سيبويه بالفتح والفرق بين التسبيح والتقديس أن التسبيح يكون بالطاعات والعبادات والتقديس يكون بالمعارف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله أي: فيكون التقديس التفكر في ذلك.

(٢) – أخرج الترمذي (٣٤٦٠ و٣٤٦١) وابن حبان (٢٣٣٥) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٢٧) والحاكم (١/٥٠١ – ١٥٠٢) عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة».

(٣) – أخرج البخاري (٦٠٤٣) ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

وأخرج البزار (٣٠٨١) والطبراني في الكبير (١٢٧٩٩) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله وأتوب إليه من قالها كتبت كما قالها، ثم علقت بالعرش، لا يمحوها ذنب عمله صاحبها حتى يلقى الله يوم القيامة، وهي مختومة

السَّابعَةُ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيْمَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّوْمَ، وَأَسْأَلُهُ التَّوبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ»[1] .

الثَّامِنَةُ: «اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ، ولاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنكَ الْجَدُّ»[2] .

التَّاسِعَةُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ».

الْعَاشِرَةُ: «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ»[3] .

كما قالها». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٧٨): رواه البزار، وفيه: يحيى بن عمرو بن مالك النُّكري البصري بضم النون وهو ضعيف، وقال الدارقطني: صويلح يعتبر به، وبقية رجاله ثقات.

(١) – أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٣) عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر». قال النووي في الأذكار عقب حديث رقم (٢٤٩ و٥١٨): ويستحب الإكثار من الدعاء في جميع يوم الجمعة، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، رجاء لمصادفة ساعة الإجابة، فقد اختلف فيها على أقوال كثيرة؛ فقيل: هي بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس. وقيل: بعد طلوع الشمس، وقيل: بعد الزوال، وقيل: بعد العصر، وقيل غير ذلك.

(٢) – أخرجه أحمد (٢٤٥/٤ و٢٤٧ و٢٥٠ و٢٥٤) والدارمي (١٣٥٦) والبخاري (٨٤٤ و٦٣٣٠ و٦٤٧٣ و٦٦١٥ و٧٢٩٢). ومسلم (٥٩٣). وأبو داود (١٥٠٥) والنسائي (٧٠/٣) وفي عمل اليوم والليلة (١٣٠). وابن السني في عمل اليوم والليلة (١١٥). عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. قال ابن علان: قال القلقشندي: في الحديث مشروعية هذا الذكر عقب الصلوات لما اشتملت عليه من معاني التوحيد ونسبة الأفعال إلى الله تعالى، والمنع والإعطاء، وتمام القدرة، فيكون الاعتراف به عقب الصلوات أدعى لقبولها وأرجى لحصول المقصود، وعظم ثواب هذا الذكر القليل مع خفته على اللسان لأجل مدلولاته، فإنها راجعة إلى الإيمان الذي هو أعظم الأمور.

تُكَرِّرُ[1] كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِمَّا مِئَةَ مَرَّةٍ أَوْ سَبْعِيْنَ مَرَّةً، أَوْ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَهُوَ أَقَلُّهُ، لِيَكُوْنَ الْمَجْمُوْعُ مِئَةً، وَلاَزِمْ هَذِهِ (الأَوْرَادَ)[2] ، وَلاَ تَتَكَلَّمْ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ، فَفِي الْخَبَرِ: أَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ إِعْتَاقِ ثَمَانِ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ[3] عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، أَعْنِي الاشْتِغَالَ بِالذِّكْرِ إِلَى طُلُوْعِ الشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَخَلَّلَهُ كَلاَمٌ.

---

(٣) – أخرجه أحمد (١/٦٢ و٦٣). وأبو داود (٥٠٨٨ و٥٠٨٩) والترمذي (٣٣٨٥) وابن ماجة (٣٨٦٩). والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٥ و١٦ و٣٤٦ و٣٤٧) وابن حبان (٢٥٣٢) موارد. والحاكم (١/٥١٤). عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(١) – بصيغة المضارع الذي للخطاب.

(٢) – في نسخة: (الأذكار).

(٣) – أخرج ابن السني رقم (٦٧٠) بإسنادٍ ضعيف عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أجلس مع قومٍ يذكرون الله – عز وجل – من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحبُّ إليَّ من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل». وللحديث شواهد تقوي معناه منها ما أخرجه أبو داود (٣٦٦٧) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إساعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب أحب إليَّ من أن أعتق أربعة». وذكر بنحوه أحمد في المسند (٥/٢٥٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وأخرج أحمد (٥/٤٢٢) والبخاري (٦٤٠٤) ومسلم (٢٦٩٣) والترمذي (٣٥٨٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤). عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل».

وأخرج أحمد (٢/٣٠٢ و٣٧٥) والبخاري (٣٢٩٣ و٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١) ومالك في الموطأ (١/٢٠٩) والترمذي (٣٤٦٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٥) وابن السني أيضاً (٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مئة مرة، كانت له عدل عشر رقاب،...».

آدابُ
مَا بَعْدَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ

فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ قَدْرَ رُمْحٍ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ(١)، وَذَلِكَ عِنْدَ زَوَالِ وَقْتِ الْكَرَاهَةِ لِلصَّلاَةِ فَإِنَّهَا مَكْرُوْهَةٌ مِنْ بَعْدِ فَرِيْضَةِ الصُّبْحِ إِلَى ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ.

فَإِذَا أَضْحَى النَّهَارُ وَمَضَى مِنْهُ قَرِيْبٌ مِنْ رُبْعِهِ فَصَلِّ صَلاَةَ الضُّحَى أَرْبَعاً(٢) أَوْ سِتّاً أَوْ ثَمَانِياً(٣) مَثْنَى مَثْنَى، فَقَدْ نُقِلَتْ هَذِهِ الأَعْدَادُ كُلُّهَا عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَالصَّلاَةُ خَيْرٌ كُلُّهَا، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَسْتَكْثِرْ(٤)، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَسْتَقْلِلْ، فَلَيْسَ بَيْنَ (طُلُوْعِ

وأخرج الترمذي (٣٥٢٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٥٧٧) عن عمارة بن شبيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات على أثر المغرب، بعث الله - تعالى - له مسلحة يتكفلونه من الشيطان حتى يصبح... وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات».

(١) - إما بنية صلاة الإشراق بناء على القول بأنها غير صلاة الضحى، أو بنية الضحى بناء على أنا هي وهو المعتمد. (مراقي العبودية ص٢٩).

(٢) - أخرج مسلم (٧١٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت معاذة: إنها سألت عائشة رضي الله عنها: كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصَلي الضحى؟ قالت: أربع ركعات، ويزيد ما شاء.

(٣) - أخرج البخاري (٣/٤٣ و٤٤) ومسلم (٣٣٦) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله قال: ما حدثنا أحدٌ أنه رأى النبي صلى الله ليه وسلم يُصَلِّي الضحى، غير أم هانيء، فإنها قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة، فاغتسل وصلى ثماني ركعات، فلم أرَ صلاة قط أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود».

(٤) - لما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٠٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر». قال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عبد المنعم بن بشير، وهو ضعيف.

الْشَّمْسِ)[1] وَالْزَّوَالِ رَاتِبَةٌ إِلاَّ هَذِهِ الْصَّلَوَاتِ، فَمَا فَضَلَ مِنْهَا مِنْ أَوْقَاتِكَ فَلَكَ فِيْهِ أَرْبَعُ حَالاَتٍ:

الْحَالَةُ الأُوْلَى: وَهِيَ **الأَفْضَلُ**، أَنْ تَصرِفَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، (النَّافِعِ فِي الْدِّيْنِ)[2] دُوْنَ الْفُضُوْلِ الَّذِي أَكَبَّ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَمَّوْهُ عِلْماً.

وَالْعِلْمُ النَّافِعُ: مَا يَزِيْدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَيَزِيْدُ فِي بَصِيْرَتِكَ بِعُيُوْبِ نَفْسِكَ، وَيَزِيْدُ فِي مَعْرِفَتِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، وَيُقَلِّلُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي الْدُّنْيَا، وَيَزِيْدُ فِي رَغْبَتِكَ فِي الآخِرَةِ، وَيَفْتَحُ بَصِيْرَتَكَ بِآفَاتِ أَعْمَالِكَ حَتَّى تَحْتَرِزَ مِنْهَا، وَيُطْلِعَكَ عَلَى مَكَائِدِ الْشَّيْطَانِ وَغُرُوْرِهِ، وَكَيْفِيَّةِ تَلْبِيْسِهِ عَلَى عُلَمَاءِ الْسُّوْءِ حَتَّى عَرَّضَهُمْ لِمَقْتِ اللهِ تَعَالَى وَسُخْطِهِ، حَيْثُ (اشْتَرَوا)[3] الْدُّنْيَا بِالْدِّيْنِ، وَاتَّخَذُوا الْعِلْمَ ذَرِيْعَةً وَوَسِيْلَةً إِلَى أَخْذِ أَمْوَالِ الْسَّلاَطِيْنِ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ الأَوْقَافِ وَالْيَتَامَى[4] وَالْمَسَاكِيْنِ، (وَصَرَفُوا)[5] هِمَّتَهُمْ طُوْلَ نَهَارِهِمْ إِلَى طَلَبِ الْجَاهِ وَالْمَنزِلَةِ فِي قُلُوْبِ الْخَلْقِ، وَاضْطَرَّهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْمُرَاءَةِ وَالْمُمَارَةِ، (وَالْمُنَاقَشَةِ)[6] فِي الْكَلاَمِ وَالْمُبَاهَاةِ.

وَهَذَا الْفَنُّ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ قَدْ جَمَعْنَاهُ فِي كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُوْمِ الْدِّيْنِ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ فَحَصِّلْهُ وَاعْمَلْ بِهِ، ثُمَّ عَلِّمْهُ وَادْعُ إِلَيْهِ، فَمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ (وَعَمِلَ)[7] بِهِ ثُمَّ دَعَا إِلَيْهِ، فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيْماً فِي مَلَكُوْتِ الْسَّمَاوَاتِ بِشَهَادَةِ عِيْسَى عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ[8].

---

(١) – في نسخة: (الطلوع).

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) – في نسخة: (أكلوا).

(٤) – قال تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾[النساء: ١٠].

(٥) – في نسخة: (وصرف).

(٦) – في نسخة: (والمنافسة).

(٧) – في نسخة: (ثم عمل).

(٨) – قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص٣١): أي: لأن سيدنا عيسى قال: من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات.

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَفَرَغْتَ مِنْ إِصْلاَحِ نَفْسِكَ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَفَضَلَ شَيْءٌ مِنْ أَوْقَاتِكَ، فَلاَ بَأْسَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِعِلْمِ الْمَذْهَبِ فِي الْفِقْهِ لِتَعْرِفَ بِهِ الْفُرُوْعَ النَّادِرَةَ فِي الْعِبَادَاتِ، وَطَرِيْقَ التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْخَلْقِ فِي الْخُصُوْمَاتِ عِنْدَ انْكِبَابِهِمْ عَلَى الشَّهَوَاتِ، فَذَلِكَ أَيضاً بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ هَذِهِ الْمُهِمَّاتِ مِنْ جُمْلَةِ فُرُوْضِ الْكِفَايَاتِ(١) .

فَإِنْ دَعَتْكَ نَفسُكَ إِلَى تَرْكِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الأَوْرَادِ وَالأَذْكَارِ اسْتِثْقَالاً لِذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِيْنَ قَدْ دَسَّ فِي قَلْبِكَ الدَّاءَ الدَّفِيْنَ(٢) ، وَهُوَ: حُبَّ (الْمَالِ وَالْجَاهِ)(٣) ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِهِ فَتَكُوْنَ ضُحْكَةً(٤) (لَهُ)(٥) فَيُهْلِكَكَ ثُمَّ يَسْخَرُ (مِنْكَ)(٦) .

فَإِنْ جَرَّبْتَ نَفسَكَ مُدَّةً فِي الأَوْرَادِ وَالْعِبَادَاتِ، فَكَانَتْ لاَ تَسْتَثْقِلُهَا كَسَلاً عَنْهَا، لَكِنْ ظَهَرَتْ رَغْبَتُكَ فِي تَحْصِيْلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَلَمْ تُرِدْ بِهِ إِلاَّ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى وَالدَّارَ الآخِرَةَ،

---

(١) – قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص٣١): ومن فروض الكفايات تعلم الطب. وقال الزيادي: وطلب العلم الشرعي على ثلاثة أقسام: فرض عين وهو تعلم مالا بد منه. وفرض كفاية: وهو تعلم ما يصل إلى الجنة بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها.

(٢) – لأنه أقسم أنه سوف يغوي جميع العباد إلا المخلصين منهم، قال تعالى: ﴿قال فبعزتكَ لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾[ص: ٨٢ – ٨٣] فكان جواب رب العزة عليه: ﴿قال: فالحق والحق أقول، لأملأن جهنم منك وممن تَبِعَكَ منهم أجمعين﴾[ص: ٨٤ – ٨٥].

(٣) – في نسخة: (الجاه والمال).

(٤) – أي: كثير الضحك.

(٥) – في نسخة: (للشيطان).

(٦) – في نسخة: (بك).

فَذلِكَ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ مَهْمَا صَحَّتِ النِّيَّةُ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِي صِحَّةِ النِّيَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَصِحَّ النِّيَّةُ (فَهُوَ)[1] مَعْدَنُ غُرُوْرِ الْجُهَّالِ[2] ، وَمَزَلَّةُ أَقْدَامِ الرِّجَالِ.

الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ لاَ تَقْدِرَ عَلَى تَحْصِيْلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ (فِي الدِّيْنِ)[3] ، لَكِنْ تَشْتَغِلُ بِوَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الذِّكْرِ (وَالتَّسْبِيْحِ)[4] وَالْقِرَاءَةِ (وَالصَّلاَةِ)[5] ، فَذَلِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْعَابِدِيْنَ وَسَيْرِ الصَّالِحِيْنَ، وَتَكُوْنُ أَيْضاً بِذَلِكَ مِنَ الْفَائِزِيْنَ.

الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ تَشْتَغِلَ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ خَيْرٌ إِلَى الْمُسْلِمِيْنَ، وَيَدْخُلُ بِهِ سُرُوْرٌ عَلَى قُلُوْبِ الْمُؤْمِنِيْنَ، أَوْ (يَتَيَسَّرُ)[6] بِهِ الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ لِلصَّالِحِيْنَ، كَخِدْمَةِ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوْفِيَّةِ وَأَهْلِ الدِّيْنِ، وَالتَّرَدُّدِ فِي أَشْغَالِهِم[7] وَالسَّعْيِ فِي إِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِيْنِ وَالتَّرَدُّدِ مَثَلاً عَلَى الْمَرْضَى بِالْعِيَادَةِ، وَعَلَى الْجَنَائِزِ بِالتَّشْيِيْعِ، فَكُلُّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ النَّوَافِلِ، فَإِنَّ هَذِهِ عِبَادَاتٌ، وَفِيْهَا رِفْقٌ لِلْمُسْلِمِيْنَ.

الْحَالَةُ الرَّابِعَةُ: (أَنْ لاَ تَقْوَى)[8] عَلَى ذَلِكَ، فَاشْتَغِلْ بِحَاجَاتِكَ اكْتِسَاباً عَلَى نَفْسِكَ أَوْ عَلَى عِيَالِكَ، وَقَدْ سَلِمَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنْكَ وَأَمِنُوا مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ[9] ، وَسَلِمَ لَكَ دِيْنُكَ،

---

(١) – في نسخة: (فهي).

(٢) – والغرور بفتح الغين معناه: الدنيا أو الشيطان. وبضمها معناه: الأباطيل كما في القاموس.

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) – في نسخة: (والتسبيحات والصلاة).

(٦) – في نسخة: (يسر).

(٧) – جمع شغل: بضم الشين والغين وبإسكان الغين وبه مع فتح الشين وبفتحتين ففيه أربع لغات. (مراقي العبودية ص٣٢).

(٨) – في نسخة: (إن لم تقوَ).

(٩) – عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانِهِ ويدِهِ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم». أخرجه النسائي (٨/١٠٤ و١٠٥) وابن حبان في صحيحه (١٨٠) والحاكم (١/١٠).

إِذَا لَمْ تَرْتَكِبْ مَعْصِيَةً، فَتَنَالَ بِهِ (دَرَجَةَ)[1] أَصْحَابِ الْيَمِيْنِ[2] ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ التَّرَقِّي إِلَى مَقَامَاتِ السَّابِقِيْنَ.

(فَهَذَا)[3] أَقَلُّ الدَّرَجَاتِ فِي مَقَامَاتِ الدِّيْنِ، وَمَا بَعْدَ هَـذَا فَهُـوَ مِـنْ مَرَاتِـعِ الشَّـيَاطِيْنِ، وَذَلِكَ بِـأَنْ تَشْـتَغِلَ ـ وَالْعِيَـاذُ بِـا للهِ ـ بِمَـا يَهْـدِمُ دِيْنَـكَ، أَوْ تُـؤْذِي عَبْـداً مِـنْ عِبَـادِ اللهِ (تَعَالَى)[4] ، فَهَذِهِ رُتْبَةُ الْهَالِكِيْنَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُوْنَ (مِنْ)[5] هَذِهِ الطَّبَقَةِ.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أسلم المسلمين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده». أخرجه مسلم (٤١). وابن مندة في الإيمان (٣١٤). وابن حبان في صحيحه (١٩٧). والبيهقي في السنن االكبرى (١٠/١٨٧).

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجرَ ما نهى الله عنه». أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٠).

وأخرج البزار (١١٤٣) والطبراني في الكبير (١٨/٣١٢) عن فضالة بن عبيد الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال في حجة الوداع: «هـذا يومٌ حرامٌ، وبلدٌ حرام، فدماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ مثلَ هذا اليوم، وهذا البلد، إلى يوم القيامة، وحتى دفعةً دفعها مسلم مُسلماً يريدُ بها سوءاً، وسأخبركم من المسلم؟ المُسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجرُ من هجرَ الخطايا والذنوب، والمجاهدُ من جاهدَ نفسه في طاعةِ اللهِ». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٥) بتحقيق شيخنا. وقال: رواه البزار، والطبراني في الكبير باختصار، ورجال البزار ثقات.

(١) – في نسخة: (درجات).

(٢) – قال الله تعالى في فضلهم: ﴿وأصحاب اليمينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِيْنِ، في سدرٍ مخضود، وطلحٍ منضود، وظلٍّ ممدود، وماءٍ مسكوب، وفاكهةٍ كثيرة، لا مقطوعةٍ ولا ممنوعة، وفرشٍ مرفوعة، إنا أنشأناهنَّ إنشاءً، فجعلناهن أبكاراً، عُرُباً أتراباً، لأصحابِ اليمينِ، ثلةٌ من الأولين، وثلةٌ من الأخرين﴾[الواقعة: ٢٧ – ٤٠]. وعكس أصحاب اليمين أصحاب الشمال وما أعد الله لهم من العذاب المقيم في الدار الآخرة.

(٣) – في نسخة: (وهذه).

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) – في نسخة: (في).

وَاعْلَمْ: أَنَّ الْعَبْدَ فِي حَقِّ دِيْنِهِ عَلَى ثَلاَثِ دَرَجَاتٍ:

١- إِمَّا سَالِمٌ: وَهُوَ الْمُقْتَصِرُ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي[١].

٢- أَوْ رَابِحٌ: وَهُوَ الْمُتَطَوِّعُ بِالْقُرُبَاتِ وَالنَّوَافِلِ[٢].

٣- أَوْ خَاسِرٌ: وَهُوَ الْمُقَصِّرُ عَنِ اللَّوَازِمِ[٣].

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَكُوْنَ رَابِحاً، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُوْنَ سَالِماً، وَإِيَّاكَ (ثُمَّ إِيَّاكَ)[٤] أَنْ تَكُوْنَ خَاسِراً.

وَالْعَبْدُ فِي حَقِّ سَائِرِ الْعِبَادِ لَهُ ثَلاَثُ دَرَجَاتٍ:

الأُوْلَى: أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ[٥]، وَهُوَ: أَنْ يَسْعَى فِي أَغْرَاضِهِمْ رِفْقاً بِهِمْ، وَإِدْخَالاً لِلسُّرُوْرِ عَلَى قُلُوْبِهِمْ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةَ الْبَهَائِمِ وَالْجَمَادَاتِ، فَلاَ (يَنَالُهُمْ)[٦] خَيْرُهُ، وَلَكِنْ يَكُفُّ عَنْهُمْ شَرَّهُ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةَ الْعَقَارِبِ وَالْحَيَّاتِ وَالسِّبَاعِ الضَّارِيَاتِ، لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُتَّقَى شَرُّهُ.

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ (عَلَى)[٧] أَنْ تَلْتَحِقَ بِأُفُقِ الْمَلاَئِكَةِ، فَاحْذَرْ أَنْ تَنْزِلَ عَنْ دَرَجَةِ الْبَهَائِمِ وَالْجَمَادَاتِ إِلَى مَرَاتِبِ الْعَقَارِبِ وَالْحَيَّاتِ وَالسِّبَاعِ الضَّارِيَاتِ، فَإِنْ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ

---

(١) – قال تعالى في حقه: ﴿ومنهم مُقتصد﴾[فاطر: ٣٢].

(٢) – قال تعالى في حقه: ﴿ومنهم سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[فاطر: ٣٢].

(٣) – قال الله تعالى في حقه: ﴿فمنهم ظالمٌ لنفسه﴾[فاطر: ٣٢].

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) – قال تعالى: ﴿بأيدي سفرة، كرامٍ بررة﴾[عبس: ١٥ – ١٦].

(٦) – أي العبد فخير فاعل. وفي نسخة: (ينيلهم) وعلى هذه النسخة فخيره مفعول ثان. (مراقي العبودية ص٣٣).

(٧) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

النُّزُولَ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، فَلاَ تَرْضَى لَهَا بِالْهُوِيِّ[1] إِلَى أَسْفَلِ (سَافِلِيْنَ)[2] ، فَلَعَلَّكَ تَنْجُو كَفَافاً[3] لاَ لَكَ وَلاَ عَلَيْكَ.

فَعَلَيْكَ فِي بَيَاضِ نَهَارِكَ أَنْ لاَ تَشْتَغِلَ إِلاَّ بِمَا يَنْفَعُكَ فِي مَعَادِكَ أَوْ مَعَاشِكَ، الَّذِي لاَ تَسْتَغْنِي عَنِ الاسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَى (مَعَادِكَ)[4] .

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّ دِيْنِكَ مَعَ مُخَالَطَةِ النَّاسِ وَكُنْتَ لاَ تَسْلَمُ، فَالْعُزْلَةُ أَوْلَى لَكَ، فَعَلَيْكَ بِهَا، فَفِيْهَا النَّجَاةُ وَالسَّلاَمَةُ، فَإِنْ كَانَتْ الْوَسَاوِسُ فِي الْعُزْلَةِ تُجَاذِبُكَ إِلَى مَالاَ يُرْضِي اللهَ تَعَالَى وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَمْعِهَا بِوَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ، فَعَلَيْكَ بِالنَّوْمِ، فَهُوَ أَحْسَنُ أَحْوَالِكَ وَأَحْوَالِنَا، إِذَا عَجَزْنَا عَنِ الْغَنِيْمَةِ رَضِيْنَا بِالسَّلاَمَةِ فِي الْهَزِيْمَةِ.

فَأَخِسَّ بِحَالٍ[5] مَنْ سَلاَمَةُ دِيْنِهِ فِي تَعْطِيْلِ حَيَاتِهِ، إِذِ النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَهُوَ تَعْطِيْلُ الْحَيَاةِ، وَالْتِحَاقٌ بِالْجَمَادَاتِ[6] .

---

(١) – أي: السقوط.

(٢) – في نسخة: (السافلين).

(٣) – أي: مقدار حاجتك من غير نقص ولا زيادة.

(٤) – في نسخة: (معادك أو معاشك).

(٥) – قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص٣٤): وقول: أخس، فعل تعجب، فعل ماض ومجيئه على صورة الأمر. وقوله: (بحال) فاعل والباء زائدة لتحسين اللفظ لأن مجيء المرفوع بعد صورة الأمر قبيح ويدل على ذلك ما في بعض النسخ: فما أخس حال من سلامة دينه في تعطيل حياته، أي: خسة حال من ذكر أمر يتعجب منه. وعلى هذه النسخة فقوله: حال مفعول. وحمل شيخنا يوسف السنبلاويني على أن قوله في النسخة الأولى فأخس فعل أمر فكان قوله: بحال معمول له، فالباء للملابسة والمعنى: ارض بالأمر الخسيس أي: الحقير متلبساً بحال من ذكر.

(٦) – قال في مراقي العبودية (ص٣٤): وذكر أبو طالب المكي خلافاً في اليقظة المجردة عن سائر العبادات من الذكر وغيره والنوم الذي ليس للتقوى على طاعة الله تعالى، وليس لأجل ترك معصية فقيل: اليقظة أفضل من ذلك النوم لأنه نقص وقيل: النوم أولى لأنه قد يرى فيه الله تعالى أو النبي أو الصالحين وأما النوم الذي قد طلب السلامة ونية قيام الليل فهو قربة.

آدَابُ
الاسْتِعْدَادِ لِسَائِرِ الصَّلَوَاتِ

يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَعِدَّ (لِصَلاَةِ الظُّهْرِ قَبْلَ الزَّوَالِ، فَتُقَدِّمَ)[1] الْقَيْلُوْلَةَ[2] إِنْ كَانَ لَكَ قِيَامٌ فِي اللَّيْلِ، أَوْ سَهَرٌ فِي الْخَيْرِ، فَإِنَّ فِيهَا مَعُوْنَةً عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، كَمَا أَنَّ فِي السَّحُوْرِ مَعُوْنَةً عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ[3]، وَالْقَيْلُوْلَةُ مِنْ غَيْرِ قِيَامٍ بِاللَّيْلِ (كَالسُّحُوْرِ)[4] مِنْ غَيْرِ صِيَامٍ بِالنَّهَارِ، (فَإِذَا قُلْتَ)[5] فَاجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ قَبْلَ الزَّوَالِ، وَتَتَوَضَّأَ، وَتَحْضُرَ الْمَسْجِدَ وَتُصَلِّيَ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ، وَتَنْتَظِرَ الْمُؤَذِّنَ فَتُجِيبَهُ، ثُمَّ تَقُوْمُ فَتُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عَقِبَ الزَّوَالِ[6]، كَانَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُطَوِّلُهُنَّ وَيَقُوْلُ: **«هَذَا وَقْتٌ تُفْتَحُ فِيْهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيْهِ عَمَلٌ صَالِحٌ»**[7].

---

(١) – في نسخة: (قبل الزوال لصلاة الظهر فقدم).

(٢) – أخرج الطبراني في الأوسط (٢٨) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قِيْلُوا فَإِنَّ الشيطان لا يقيلُ». ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٢٥٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: كثير بن مروان، وهو كذاب. أقول: قال شيخنا في تحقيقه له: وفيه أيضاً: معاوية بن يحيى الصدفي، ضعيف.

(٣) – روى ابن ماجة (١٦٩٣) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استعينوا بطعامِ السَّحرِ على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل».

(٤) – في نسخة: (كالتسحر).

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) – بتسليمة واحدة، ومذهب الشافعي أنها مثنى مثنى كسائر النوافل. (مراقي العبودية ص٣٤).

(٧) – أخرج أحمد (٤١١/٣) والترمذي (٤٧٨) عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح».

وَهَذِهِ الأَرْبَعُ قَبْلَ الظُّهْرِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، فَفِي الْخَبَرِ أَنَّ: «**مَنْ صَلاَّهُنَّ فَأَحْسَنَ رُكُوْعَهُنَّ وَسُجُوْدَهُنَّ، صَلَّى مَعَهُ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُوْنَ لَهُ إِلَى اللَّيْلِ**»[1] .

ثُمَّ صَلِّ الْفَرْضَ مَعَ الإِمَامِ، ثُمَّ صَلِّ بَعْدَ الْفَرْضِ رَكْعَتَيْنِ[2] ، فَهُمَا مِنَ الرَّوَاتِبِ الثَّابِتَةِ.

وَلاَ تَشْتَغِلْ إِلَى الْعَصْرِ إِلاَّ بِتَعَلُّمِ عِلْمٍ، أَوْ إِعَانَةِ مُسْلِمٍ، أَوْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ، أَوْ سَعْيٍ فِي مَعَاشٍ (لِتَسْتَعِيْنَ)[3] بِهِ عَلَى دِيْنِكَ، ثُمَّ صَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ، (فَهِيَ)[4] سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، فَقَدْ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**رَحِمَ اللهُ امْرأً صَلَّى أَرْبَعاً قَبْلَ الْعَصْرِ**»[5] . فَاجْتَهِدْ أَنْ يَنَالَكَ دُعَاؤُهُ صلى الله عليه وسلم، وَلاَ تَشْتَغِلَ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلاَّ بِمِثْلِ مَا سَبَقَ قَبْلَهُ.

وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُوْنَ أَوْقَاتُكَ مُهْمَلَةً، فَتَشْتَغِلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا اتَّفَقَ كَيْفَ اتَّفَقَ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ، وَتُرَتِّبَ أَوْرَادَكَ وَوَظَائِفَكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَتُعَيِّنَ لِكُلِّ وَقْتٍ شُغْلاً لاَ تَتَعَدَّاهُ وَلاَ (تُؤْثِرُ)[6] فِيْهِ سِوَاهُ، فَبِذَلِكَ تَظْهَرُ بَرَكَةُ الأَوْقَاتِ.

---

(١) – قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/١٩٤): حديث: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن...». ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغاً من حديث ابن مسعود و لم أره من حديث أبي هريرة. قال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/٣٣٦): وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن بديل قال: حدثني أبطنُ الناس بعبد الله بن مسعود أنه كان يصلي في بيته إذا زالت الشمس أربع ركعات يطيل فيهن فإذا تجاوب المؤذنون خرج فجلس في المسجد حتى تقام لصلاة.

(٢) – جاء أنه يُصلي بعدها أربعاً لاَ ركعتين وذلك فيما أخرجه أبو داود (١٢٦٩) عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حَرُمَ على النّارِ».

(٣) – في نسخة: (تستعين).

(٤) – في نسخة: (وهي).

(٥) – أخرجه الترمذي (٤٣٠) وأبو داود (١٢٧١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٦) – في نسخة: (تودع) أي: تجعل.

فَأَمَّا إِذَا تَرَكْتَ نَفْسَكَ سُدَىً مُهْمِلاً إِهْمَالَ الْبَهَائِمِ لاَ تَدْرِي بِمَاذَا تَشْتَغِلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَيَنْقَضِي أَكْثَرُ أَوْقَاتِكَ ضَائِعاً، وَأَوْقَاتُكَ عُمْرُكَ، وَعُمْرُكَ رَأْسُ مَالِكَ، وَعَلَيْهِ تِجَارَتُكَ، وَبِهِ وُصُوْلُكَ إِلَى نَعِيْمِ دَارِ الأَبَدِ فِي جِوَارِ اللهِ تَعَالَى، فَكُلُّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِكَ جَوْهَرَةٌ لاَ قِيْمَةَ لَهَا، إِذْ لاَ بَدَلَ لَه، فَإِذَا فَاتَ فَلاَ عَوْدَ لَه.

فَلاَ تَكُنْ كَالْحَمْقَى الْمَغْرُوْرِيْنَ، الَّذِيْنَ يَفْرَحوْنَ كُلَّ يَومٍ بِزِيَادَةِ أَمْوَالِهِمْ مَعَ نُقْصَانِ أَعْمَارِهِمْ، فَأَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ يَزِيْدُ، وَعُمْرٍ يَنْقُصُ؟

وَلاَ تَفْرَحْ إِلاَّ بِزِيَادَةِ عِلْمٍ، أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَإِنَّهُمَا رَفِيْقَاكَ يَصْحَبَانِكَ فِي الْقَبْرِ، حَيْثُ يَتَخَلَّفُ عَنْكَ أَهْلُكَ وَمَالُكَ وَوَلَدُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ(١) .

ثُمَّ إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَعُوْدَ إِلَى الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْغُرُوْبِ، وَتَشْتَغِلَ بِالتَّسْبِيْحِ وَالاسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ فَضْلَ هَذَا الْوَقْتِ كَفَضْلِ مَا قَبْلَ الطُّلُوْعِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوْبِهَا﴾[طه: ١٣٠].

واقْرَأْ قَبْلَ غُرُوْبِ الشَّمْسِ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، و﴿الْمُعَوِّذَتَيْنِ﴾.

وَلْتَغْرُبْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ وَأَنْتَ فِي الاسْتِغْفَارِ، فَإِذَا سَمِعْتَ الأَذَانَ فَأَجِبْهُ وَقُلْ بَعْدَهُ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ إِقْبَالِ لَيْلِكَ وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ وَحُضُوْرِ صَلَاتِكَ وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ(٢) ، أَنْ تُؤْتِيَ مُحَمَّداً الْوَسِيْلَةَ(٣) »(٤)** . وَالدُّعَاءُ كَمَا سَبَقَ.

---

(١) – كقول الشاعر:

تزود قريناً من فعالك إنما قرين الفتى في القبر ما كان يعمل

(٢) – جاء في الترمذي (٣٥٨٩) وأبو داود (٥٣٠) عن أم سلمة رضي الله عنها بلفظ: «علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب: اللهم هَذَا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصواتُ دُعَاتكَ فاغفر لي».

(٣) – جاء زيادة في نسخة: (وَالْفَضِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيْعَةَ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُوْدَ الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيْعَادَ).

ثُمَّ صَلِّ الْفَـرْضَ بَعْـدَ جَـوَابِ الْمُـؤَذِّنِ وَالإِقَامَـةِ[1] ، وَصَلِّ (بَعْـدَه)[2] قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّـمَ (رَكْعَتَيْنِ)[3] ، فَهُمَا رَاتِبَةُ الْمَغْرِبِ، وَإِنْ صَلَّيْتَ بَعْدَهُمَا أَرْبَعاً (تُطِيْلُهُنَّ)[4] فَهِيَ أَيْضاً سُنَّةٌ.

وَإِنْ أَمْكَنَكَ أَنْ تَنْوِيَ الاعْتِكَافَ إِلَى الْعِشَاءِ (وَ)[5] تُحْيِيَ مَا بَيْـنَ الْعِشَـاءَيْنِ (بِـالصَّلاَةِ فَافْعَلْ)[6] ، فَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْـلِ ذَلِـكَ مَـالاَ يُحْصَـى[7] ، وَهِـيَ نَاشِئَةُ اللَّيْـلِ[8] لأَنَّهَـا أَوَّلُ (نَشْأَةٍ)[9] ، وَهِيَ صَلاَةُ الأَوَّابِينَ[10] ، وَسُئِلَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليـه وسـلم عَـنْ قَوْلِـهِ

---

(٤) – أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٠٥) عن أبي هريرة رضـي الله عنـه: أنـه كـان إذا سمع المؤذن يقيم الصلاة يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، صـل على محمدٍ وآتـهِ سؤله يوم القيامة».

(١) – أي: وبعد ركعتين خفيفتين فهما قبل المغرب سنة غير مؤكدة كما صححه النـووي. (مراقي العبودية ص٣٦).

(٢) – في نسخة: (بعده ركعتين).

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – في نسخة: (تطيلها).

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) – في نسخة: (بصلاة).

(٧) – أخرج الترمذي (٣٧٨١) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فصليتُ معه المغرب فصلى إلى العشاء».

(٨) – لقوله تعالى: ﴿إنَّ ناشئة الله هي أشد وطئاً وأقـومُ قيـلاً﴾[المزمـل: ٦]. وقـال الإمـام الفخـر الرازي في التفسير الكبير(١٧٥/٣٠) قال: روى ابن أبي مليكة، قال: سألت ابن عباس وابن الزبير عـن ناشئة الليل، فقال: الليل كله ناشئة. وقال زين العابدين رضي الله عنه: ناشئة الليل ما بـين المغرب إلى العشاء، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك والكسائي، قالوا: لأن ناشئة الليـل هـي السـاعة الـتي منهـا يبتدىء سواد الليل.

(٩) – في نسخة: (نشأته).

(١٠) – عن زيد بن أرقم أنه رأى قوماً يصلون من الضحى، فقال: لقـد علمـوا أن الصـلاة في غـير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الأوابين حـين ترمـض الفصـال».

تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[السجدة: ١٦] فَقَالَ: «**هِيَ الْصَّلاَةُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ**[١]، (**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمُلاَغَاتِ الْنَّهَارِ**)[٢] **وَتُهَذِّبُ آخِرَهُ**». (وَالْمُلاَغَاتُ)[٣] جَمْعُ مُلْغَاة، وَهِيَ مِنَ اللَّغْوِ.

فَإِذَا دَخَلَ وَقْتُ الْعِشَاءِ، فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْفَرْضِ إِحْيَاءً لِمَا بَيْنَ الأَذَانَيْنِ فَفَضْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ، وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ: «**الْدُّعَاءَ (بَيْنَ)**[٤] **الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ لاَ يُرَدُّ**»[٥].

أخرجه مسلم (٧٤٨). وانظره في الجامع الصغير (٥٠٩٧) بتحقيق شيخنا وزاد نسبته للإمام أحمد عن زيد بن أرقم، ولـ: عبد بن حميد وسمويه عن عبد الله بن أبي أوفى.

(١) – قال السيوطي في الدر المنثور (٥/١٧٥): أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود ومحمد بن نصر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه، عن أنس رضي الله عنه في قوله: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ قالوا: كانوا ينتظرون ما بين المغرب والعشاء يصلون.

وقال أيضاً: وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد وابن عدي وابن مردويه عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ قال: كان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين يصلون المغرب ويصلون بعدها إلى عشاء الآخرة فنزلت هذه الآية فيهم.

(٢) – في نسخة: (إنها تذهب بملغيات أول النهار).

(٣) – في نسخة: (والملغيات).

(٤) – في نسخة: (ما بين).

(٥) – أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤٢٥ و٤٥٦) وابن السني في عمل اليوم والليلة: (١٠٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذي (٢١٢ و٣٥٩٤) وأبو داود (٥٢١) بزيادة: (ما بين). وبقيته: (وزاد أنس راوي الحديث: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»).

وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦٧) وابن حبان (١٦٩٦)بلفظ: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء بين الأذانين والإقامة يُسْتَجَابُ، فادعوا».

ثُمَّ صَلِّ الْفَرْضَ، وَصَلِّ الرَّاتِبَةَ رَكْعَتَيْنِ، وَاقْرأْ فِيهِمَا سُورَةَ: ﴿ألم السجدة﴾ و﴿تَبَارَكَ﴾ الْمُلْكَ، أَوْ سُورَةَ ﴿يس﴾ و﴿الدُّخان﴾، فَذَلِكَ مَأْثُورٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. وَصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَفِي الْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَظِيْمِ فَضْلِهَا.

ثُمَّ صَلِّ الْوِتْرَ بَعْدَهَا ثَلاَثاً بِتَسْلِيمَتَيْنِ أَوْ بِتَسْلِيْمَةٍ وَاحِدَةٍ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِيْهَا سُورَةَ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَالإِخْلاَص وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ[١].

فَإِنْ كُنْتَ عَازِماً عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، فَأَخِّرِ الْوِتْرَ لِيَكُونَ آخِرَ صَلاَتِكَ بِاللَّيْلِ وِتْراً[٢]. ثُمَّ اشْتَغِلْ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُذَاكَرَةِ عِلْمٍ أَوْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ، وَلاَ تَشْتَغِلْ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ فَيَكُونُ ذَلِكَ خَاتِمَةُ أَعْمَالِكَ قَبْلَ نَوْمِكَ، (فَإِنَّمَا)[٣] **الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**[٤].

---

(١) - أخرج أبو داود (١٤٢٤) والترمذي (٤٦٣) وابن ماجة (١١٧٣) عن عبد العزيز بن جريج رحمه الله تعالى قال: سألنا عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «كان يقرأ في الأولى بـ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وفي الثانية ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفي الثالثة بـ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين». وصححه الحاكم (١/٣٠٥) ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٢) - أخرج البخاري في صحيحه (٩٩٨) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً».

(٣) - في نسخة: (فإن).

(٤) - أخرج ابن ماجة (٤١٩٩) وابن حبان (٣٣٩) بإسنادٍ حسن، عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بخواتيمها، كالوعاء إِذَا طابَ أعلاه طابَ أَسْفَلُهُ، وإذا خَبُثَ أعلاه خبثَ أسفلهُ».

وأخرج ابن حبان في صحيحه (٣٤٠) عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الأعمالُ بالخواتيم».

آدَابُ النَّوْمِ

فَإِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ، فَابْسُطْ فِرَاشَكَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَنَمْ عَلَى يَمِينِكَ كَمَا يُضْجَعُ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ(١) .

وَاعْلَم: أَنَّ النَّوْمَ مِثْلُ الْمَوْتِ، وَالْيَقَظَةَ مِثْلُ الْبَعْثِ، وَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبِضُ رُوحَكَ فِي لَيْلَتِكَ، فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلِقَائِهِ؛

١- بِأَنْ تَنامَ عَلَى طَهَارَةٍ.

٢- وَتَكُونَ وَصِيَّتُكَ مَكْتُوبَةً تَحْتَ (وِسَادَتِكَ)(٢) .

٣- وَتَنَامُ تَائِباً مِنَ الذُّنُوبِ مُسْتَغْفِراً، عَازِماً عَلَى أَنْ لاَ تَعُودَ إِلَى مَعْصِيَةٍ(٣) .

٤- وَاعْزِمْ عَلَى الْخَيْرِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ بَعَثَكَ اللهُ تَعَالَى، وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ سَتُضْجَعُ فِي اللَّحْدِ كَذَلِكَ وَحِيداً فَرِيداً، لَيْسَ مَعَكَ إِلاَّ عَمَلُكَ، وَلاَ تُجْزَى إِلاَّ بِسَعْيِكَ.

---

(١) - أخرج البخاري (٦٢٦) والنسائي (١٧٦١) عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ بالأُولَى مِنْ صَلاَةِ الْفَجْرِ قَامَ فَرَكَعَ ركعتين خفيفتين قبل صلاة الفجر بعد أن يتبين الفجرُ، ثم يضطجع على شقهِ الأيمنِ».

(٢) - في نسخة: (رَأْسِكَ). أخرج ابن ماجة (٢٧٠٠) بإسناد ضعيف، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المحروم من حُرِمَ وَصِيَّتَهُ». وَأَخْرَجَ أَيضاً (٢٧٠١) بإسنادٍ ضعيف. عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات على وصية، مات على سبيلٍ وسُنَّةٍ. ومات على تقى وشهادة. ومات مغفوراً لهُ».

وأخرج أيضاً (٢٧٠٢) عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين، وله شيءٌ يوصي به، إلا ووصيته مكتوبةٌ عنده».

(٣) - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات، غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا». أخرجه الترمذي (٣٣٩٧)

٥- وَلاَ تَسْتَجْلِبِ النَّوْمَ تَكَلُّفاً بِتَمْهِيدِ (الْفُرُشِ)[١] الْوَطِيئَةِ، فَإِنَّ النَّوْمَ تَعْطِيلٌ (لِلْحَيَاةِ)[٢]، إِلاَّ إِذَا كَانَتْ يَقَظَتُكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، فَنَوْمُكَ سَلاَمَةٌ لِدِينِكَ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً، فَلاَ يَكُنْ نَوْمُكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِ سَاعَاتٍ، فَيَكْفِيكَ إِنْ عِشْتَ مَثَلاً سِتِّينَ سَنَةً أَنْ تُضَيِّعَ مِنْهَا عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ ثُلُثُ عُمُرِكَ.

٦- وَأَعِدَّ عِنْدَ النَّوْمِ سِوَاكَكَ وَطَهُورَكَ[٣].

٧- وَاعْزِمْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ أَوْ عَلَى الْقِيَامِ قَبْلَ الصُّبْحِ، (فَرَكْعَتَانِ)[٤] فِي جَوْفِ اللَّيْلِ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ، فَاسْتَكْثِرْ مِنْ كُنُوزِكَ لِيَوْمِ فَقْرِكَ، فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكَ كُنُوزُ الدُّنْيَا إِذَا مِتَّ.

٨- وَقُلْ عِنْدَ نَوْمِكَ: «**بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِاسْمِكَ أَرْفَعُهُ، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ (تَبْعَثُ)[٥] عِبَادَكَ، اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ، أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، (اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ)[٦]، اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ**

---

(١) - في نسخة: (الفراش).

(٢) - في نسخة: (الحياة).

(٣) - أخرج مسلم (٢٢١ و٥٣٠ و٥٣١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنا نعد له - تعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم - سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه، فيتسوك، ويتوضأ، ويصلي تسع ركعات.

(٤) - في نسخة: (وركعتان).

(٥) - في نسخة: (تجمع).

(٦) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ (فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)[1] ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنِي فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ إِلَيْكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَيْكَ، (لِتُقَرِّبَنِي)[2] إِلَيْكَ زُلْفَى، وَتُبْعِدَنِي عَنْ سُخْطِكَ بُعْداً، أَسْأَلُكَ فَتُعْطِيَنِي، وَأَسْتَغْفِرُكَ فَتَغْفِرَ لِي، وَأَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي»[3] .

ثُمَّ اقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[4] ، وَالإِخْلاَصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ[5] ، (وَتَبَارَكَ)[6] الْمُلْكَ[7] .

وَلْيَأْخُذْكَ النَّوْمُ وَأَنْتَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ وَعَلَى الطَّهَارَةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ، وَكُتِبَ مُصَلِّياً إِلَى أَنْ يَسْتَيْقِظَ.

---

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – في نسخة: (حتى تقربني).

(٣) – أخرجه الترمذي (٣٣٩٨) وابن ماجة (٣٨٧٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٩٠) وابن السني (٧٦٥) بلفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قام أحدكم عن فراشه من الليل ثم عاد إليه فَلينفضه بصنفة إزاره ثلاث مرت، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، فإذا اضطجع فليقل: بسمك اللهم وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن رددتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

(٤) – عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه». قال عبد الرحمن: فلقيت أبا مسعود وهو يطوف بالبيت فسألته فحدثنيه. أخرجه البخاري (٤٠٠٨).

(٥) – عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قل هو الله أحد﴾ و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. أخرجه البخاري (٥٠١٧)

(٦) – في نسخة: (وسورة تبارك).

(٧) – أخرج أحمد (٣/٣٤٠) والترمذي (٢٨٩٤ و٣٤٠١) والدارمي (٣٤١٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٠٦ – ٧٠٩) وابن السني (٦٧٥) عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ: ﴿ألم، تنزيل الكتاب﴾ و﴿تبارك الذي بيده الملك﴾.

فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَارْجِعْ إِلَى مَا عَرَّفْتُكَ أَوَّلاً، وَدَاوِمْ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ بَقِيَّةَ عُمُرِكَ، فَإِنْ شَقَّتْ عَلَيْكَ الْمُدَاوَمَةُ فَاصْبِرْ صَبْرَ الْمَرِيضِ عَلَى مَرَارَةِ الدَّوَاءِ انْتِظَاراً لِلْشِّفَاءِ، وَتَفَكَّرْ فِي قِصَرِ عُمُرِكَ، وَإِنْ عِشْتَ مَثَلاً: مِئَةَ سَنَةٍ فَهِيَ قَلِيلَةٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى مُقَامِكَ(١) فِي الدَّارِ الآخِرَةِ وَهِيَ أَبَدُ الآبَادِ.

وَتَأَمَّلْ أَنَّكَ كَيْفَ تَتَحَمَّلُ الْمَشَقَّةَ وَالذُّلَّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا شَهْراً أَوْ سَنَةً رَجَاءَ أَنْ تَسْتَرِيحَ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً مَثَلاً، فَكَيْفَ لاَ تَتَحَمَّلُ ذَلِكَ أَيَّاماً قَلاَئِلَ رَجَاءَ الاسْتِرَاحَةِ أَبَدَ الآبَادِ.

وَلاَ تُطَوِّلْ أَمَلَكَ فَيَثْقُلُ عَلَيْكَ عَمَلُكَ(٢)، وَقَدِّرْ قُرْبَ الْمَوْتِ، وَقُلْ فِي نَفْسِكَ: (إِنِّي أَتَحَمَّلُ)(٣) الْمَشَقَّةَ الْيَوْمَ فَلَعَلِّي أَمُوتُ اللَّيْلَةَ، وَأَصْبِرُ اللَّيْلَةَ، (فَلَعَلِّي)(٤) أَمُوتُ غَداً، فَإِنَّ الْمَوْتَ لاَ يَهْجُمُ(٥) فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ، وَحَالٍ مَخْصُوصٍ، وَسِنٍّ مَخْصُوصٍ، فَلاَ بُدَّ مِنْ هُجُومِهِ، فَالاسْتِعْدَادُ لَهُ أَوْلَى مِنَ الاسْتِعْدَادِ لِلْدُّنْيَا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لا تَبْقَى فِيهَا إِلاَّ مُدَّةً يَسِيرَةً، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجَلِكَ إِلاَّ يَوْمٌ وَاحِدٌ أَوْ نَفَسٌ وَاحِدٌ.

فَقَدِّرْ هَذَا فِي قَلْبِكَ كُلَّ يَوْمٍ، وَكَلِّفْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ يَوْماً فَيَوْماً، فَإِنَّكَ لَوْ قَدَّرْتَ الْبَقَاءَ خَمْسِينَ سَنَةً، وَأَلْزَمْتَهَا الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، نَفَرَتْ وَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيْكَ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَرِحْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَرَحاً لاَ آخِرَ لَهُ، وَإِنْ سَوَّفْتَ وَتَسَاهَلْتَ جَاءَكَ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ لاَ تَحْتَسِبُهُ، وَتَحَسَّرْتَ تَحَسُّراً لاَ آخِرَ لَهُ،

وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى(٦)

وَعِنْدَ الْمَوْتِ يَأْتِيكَ (الْخَبَرُ الْيَقِينُ)(٧) ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[ص: ٨٨].

---

(١) – أي: إقامتك.

(٢) – وتسوف بالعمل نفسك.

(٣) – في نسخة: (إني أحتمل).

(٤) – في نسخة: (لعلي).

(٥) – أي: لا يدخل.

(٦) – السُّرَى: سير أول الليل. انظر بقية البيت في مجمع الأمثال للميداني رقم (٢٣٨٢).

(٧) – في نسخة: (خبر العقبى).

وَإِذَا أَرْشَدْنَاكَ إِلَى تَرْتِيبِ الأَوْرَادِ، فَلْنَذْكُرْ لَكَ كَيْفِيَّةِ الْصَّلاَةِ وَالْصَّوْمِ، وَآدَابَهُمَا وَآدَابَ (الْقُدْوَةِ وَالْجُمُعَةِ)[١] .

آدَابُ الْصَّلاَةِ

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَةِ (الْحَدَثِ وَطَهَارَةِ الْخَبَثِ)[٢] فِي الْبَدَنِ[٣] وَالْثِّيَابِ وَالْمَكَانِ وَمِنْ سَتْرِ الْعَوْرَةِ مِنَ الْسُّرَّةِ إِلَى الْرُّكْبَةِ، فَاسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ[٤] قَائِماً (مُزَاوِجاً)[٥] بَيْنَ قَدَمَيْكَ بِحَيْثُ لاَ تَضُمُّهُمَا، وَاسْتَوِ قَائِماً (وَاقْرَأْ)[٦] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْنَّاسِ﴾ تَحَصُّناً بِهَا مِنَ الْشَّيْطَانِ الْرَّجِيمِ. وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ (مَا أَنْتَ فِيهِ)[٧] وَفَرِّغْهُ مِنَ (الْوَسْوَاسِ)[٨] ، وَانْظُرْ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَقُومُ وَمَنْ تُنَاجِي؟ وَاسْتَحِ أَنْ تُنَاجِي مَوْلاَكَ بِقَلْبٍ غَافِلٍ وَصَدْرٍ مَشْحُونٍ بِوَسَاوِسِ الْدُّنْيَا وَخَبَائِثِ الْشَّهَوَاتِ.

وَاعْلَم: (أَنَّهُ)[٩] تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى سَرِيْرَتِكَ وَنَاظِرٌ إِلَى قَلْبِكَ، فَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنْ صَلاَتِكَ بِقَدْرِ خُشُوْعِكَ وَخُضُوْعِكَ، وَتَوَاضُعِكَ وَتَضَرُّعِكَ، وَاعْبُدْهُ فِي صَلاَتِكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

---

(١) – في نسخة: (القدوة والجماعة والجمعة).

(٢) – في نسخة: (الخبث وَطَهارة الحدث).

(٣) – حتى داخل الفم والأنف والعين والأذن.

(٤) – أي: عينها مطلقاً ، في القرب يقيناً، وفي البعد ظناً. (مراقي العبودية ص٤١).

(٥) – في نسخة: (مفرجاً).

(٦) – في نسخة: (ثم اقرأ).

(٧) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٨) – في نسخة: (الوساوس).

(٩) – في نسخة: (أن الله).

فَإِنْ لَمْ يَحْضُرْ قَلْبُكَ، وَلَمْ تَسْكُنْ جَوَارِحُكَ، (لِقُصُوْرِ)[1] مَعْرِفَتِكَ بِجَلَالِ اللهِ تَعَالَى، فَقَدِّرْ أَنَّ رَجُلاً صَالِحاً مِنْ وُجُوْهِ أَهْلِ بَيْتِكَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ لِيَعْلَمَ كَيْفَ صَلاَتُكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْضُرُ قَلْبُكَ، وَتَسْكُنُ جَوَارِحُكَ، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى نَفْسِكَ (وَقُلْ)[2] : يَا نَفْسَ السُّوْءِ أَلاَ (تَسْتَحِيْنَ)[3] مِنْ خَالِقِكِ وَمَوْلاَكِ؟! إِذَا قَدَّرْتِ اطِّلاَعَ عَبْدٍ ذَلِيْلٍ مِنْ عِبَادِهِ (عَلَيْكِ)[4] وَلَيْسَ بِيَدِهِ (ضَرُّكِ وَلاَ نَفْعُكِ)[5] ، خَشَعَتْ جَوَارِحُكِ، وَحَسُنَتْ صَلاَتُكِ، ثُمَّ إِنَّكِ تَعْلَمِيْنَ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكِ، وَلاَ تَخْشَعِيْنَ لِعَظَمَتِهِ، أَهُوَ تَعَالَى عِنْدَكِ أَقَلُّ مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ؟ فَمَا أَشَدَّ طُغْيَانَكِ وَجَهْلَكِ؟ وَمَا أَعْظَمَ عَدَاوَتَكِ لِنَفْسِكِ؟.

(وَعَالِج)[6] قَلْبَكَ بِهَذِهِ الْحِيَلِ[7] ، فَعَسَاهُ أَنْ يَحْضُرَ مَعَكَ فِي صَلاَتِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلاَتِكَ إِلاَّ مَا عَقَلْتَ مِنْهَا، وَأَمَّا مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعَ الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، فَهُوَ إِلَى الاسْتِغْفَارِ وَالتَّكْفِيْرِ أَحْوَجُ[8] .

فَإِذَا حَضَرَ قَلْبُكَ، فَلاَ تَتْرُكْ الإِقَامَةَ، وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ. وَإِنِ انْتَظَرْتَ حُضُوْرَ (جَمَاعَةٍ)[9] ، فَأَذِّنْ ثُمَّ أَقِمْ، فَإِذَا أَقَمْتَ فَانْوِ، وَقُلْ فِي قَلْبِكَ: أُؤَدِّي فَرْضَ الظُّهْرِ للهِ تَعَالَى،

---

(١) – في نسخة: (فهذا لقصور).

(٢) – في نسخة: (فقل).

(٣) – في نسخة: (تستحي).

(٤) – في نسخة: (اطلع عليك).

(٥) – في نسخة: (نفعك ولا ضرك).

(٦) – في نسخة: (فعالج).

(٧) –وهي: الحذق في تدبير الأمور.

(٨) – لأن في صلاتك خلالاً لعدم حضور قلبك فالخشوع في الصلاة ولو في جزء منها واجب لكنه ليس شرطاً لصحة الصلاة كما أفاده شيخنا أحمد النحراوي. (مراقي العبودية ص٤٣).

(٩) – في نسخة: (جماعة غيرك).

وَلْيَكُنْ ذَلِكَ حَاضِراً فِي قَلْبِكَ عِنْدَ تَكْبِيْرِكَ، (وَلاَ)[1] تَعْـزُبْ عَنْـكَ النِّيَّـةُ قَبْـلَ الْفَـرَاغِ مِـنَ التَّكْبِيْرِ[2].

وَارْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ التَّكْبِيْرِ بَعْدَ إِرْسَالِهِمَا أَوَّلاً إِلَى (حَذْوِ)[3] مَنْكِبَيْكَ وَهُمَا مَبْسُـوْطَتَان، وَأَصَابِعُهُمَا مَنْشُوْرَةٌ، وَلاَ تَتَكَلَّفْ ضَمَّهَا وَلاَ (تَفْرِيْجَهَا)[4]، (بِحَيْثُ)[5] تُحَاذِي بِإِبْهَامَيْكَ شَحْمَتَي أُذُنَيْكَ (وَبِرُؤُوْسِ)[6] أَصَابِعِكَ أَعْلَى أُذُنَيْكَ (وبِكَفَّيكَ)[7] مَنْكِبَيْكَ، فَـإِذَا اسْـتَقَرَّتَا فِي مَقَرِّهِمَا فَكَبِّرْ، ثُمَّ أَرْسِلْهُمَا بِرِفْقٍ، وَلاَ تَدْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ الرَّفْعِ وَالإِرْسَالِ إِلَى قُدَّامٍ دَفْعـاً، وَلاَ إِلَى خَلْفٍ رَفْعاً، وَلاَ تَنْفُضْهُمَا يَمِيناً وَلاَ شِمَالاً، فَإِذَا أَرْسَلْتَهُمَا فَاسْتَأْنِفْ رَفْعَهُمَـا إِلَـى صَدْرِكَ، وَأَكْرِمِ الْيُمْنَى بِوَضْعِهَـا عَلَـى (الْيُسْرَى)[8] . وَانْشُـرْ أَصَـابِعَ الْيُمْنَـى عَلَـى طُـوْلِ ذِرَاعِكَ الْيُسْرَى، وَاقْبِضْ بِهَا عَلَى كُوْعِهَا.

وَقُـلْ بَعْـدَ التَّكْبِيْرِ: **«ا للهُ أَكْـبَرُ كَبِـيْراً، وَالْحَمْـدُ للهِ كَثِـيْراً، وَسُـبْحَانَ ا للهِ بُكْـرَةً وَأَصِيْلاً»**[9] . ثُمَّ اقْرَأْ: **«وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيْفـاً مُسْـلِماً،**

---

(١) – في نسخة: (لا).

(٢) – لأنه الواجب عند الشافعي والأكمل عند إمام الحرمين.

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – في نسخة: (تفريقها). قـال الإمـام محمـد نـووي الجـاوي في مراقـي العبوديـة (ص٤٤): بـل اتركها على مقتضى طبعها... لكـن قـال ابـن حجـر كشيخ الإسـلام، ويسـن كشـف الكفـين ونشـر الأصابع وتفريقها وسطاً.

(٥) – في نسخة: (وارفع يديك بحيث).

(٦) – في نسخة: (ورؤوس).

(٧) – في نسخة: (وتحاذي بكفيك).

(٨) – في نسخة: (الشمال).

(٩) – أخرجه الطيالسي (٩٤٧). وأبو داود (٧٦٤) وابن ماجة (٨٠٧) وابن خزيمة (٤٦٨). ابـن حبان في صحيحه (١٧٨٠ و٢٦٠١) عن جبير بن مطعم. وذكره النووي في الأذكار رقم: (١١٨).

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، لاَ شَرِيْكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ»[1].

ثُمَّ قُلْ: «**أَعُوْذُ بِا للهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ**»[2]، ثُمَّ اقْرَأْ الْفَاتِحَةَ[3] بِتَشْدِيْدَاتِهَا، وَاجْتَهِدْ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ فِي قِرَاءَتِكَ فِي الصَّلاَةِ، وَقُلْ آمِيْنَ[4]، وَلاَ تَصِلْهُ بِقَوْلِكَ: ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ وَصلاً.

وَاجْهَرْ بِالْقِرَاءَةِ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ أَعْنِي فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأَوْلَيَيْنِ، إِلاَّ أَنْ تَكُوْنَ مَأْمُوْماً، وَاجْهَرْ بِالتَّأْمِيْنِ.

وَاقْرَأْ فِي الصُّبْحِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ مِنَ السُّوَرِ (الطِّوَالِ مِنَ)[5] الْمُفَصَّلِ[6]، وَفِي الْمَغْرِبِ مِنْ قِصَارِهِ، وَفِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْعِشَاءِ مِنْ أَوْسَاطِهِ، نَحْوَ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوْجِ﴾ وَمَا قَارَبَهَا مِنَ السُّوَرِ، وَفِي الصُّبْحِ فِي السَّفَرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾.

وَلاَ تَصِلْ آخِرَ السُّوْرَةِ (بِتَكْبِيْرِ)[7] الرُّكُوْعِ، وَلَكِنِ افْصِلْ بَيْنَهُمَا بِمِقْدَارِ: «**سُبْحَانَ اللهِ**».

---

(١) – أخرجه أحمد (١/٩٥ و١٠٢ و١١٩) ومسلم (٧٧١). وأبو داود: (٧٦٠) والترمذي (٣٤٢٠) والنسائي (٨٩٦) عن علي رضي الله عنه.

(٢) – أخرج أحمد (٤/٨٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/٣٥) عن جبير بن مطعم قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل القراء في الصلاة: «أعوذ با لله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه».

(٣) – أخرج ابن حبان (٤٥٧) موارد. وابن خزيمة (٤٩٠) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجزىء صلاةٌ لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب».

(٤) – أخرج البخاري (٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أمَّنَ الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٥) – في نسخة: (طوال).

(٦) – وأول المفصل: الحجرات وآخره النبأ، وطواله كسورة ق والمرسلات.

(٧) – في نسخة: (بتكبيرة).

وَكُنْ فِي جَمِيعِ قِيَامِكَ مُطْرِقاً قَاصِراً نَظَرَكَ عَلَى مُصَلاَّكَ، فَذَلِكَ أَجْمَعُ لِهَمِّكَ وَأَجْدَرُ لِحُضُوْرِ قَلْبِكَ[1]، وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْتَفِتَ يَمِيناً وَشِمَالاً فِي صَلاَتِكَ.

ثُمَّ كَبِّرْ لِلرُّكُوْعِ، وَارْفَعْ يَدَيْكَ كَمَا سَبَقَ، وَمُدَّ التَّكْبِيْرَ إِلَى انْتِهَاءِ الرُّكُوْعِ، ثُمَّ ضَعْ رَاحَتَيْكَ عَلَى رُكْبَتَيكَ وَأَصَابِعَكَ مَنْشُورَةٌ، وَانْصُبْ رُكْبَتَيْكَ، وَمُدَّ ظَهْرَكَ وَعُنُقَكَ وَرَأْسَكَ مُسْتَوِياً (كَالصَّفِيْحَةِ)[2] الْوَاحِدَةِ، وَجَافِ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وَالْمَرْأَةُ لاَ تَفْعَلُ ذَلِكَ بَلْ تَضُمُّ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَقُلْ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيْمِ (ثَلاَثاً)**[3]»[4]. وَإِنْ كُنْتَ مُنْفَرِداً فَالزِّيَادَةُ إِلَى (سَبْعٍ وَعَشرٍ)[5] حَسَنٌ.

ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِماً، وَارْفَعْ يَدَيْكَ قَائِلاً: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»[6]. فَإِذَا اسْتَوَيْتَ قَائِماً فَقُلْ: «**رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»[7].

وَإِنْ كُنْتَ فِي فَرِيضَةِ الصُّبْحِ فَاقْرَأِ الْقُنُوْتَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فِي اعْتِدَالِكَ مِنَ الرُّكُوْعِ[8].

---

(١) – قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص٤٥): نعم السنة أن يقصر نظره على مسبحته ما دامت مرتفعة بعد أن يشير بها عند قوله: إلا الله في التشهد ولو مستورة ولتكن منحنية متوجهة للقبلة ويستمر كذلك إلى القيام من التشهد الأول أو السلام في التشهد الأخير.

(٢) – في نسخة: (كالصحيفة). والصفيحة: اللوح.

(٣) – في نسخة: (وبحمده).

(٤) – أخرج أبو داود (٨٨٦) والترمذي (٢٦١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال أحدكم: سبحان ربي العظيم ثلاثاً فقد تم ركوعه».

(٥) – في نسخة: (السبع والعشر).

(٦) – أخرج البخاري (٧٩٥) ومسلم (٣٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سمع الله لمن حمده، حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم: ربّنا لك الحمد».

(٧) – أخرج مسلم (٤٧٦) وأبو داود (٨٤٦) والترمذي (٣٥٤١) عن علي وابن أبي أوفى رضي الله عنهم، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه قال: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ملءَ السماوات وملءَ الأرض، وملء ما شئت من شيء بعدُ».

ثُمَّ اسْجُدْ مُكَبِّراً غَيْرَ رَافِعِ الْيَدَيْنِ، وَضَعْ أَوَّلاً عَلَى الأَرْضِ رُكْبَتَيْكَ ثُمَّ يَدَيْكَ ثُمَّ جَبْهَتَكَ مَكْشُوفَةً، وَضَعْ أَنْفَكَ مَعَ الْجَبْهَةِ، وَجَافِ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وَأَقِلَّ بَطْنَكَ عَنْ فَخِذَيْكَ، وَالْمَرْأَةُ لاَ تَفْعَلُ ذَلِكَ، وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَى الأَرْضِ حَذْوَ مَنْكِبَيْكَ، وَلاَ تَفْرُشْ ذِرَاعَيْكَ عَلَى الأَرْضِ، وَقُلْ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**»[1] ثَلاَثاً أَوْ سَبْعاً أَوْ عَشْراً إِنْ كُنْتَ مُنْفَرِداً.

ثُمَّ (ارْفَعْ)[2] رَأْسَكَ مِنَ السُّجُوْدِ مُكَبِّراً حَتَّى تَعْتَدِلَ جَالِساً: وَاجْلِسْ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى وَانْصِبْ قَدَمَكَ الْيُمْنَى، وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَى فَخِذَيْكَ وَالأَصَابِعَ مَنْشُورَةً، وَقُلْ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَاهْدِنِي وَاجْبُرْنِي وَعَافِنِي وَاعْفُ عَنِّي**»[3].

ثُمَّ اسْجُدْ سَجْدَةً ثَانِيَةً كَذَلِكَ، ثُمَّ اعْتَدِلْ جَالِساً (لِلاسْتِرَاحَةِ)[4] فِي كُلِّ رَكْعَةٍ لاَ تَتَشَهَّدُ عَقِبَهَا.

ثُمَّ تَقُوْمُ وَتَضَعُ الْيَدَيْنِ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ تُقَدِّمْ إِحْدَى رِجْلَيْكَ فِي حَالَةِ الارْتِفَاعِ، وَابْتَدِئْ بِتَكْبِيْرَةِ الارْتِفَاعِ عِنْدَ الْقُرْبِ مِنْ حَدِّ جَلْسَةِ الاسْتِرَاحَةِ، وَمُدَّهَا إِلَى (انْتِصَافِ)[5] ارْتِفَاعِكَ إِلَى (قِيَامِكَ)[6]، وَلْتَكُنْ هَذِهِ الْجَلْسَةُ جَلْسَةً خَفِيْفَةً مُخْتَطَفَةً[7].

---

(٨) – عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت». أخرجه أبو داود (١٤٢٥ و١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) والنسائي (٢٤٨/٣). وابن ماجة (١١٧٨). والحاكم (١٧٢/٣).

(١) – أخرج أبو داود (٨٨٦) والترمذي (٢٦١) وابن ماجة (٨٩٠) عن ابن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سجد أحدكم فليقل: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً وذلك أدناه». وقال بهاء الدين المقدسي في العدة شرح العمدة (ص٩٤): رواه الأثرم والترمذي.

(٢) – في نسخة: (ترفع).

(٣) – أخرجه أبو داود (٨٥٠) والترمذي (٢٨٤) وابن ماجة (٨٩٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٢/٢) والحاكم (٢٦٢/١ و٢٧١) عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٤) – في نسخة: (جلسة الاستراحة).

وَصَلِّ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ كَالأُوْلَى وَأَعِدْ التَّعَوُّذَ فِي الابْتِدَاءِ.

ثُمَّ (اجْلِسْ)[1] فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ لِلتَّشَهُّدِ الأَوَّلِ، وَضَعْ الْيَدَ الْيُمْنَى فِي (جُلُوْسِ التَّشَهُّدِ)[2] عَلَى الفَخِذِ الْيُمْنَى مَقْبُوْضَةَ الأَصَابِعِ إِلاَّ الْمُسَبِّحَةَ وَالإِبْهَامَ فَتُرْسِلُهُمَا، (وَانْشُرْ مُسَبِّحَةَ)[3] يُمْنَاكَ عِنْدَ قَوْلِكَ: «إِلاَّ اللهُ»، لا عِنْدَ قَوْلِكَ: «لاَ إِلَهَ»، وَضَعْ الْيَدَ الْيُسْرَى مَنْشُوْرَةَ الأَصَابِعِ عَلَى الْفَخِذِ الْيُسْرَى، وَاجْلِسْ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى فِي هَذَا التَّشَهُّدِ كَمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، وَفِي التَّشَهُّدِ الأَخِيْرِ مُتَوَرِّكاً.

وَاسْتَكْمِلِ الدُّعَاءَ الْمَعْرُوْفَ الْمَأْثُوْرَ بَعْدَ الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَاجْلِسْ فِيْهِ عَلَى وَرِكِكَ الأَيْسَرِ، وَضَعْ رِجْلَكَ الْيُسْرَى خَارِجَةً مِنْ تَحْتِكَ، وَانْصُبْ الْقَدَمَ الْيُمْنَى.

ثُمَّ قُلْ بَعْدَ الْفَرَاغِ: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ**»[4] مَرَّتَيْنِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَالْتَفِتْ بِحَيْثُ يُرَى بَيَاضُ خَدَّيْكَ مِنْ جَانِبَيْكَ.

وَانْوِ الْخُرُوْجَ مِنَ الصَّلاَةِ، وَانْوِ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَلَى جَانِبَيْكَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَالْمُسْلِمِيْنَ.

وَهَذِهِ هَيْئَةُ صَلاَةِ الْمُنْفَرِدِ.

---

(٥) – في نسخة: (منتصف).

(٦) – في نسخة: (القيام).

(٧) – أي: سريعة، فلا يجوز تطويلها كالجلوس بين السجدتين كما قاله ابن حجر. (مراقي العبودية ص٤٦).

(١) – في نسخة: (تجلس).

(٢) – في نسخة: (جلوسك للتشهد الأول).

(٣) – في نسخة: (وأشر بمسبحة).

(٤) – أخرج أبو داود (٩٩٧) عن وائل بن حجر رضي الله عنه أنه قال: صَلَّيْتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم فَكَانَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِيْنِهِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، وعن شماله: السلام عليكم ورحمة الله.

وَعِمَادُ الصَّلاَةِ: الْخُشُوْعُ[1]، وَحُضُوْرُ الْقَلْبِ، مَعَ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ (بِالْفَمِ)[2].

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كُلُّ صَلاَةٍ لاَ يَحْضُرُ فِيْهَا الْقَلْبُ فَهِيَ إِلَى الْعُقُوْبَةِ أَسْرَعُ.

وَقَالَ (رَسُوْلُ اللهِ)[3] صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ فَلاَ يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا سُدُسُهَا وَلاَ عُشْرُهَا، وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلاَتِهِ بِقَدْرِ مَا عَقَلَ مِنْهَا»[4].**

---

(١) – ذكر الهيثمي في المجمع: (٢٨١٣) عن أبي الدرداء، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لاترى فيها خاشعاً». قال: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

وأخرج ابن المبارك في الزهد: (١١٩) والطبراني في الكبير (٩٣٤٢) عن الأعمش قال: كان عبد الله إذا صلى كأنه ثوبٌ مُلقى. قال الهيثمي في المجمع (٢٨١٦): رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون والأعمش لم يدرك ابن مسعود.

(٢) – في نسخة: (بالفهم).

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – لم أجده بلفظ المصنف. وإنما جاء فيما أخرج أحمد (٣٢١/٤) والحميدي (١٤٥) وأبو داود (٧٩٦) والنسائي في الكبرى (٥٢٥). عن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ الرجل لينصرف وما كتب له إلا عُشرُ صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها».

وأخرج أحمد (٣١٩/٤) والنسائي في الكبرى (٥٢٤) أنَّ عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرجل ليصلي، ولعله أن لا يكون له من صلاته إلا عشرها، أو تسعها، أو ثمنها، أو سبعها، حتى انتهى إلى آخرِ العدد».

وأخرج الطيالسي (٦٥٠) وابن حبان (١٨٨٩) أنَّ عمار بن ياسر صلى ركعتين، فخففهما، فقال له عبد الرحمن بن الحارث: يا أَبَا الْيَقْظَانِ، أَرَاكَ قَدْ خَفَّفْتَهُمَا، قَالَ: إني بادرت بهما الوسواس، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرجل ليصلي الصلاة، ولعله لا يكون له منها إلا عشرها، أو تسعها، أو ثمنها، أو سبعها، أو سدسها» حتى أتى على العدد. قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله تعالى: هذا إسنادٌ يوهم من لم يحكم صناعة العلم أنه منفصل غيرُ متصل، وليس كذلك؛ لأن عمر

آدابُ
الإمَامَةِ وَالْقُدْوَةِ

يَنْبَغِي لِلإِمَامِ:

١- أَنْ يُخَفِّفَ الصَّلاَةَ، قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ صَلاَةً أَخَفَّ وَلاَ أَتَمَّ مِنْ صَلاَةِ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم**»[١].

٢- وَلاَ يُكَبِّرُ مَالَمْ يَفْرَغِ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الإِقَامَةِ، وَمَالَمْ (تَسْتَوِ)[٢] الصُّفُوْفُ.

٣- وَيَرْفَعُ الإِمَامُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيْرَاتِ، وَلاَ يَرْفَعُ الْمَأْمُوْمُ صَوْتَهُ إِلاَّ بِقَدْرِ مَا يُسْمِعُ نَفْسَهُ.

٤- وَيَنْوِي الإِمَامُ الإِمَامَةَ لِيَنَالَ الْفَضْلَ، (فَإِذَا)[٣] لَمْ يَنْوِ صَحَّتْ صَلاَةُ الْقَوْمِ إِذَا نَوَوْا الاقْتِدَاءَ بِهِ، وَنَالُوا فَضْلَ الْقُدْوَةِ.

٥- وَيُسِرُّ بِدُعَاءِ الاسْتِفْتَاحِ[٤] وَالتَّعَوُّذِ كَالْمُنْفَرِدِ، وَيَجْهَرُ بِالْفَاتِحَةِ وَالسُّوْرَةِ فِي جَمِيْعِ الصُّبْحِ (وَأُوْلَتَي)[٥] الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَكَذَلِكَ الْمُنْفَرِدُ، وَيَجْهَرُ بِقَوْلِهِ: «آمِيْنَ» فِي الْجَهْرِيَّةِ[٦] وَكَذَلِكَ الْمَأْمُوْمُ، وَيَقْرُنُ[٧] الْمَأمومُ تَأْمِيْنَهُ بِتَأْمِيْنِ الإِمَامِ مَعاً، لاَ تَعْقِيباً لَهُ.

بن أبي بكر سمع هذا الخبرَ عن جده عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن عمار بن ياسر، على ما ذكره عُبيد الله بن عمر، لأن عمر بن أبي بكر لم يسمعه من عمار على ظاهره.

وأخرج ابن ماجة (٤٢٠٠) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن، وصلى في السر فأحسن - قال الله عز وجل: هذا عبدي حقّاً».

(١) - أخرجه البخاري (٧٠٨) ومسلم (١٩٠).

(٢) - في نسخة: (تَسَوَّ).

(٣) - في نسخة: (فإن).

(٤) - وهو: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين». وفي رواية: «وأنا من المسلمين».

(٥) - في نسخة: (وأوليتي).

٦- وَيَسْكُتُ الإِمَامُ سَكْتَةً عَقِبَ الْفَاتِحَةِ لِيَثُوْبَ إِلَيْهِ نَفَسَهَ، وَيَقْرَأُ الْمَأْمُوْمُ الْفَاتِحَةَ فِي الْجَهْرِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّكْتَةِ، لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الاسْتِمَاعِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الإِمَامِ، وَلاَ يَقْرَأُ الْمَأْمُوْمُ السُّوْرَةَ فِي الْجَهْرِيَّةِ إِلاَّ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ الإِمَامِ.

٧- وَلاَ يَزِيْدُ الإِمَامُ عَلَى (ثَلاَثٍ)[١] فِي تَسْبِيْحَاتِ الرُّكُوْعِ وَالسُّجُوْدِ.

٨- وَلاَ يَزِيْدُ فِي التَّشَهُّدِ الأَوَلِ بَعْدَ قَوْلِهِ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»[٢] .

٩- وَيَقْتَصِرُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأَخِيْرَتَيْنِ عَلَى الْفَاتِحَةِ، وَلاَ يُطَوِّلُ عَلَى الْقَوْمِ.

١٠- وَلاَ يَزِيْدُ دُعَاءَهُ[٣] فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيْرِ عَلَى قَدْرِ تَشَهُّدِهِ وَصَلاَتِهِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

---

(٦) – قال الإمام النووي في الأذكار (ص٧٥): ويستحب التأمين في الصلاة للإمام والمأموم والمنفرد، ويجهر به الإمام والمنفرد في الصلاة الجهرية، والصحيح أيضاً أن المأموم يجهر به، سواء كان الجمع قليلاً أو كثيراً.

ويستحب أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده، وليس في الصلاة موضع يستحب أن يقترن فيه قول المأموم بقول الإمام إلا في قوله: «آمين»، وأما باقي الأقوال فيتأخر قول المأموم.

(٧) – بضم الراء على الأفصح وقد تكسر. (مراقي العبودية ص٤٨).

(١) – في نسخة: (الثلاثة).

(٢) – قال الإمام النووي في الأذكار (ص٩٤) ولا تجب الصلاة على آل النبي صلى الله عليه وسلم فيه على المذهب الصَّحِيْحِ المشهور لكن تُسْتَحَبُّ. قال بعض أصحابنا: تجب، والأفضل أن يقول: «اللهمَّ صلى على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد». أخرجه البخاري (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦) وأبو داود (٩٧٦) والترمذي (٤٨٣) والنسائي (٤٧/٣) وابن ماجة (٩٠٤) والدارمي (١٣١٦). والطيالسي (١٠٦١) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

١١- وَيَنْوِي الإِمَامُ عِنْدَ التَّسْلِيمِ[١] السَّلاَمَ عَلَى الْقَوْمِ، وَيَنْوِي الْقَوْمُ بِتَسْلِيمِهِمْ جَوَابَهُ.

١٢- وَيَلْبَثُ الإِمَامُ سَاعةً بَعْدَمَا يَفْرَغُ مِنَ السَّلاَمِ، وَيُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ[٢]، وَلاَ يَلْتَفِتُ إِنْ كَانَ خَلْفَهُ (نِسَاءٌ)[٣] لِيَنْصَرِفْنَ أَوَّلاً.

١٣- وَلاَ يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ حَتَّى يَقُومَ الإِمَامُ، وَيَنْصَرِفَ الإِمَامُ حَيْثُ شَاءَ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ، وَالْيَمِينُ أَحَبُّ إِلَيْهِ[٤].

١٤- وَلاَ يَخُصُّ الإِمَامُ نَفْسَهُ بِالدُّعَاءِ[٥] فِي قُنُوتِ الصُّبْحِ، بَلْ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ اهْدِنَا»**[٦]، وَيَجْهَرُ بِهِ، وَيُؤَمِّنُ الْقَوْمُ، وَلاَ يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ[٧] إِذْ لَمْ يَثْبُتْ (ذَلِكَ)[٨] فِي الأَخْبَارِ، وَيَقْرَأُ الْمَأْمُومُ بَقِيَّةَ الْقُنُوتِ مِنْ قَوْلِهِ: **«إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ»**[٩].

---

(٣) – من هذه الأدعية ما أخرجه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٥٨) وأبو داود (٩٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ المسيح الدجال». قَالَ ابْنُ علان (٧/٣) قال القاضي عياض: استعاذته صلى الله عليه وسلم من هذه الأمور مع أنه عصم منها إنما هو ليلتزم خوف الله والافتقار إليه والاقتداء به، ولا يمتنع تكرير الطلب مع تحقق الإجابة، إذ فيه تحصيل الحسنات ورفع الدرجات، وليبين لهم صفة الدعاء في الجملة.

(١) – قال الإمام النووي في الأذكار (ص٩٨): قال القاضي أبو الطيب الطبري من أصحابنا وغيره: إذا سلم الإمام فالمأموم بالخيار إن شاء سلم في الحال، وإن شاء استدام الجلوس للدعاء وأطال ما شاء. والله أعلم.

(٢) – قال شيخ الإسلام: ولو مكث بعد الصلاة لذكر ودعاء فالأفضل جعل يمينه إليهم ويساره إلى المحراب للاتباع. (مراقي العبودية ص٤٨).

(٣) – في نسخة: (النساء).

(٤) – اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان يحبّ التيامنَ مَا اسْتَطَاعَ: في طهُوْرِهِ، وتنعله، وترجله، وفي شأنه كله». أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه. انظر الجامع الصغير (٧٠٢٠) بتحقيق شيخنا.

١٥- وَلاَ يَقِفُ الْمَأْمُوْمُ وحْدَهُ بَلْ يَدْخُلُ الْصَّفَّ، أَوْ يَجُرُّ إلى نَفْسِهِ غَيْرَهُ.

١٦- ولاَ يَنْبَغِي لِلْمأْمُوْمِ أنْ يَتَقَدَّمَ عَلى الإمامِ في أفْعَالِهِ أوْ يُسَاوِيهِ، بلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَـأَخَّرَ (عَنْه)[١] ، وَلا يهْـوِي (لِـلْرُّكُوْعِ)[٢] إلاَّ إذَا انْتَهَى الإمَـامُ إِلَـى حَـدِّ الْرُّكُـوْعِ، وَلا يَهْـوِي لِلْسُّجُوْدِ مَا لَمْ تَصِلْ جَبْهَةُ الإمَامِ إلَى الأرْضِ.

---

(٥) - أخرج أحمد (٥/٢٥٠) وأبو داود (٩٠) والترمذي (٢٥٧) عن ثوبان رضي الله عنـه قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يحل لأحدٍ أن يفعلهـن: لا يؤمـن رجـل قوماً فيخـص نفسه بالدعاء دونهم، فإن فعل فقد خانهم، ولا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن....».

(٦) - «اللهم اهدني فيمن هديت... » أخرجه أبو داود (١٤٢٥ و١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقد تقدم ذكره.

(٧) - أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٢/٢١١) عـن أنـس رضـي الله عنـه قـال: «ولقـد رأيـت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو لهم».

أما في غير القنوت فقد أخرج البخاري (٦٣٤١) عن أبي موسى رضي الله عنـه: دعـا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه ورأيت بياض إبطيه.

وأخرج أبو داود (١٤٩٢) بإسناد ضعيف، عن السائب بن يزيد، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليـه وسلم كان إذا دعا فرفع يديه مسح وجهه بيديه.

(٨) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٩) - وذلك من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما المتقدم الذي أخرجـه أبـو داود (١٤٢٥ و١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) والنسائي (٣/٢٤٨). «فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنـه لا يذل مـن واليت، تباركت ربنا وتعاليت».

(١) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (إلى الركوع).

آدابُ الْجُمُعَةِ[1]

اعْلَمْ: أَنَّ الْجُمُعَةَ (عِيْدُ الْمُؤْمِنِيْنَ)[2] ، وَهُوَ يَوْمٌ شَرِيْفٌ خَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ هَذِهِ الأُمَّةَ، وَفِيْهِ سَاعَةٌ مُبْهَمَةٌ لا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى فِيْهَا حَاجَةً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاها[3] .

١- فاسْتَعِدَّ لَها مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ بِتَنْظِيْفِ الثِّيَابِ، وَبِكَثْرَةِ التَّسْبِيْحِ والاسْتِغْفَارِ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ، فَإِنَّها سَاعَةٌ تُوَازِي فِي الْفَضْلِ سَاعَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ[4] .

وَانْوِ صَوْمَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، لَكِنْ مَعَ (الْخَمِيْسِ أَوِ السَّبْتِ)[5] ، إِذْ جَاءَ فِي (إِفْرَادِهَا)[6] نَهْيٌ[7] .

٢- فَإِذَا طَلَعَ عَلَيْكَ الصُّبْحُ فَاغْتَسِلْ، فَإِنَّ: «**غُسْلَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ**»[8] ، أي: ثَابِتٌ مُؤَكَّدٌ.

---

(١) – بضم الميم وهي لغة الحجاز وبفتحها هي لغة تميم والسكون لغة عقيل وهذه اللغات إذا كان المراد بالجمعة اليوم. أما إذا أريد بها الأسبوع فبالسكون لا غير كما إذا قلت: صمت جمعة أي أسبوعاً.

(٢) – في نسخة: (حج المساكين وعيد المؤمنين).

(٣) – أخرج البخاري (٩٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مُسْلِمٌ وهو قائِمٌ يُصلِّي يَسْأَلُ الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه».

(٤) – قال بعض السلف: إن لله تعالى فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة.

(٥) – في نسخة: (السبت أو الخميس).

(٦) – في نسخة: (إفراده).

(٧) – أخرج البخاري (٤/٢٠٣) ومسلم (١١٤٤) وأبو داود (٢٤٢٠) والترمذي (٧٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قَبْلَه أو بعدهُ».

٣- ثُمَّ تزيَّنْ بالثِّيابِ الْبِيضِ، فإنَّها أَحَبُّ الثِّيابِ إلى اللهِ تَعالى(١)، واسْتَعْمِلْ مِنَ الطِّيبِ ما عِنْدَكَ(٢)، وبالِغْ في تَنْظِيفِ بَدَنِكَ بالحَلْقِ والقَصِّ والتَّقْلِيمِ والسِّواكِ(٣) وسائِرِ أنْواعِ النَّظافَةِ وتَطْيِيبِ الرّائِحَةِ(٤).

٤- ثُمَّ بَكِّرْ إلى الجامِعِ واسْعَ (إِلَيْهِ)(٥) عَلَى الْهَيْئَةِ والسَّكِينَةِ فقد قالَ صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ راحَ (إلى الجُمُعَةِ)(٦) في السّاعَةِ الأُولَى فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَنْ راحَ في السّاعَةِ الثّانِيَةِ فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً، ومَنْ راحَ في السّاعَةِ الثّالِثَةِ فَكَأَنَّما قَرَّبَ كَبْشاً (أَقْرَنَ)(٧)، ومَنْ راحَ في السّاعَةِ الرّابِعَةِ فَكَأَنَّما (قَرَّبَ)(٨) دَجاجَةً(٩)، ومَنْ راحَ في السّاعَةِ الخامِسَةِ فَكَأَنَّما (قَرَّبَ)(١٠) بَيْضَةً، (فَإِذا)(١١) خَرَجَ الإمامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ**

---

(٨) - أخرجه البخاري (٨٧٩) ومسلم (٨٤٦) وأبو داود(٣٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) - فقد أخرج أحمد (٣٢٨/١) وأبو داود (٣٨٧٨) والترمذي (٩٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البسوا من ثيابكم البيض، فإنها من خير ثيابكم....».

(٢) - أخرج أحمد (٤٣٨/٥ و٤٤٠) والدارمي (١٥٤٩) والبخاري (٨٤٣) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهرٍ، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى».

(٣) - أخرج مسلم (٨٤٦) والطيالسي (٢٢١٦) عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «غسل الجمعة على كل محتلم. وسواك. وأن يمس طيباً». انظر العدة شرح العمدة (ص١٤١).

(٤) - قال الشافعي: من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله. (مراقي العبودية ص٥٠).

(٥) - في نسخة: (إليها).

(٦) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٧) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (أهدى).

(٩) - بتثليث الدال: دَ، دُ، دِ.

(١٠) - في نسخة: (أهدى).

(١١) - في نسخة: (قال: فإذا).

وَرُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَاجْتَمَعَتِ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَسْتَمِعُوْنَ الذِّكْرَ»[1] ، وَيُقَالُ: إِنَّ النَّاسَ فِي قُرْبِهِمْ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَعَالَى عَلَى قَدْرِ بُكُوْرِهِمْ إِلَى الْجُمُعَةِ.

٥- ثُمَّ إِذَا دَخَلْتَ الْجَامِعَ فَاطْلُبِ الصَّفَّ الأَوَّلَ[2] .

٦- (فَإِذَا)[3] اجْتَمَعَ النَّاسُ فَلاَ تَتَخَطَّ رِقَابَهُمْ[4] .

٧- وَلاَ تَمُرَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ يُصَلُّوْنَ[5] ، وَاجْلِسْ بِقُرْبِ حَائِطٍ أَوْ أُسْطُوَانَةٍ[6] حَتَّى لاَ يَمُرُّوا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلاَ تَقْعُدْ حَتَّى تُصَلِّيَ التَّحِيَّةَ، (وَالأَحْسَنُ)[7] : أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ

---

(١) – أخرجه البخاري (٨٨١) وأبو داود (٣٥١) وانظره في سنن الترمذي باختصار السند (٥٠٣) وابن ماجة (١٠٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ أوله: «من اغتسل يوم الجمعة، غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة». وبلفظ في نهايته: «فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

(٢) – ويكره أن يؤثر غيره بالصف الأول. فقد أخرج أبو داود (٦٧٩) وابن خزيمة (١٥٥٩) وابن حبان (٢١٥٦) عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال قومٌ يتأخرون عن الصف الأول حتى يخلفهم الله في النار».

وأخرج الطيالسي (٧٤١) وأحمد (٣٠٤/٤) والدارمي (٢٨٩/١) وابن خزيمة (١٥٥١) وابن حبان (٢١٥٧) عن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا، فيمسح عواتقنا وصدورنا ويقول: «لا تختلف صفوفكم فتختلف قلوبكم، إن الله وملائكته يُصلون على الصف الأول».

(٣) – في نسخة: (فإن).

(٤) – أخرج الترمذي (٥١٣) عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم». وانظره في الجامع الصغير (٨٦٠٤) بتحقيق شيخنا. وزاد نسبته إلى الإمام أحمد وابن ماجه. وهو حديث ضعيف.

(٥) – أخرج البخاري (٥١٠) عن أبي جهيم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه». وانظره في الجامع الصغير (٧٥٢٣) بتحقيق شيخنا.

(٦) – أي: عمود.

(٧) – في نسخة: (وحسن). قال في مراقي العبودية (ص٥١): أي: مندوب كما قاله الفاكهي.

تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ (بَعْدَ الْفَاتِحَةِ: الإِخْلاَصَ)[1] خَمْسِينَ (مَرَّةً)[2] ، فَفِي الْخَبَرِ: «**مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ يُرَى لَهُ**»[3] ، وَلاَ تَتْرُكِ التَّحِيَّةَ وَإِنْ كَانَ الإِمَامُ يَخْطُبُ[4] .

وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَقْرَأَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ سُوْرَةَ الأَنْعَامِ وَالْكَهْفِ وَطَهَ وَيَس، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَسُوْرَةُ يس وَالدُّخَان وَآلم السجدة، وَسُوْرَةُ الملك، وَلاَ تَدَعْ قِرَاءَةَ هَذِهِ السُّوْرَةَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ[5] ، فَفِيْهَا فَضْلٌ كَثِيْرٌ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ ذَلِكَ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قِرَاءَةِ سُوْرَةِ الإِخْلاَصِ، (وَأَكْثِرْ مِنْ)[6] الصَّلاَةِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي هَذَا الْيَوْمِ خَاصَّةً[7] .

---

(١) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (مرة سورة الإخلاص).

(٣) - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/١٨٧): أخرجه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر. وهو غريب جداً.

(٤) - جاء سُلَيْكٌ الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فجلس فقال له: «يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوَّز فيهما» ثُمَّ قال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما». أخرجه مسلم (٨٧٥).

أخرج الحميدي (١٢٢٣) وأحمد (٣/٣٠٨) والدارمي (١٥٦٣) والبخاري (٢/١٥) ومسلم (٣/١٤) وابن ماجة (١١١٢) عن جابر بن عبد الله قال: دخل رجل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقال: أصليت؟ قال: لا. قال: قم فصلِّ الركعتين». وأخرج أحمد (٣/٣٦٩) والدارمي (١٥٥٩) والبخاري (٢/٧١) ومسلم (٣/١٤) عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب: «إذا جاء أحدكم والإمام يخطب، أو قد خرج، فليصل ركعتين».

(٥) - تقدم ذكر دليل ذلك.

(٦) - في نسخة: (وإكثار).

(٧) - ذكر الهيثمي في المجمع (٣٠٢٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الزهراء واليوم الأزهر، فإن صلاتكم تعرض علي». قال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عبد المنعم بن بشير الأنصاري، وهو ضعيف. وله شواهد تقوى به. وانظره في الجامع الصغير بتحقيق شيخنا (١٤١٧).

وَمَهْمَا خَرَجَ الإِمَامُ فَاقْطَعِ الصَّلاَةَ وَالْكَلاَمَ، وَاشْتَغِلْ بِجَوَابِ الْمُؤَذِّنِ ثُمَّ بِاسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ وَالاتِّعَاظِ بِهَا[1] ، وَدَعِ الْكَلاَمَ رَأْساً في الْخُطْبَةِ[2] ، فَفِي الْخَبَرِ أَنَّ: «**مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ**[3] **فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلاَ جُمُعَةَ لَهُ**»[4] ، أَي: لأَنَّ قَولَه: «**أنصت**» كَلاَمٌ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْهَى غَيْرَهُ بِالإِشَارَةِ لاَ بِاللَّفْظِ.

ثُمَّ اقْتَدِ بِالإِمَامِ كَمَا سَبَقَ، فَإِذَا فَرَغْتَ وَسَلَّمْتَ فَاقْرَأِ الْفَاتِحَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَالإِخْلاَصَ سَبْعاً وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ سَبْعاً (سَبْعاً)[5] ، فَذَلِكَ يَعْصِمُكَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى[6] ، وَيَكُونُ حِرْزاً[7] لَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَقُلْ بَعْدَ ذَلِكَ: «**اللَّهُمَّ يَا غَنِيُّ يَا حَمِيدُ،**

---

(١) - قال في مراقي العبودية (ص٥٢): وقال الونائي: ويجب على كل من كان في صلاة تخفيفها عند صعود الخطيب المنبر وجلوسه عليه فإطالة الصلاة كإنشائها. اهـ. لكن إنشاء الصلاة قبل جلوسه وبعد شروعه في الصعود لا يحرم أما بعد جلوسه فيحرم ولا تنعقد الصلاة مطلقاً عدا ركعتيّ التحية إجماعاً كما في حاشية الإقناع.

(٢) - عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال يوم الجمعة والإمام يخطب: أنصت فقد لغا». انظره في سنن الترمذي باختصار السند (٥١٧).

وذكر الهيثمي في المجمع (٣١٢٣) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصت، ليس له جمعة». قال: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير، وفيه: مجالد بن سعيد، وقد ضعفه الناس، ووثقه النسائي في رواية.

(٣) - في نسخه: (أو صه).

(٤) - أخرجه البخاري (٩٣٤) ومسلم (٨٥١) بلفظ: «إذا قلت لصاحبك.. ». وأخرجه أبو داود (١١١٢) والنسائي (١٤٠١) والترمذي (٥١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرج أبو داود (١٠٥١) عن علي بن أبي طالب من حديث طويل: أنه قال: «من قال يوم الجمعة لصاحبه: أنصت فقد لغا، ومن لغا فليس له في جمعته تلك شيء».

(٥) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٧٥) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قل هو الله أحد﴾ و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ بربِّ الناس﴾ سبع مراتٍ، أعاذه الله عز وجل من السُّوء إلى الجمعة الأخرى».

يَا مُبْتَدِىءُ يَا مُعِيْدُ، يَا رَحِيْـمُ يَـا وَدُوْدُ، أَغْنِنِـي بِحَلاَلِـكَ عَـنْ حَرَامِـكَ وَبِطَـاعَتِكَ عَـنْ مَعْصِيَتِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»[1] .

ثُمَّ صَلِّ بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ[2] أَوْ أَرْبَعاً[3] أَوْ سِتاًّ[4] مَثْنَى مَثْنَى، فَكُلُّ ذَلِكَ مَرْوِيٌّ عَـنْ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي أَحوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ.

قال الحافظ ابن حجر: سنده ضعيف. وينبغي أن يقيد بما بعد الذكر المأثور في الصحيح، وله شاهد مـن مرسل مكحول، أخرجه سعيد بن منصور في السنن عـن فـرج بـن فضالـة عنـه، وزاد في أولـه: «فاتحة الكتاب»، وفي آخره: «كفر الله عنه ما بين الجمعتين، وكان معصوماً» وفرج ضعيف.

(٧) – أي: وقاية.

(١) – لم أجده بلفظ المصنف. وإنما جاء بلفظ مختلف. أخرج أحمد (١٥٣/١) والترمذي (٣٥٥٨) والحاكم (٥٣٨/١) عن علي رضي الله عنه، أن مكاتباً جاءه فقـال: إنـي عجـزت عـن كتـابتي فـأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو كان عليك مثل جبـل دينـاً أداه عنك؟ قال: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك». وذكره الإمام النووي في الأذكار (٣٨٣ و١٢٣٤).

(٢) – أخـرج أحمـد (١٠٣/٢) وأبـو داود (١١٢٧ و١١٢٨) والنسـائي (١١٣/٣) وابـن ماجـة (١١٣٠) وابن خزيمة (١٨٣٦) عن نافع قال: كان ابن عمر يُطيل الصلاة قبل الجمعة، ويصلـي بعدهـا ركعتين في بيته، ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك.

وأخرج أبو داود (١١٣٠ و١١٣٣) عن ابن عمر قال: كان إذا كـان بمكـة فصلى الجمعـة. تقـدم فصلى ركعتين، ثم تقدم فصلى أربعاً، وإذا كان بالمدينة، صلى الجمعة، ثم رجع إلى بيته، فصلى ركعتين و لم يصل في المسجد، فقيل له: فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك.

ذكر الهيثمي في المجمع (٣١٨٨) عن أبي هريرة قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثـلاثٍ لا أدعهن في سفر ولا حضرٍ....وركعتين بعد الجمعة...». وقـال: رواه الطبراني في الأوسـط ورجالـه موثقون.

وروى البزار بإسنادٍ ضعيف جداً، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنه كـان يصلـي قبل الجمعة ركعتين وبعدها ركعتين. انظر فتح البـاري (٣٤١/٢) وانظـر مجمـع الزوائـد (٤٢٥/٢) مما يستدرك من الزوائد.

ثُمَّ لاَزِمْ الْمَسْجِدَ إِلَى الْمَغْرِبِ أَوْ إِلَى الْعَصْرِ، وَكُنْ حَسَنَ الْمُرَاقَبَةِ لِلسَّاعَةِ الشَّرِيْفَةِ فَإِنَّهَا مُبْهَمَةٌ فِي جَمِيْعِ الْيَوْمِ فَعَسَاكَ أَنْ تُدْرِكَهَا وَأَنْتَ خَاشِعٌ للهِ(تَعَالَى مُتَذَلِّلٌ)[1] مُتَضَرِّعٌ.

وَلاَ تَحْضُرْ فِي الْجَامِعِ مَجَالِسَ الْحِلَقِ[2]، وَلاَ مَجَالِسَ الْقُصَّاصِ بَلْ مَجْلِسَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَهُوَ الَّذِي يَزِيْدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَيُنْقِصُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي الدُّنْيَا، فَكُلُّ عِلْمٍ لاَ يَدْعُوْكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ فَالْجَهْلُ أَعْوَدُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ[3].

---

(٣) – أخرج مسلم (٨٨١) وأبو داود (١١٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً».

(٤) – قال في مراقي العبودية (ص٥٢): كما رواه علي وعبد الله بن عباس. **قلت:** لم أجد في مسنديهما ما يُشير إلى ذلك. والله أعلم.

قال السبكي في طبقات الشافعية (٦/٢٨٧): قال ابن الصلاح: من تفردات الغزالي أنه ذكر في بداية الهداية في سنة الجمعة بعدها أنَّ له أن يصليها ركعتين، وأربعاً، وستاً، قال: فأبعد في ستٍّ وَشَذّ.

وقال النووي: روى الشافعي بإسناده في كتاب علي وابن مسعود عن علي رضي الله عنه أنه قال: من كان منكم مصلياً بعد الجمعة فليصل بعدها ست ركعات....

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخه.

(٢) – للنهي الوارد في ذلك فقد أخرج ابن ماجة (١١٣٣) عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحَلَّقَ في المسجد يوم الجمعة قبل الصلاة» بإسنادٍ لا بأس به.

(٣) – أخرج الطيالسي (٢٠٠٧) وابن أبي شيبة (١٠/١٨٧ و١٨٨) وأحمد (٣/١٩٢ و٢٥٥) وابن حبان (٨٣) عن أنس بن مالكٍ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفع، وَعَمَلٍ لا يرفع، وقلبٍ لا يخشع، وقولٍ لا يسمع».

وأخرج ابن أبي شيبة (١٠/١٨٥) وابن حبان في صحيحه (٨٢) عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علمٍ لا ينفع».

وَأَكْثِرِ الدُّعَاءَ عِنْدَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ[1] ، وَعِنْدَ الزَّوَالِ، وَعِنْدَ الْغُرُوْبِ، وَعِنْدَ الإِقَامَةِ، وَعِنْدَ صُعُوْدِ الْخَطِيْبِ الْمِنْبَرِ، وَعِنْدَ قِيَامِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ، فَيُوْشِكُ أَنْ تَكُوْنَ السَّاعَةُ الشَّرِيْفَةُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الأَوْقَاتِ.

وَاجْتَهِدْ أَنْ تَتَصَدَّقَ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ، فَتَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ وَالاعْتِكَافِ وَالرِّبَاطِ[2] ، وَاجْعَلْ هَذَا الْيَوْمَ مِنَ الأُسْبُوْعِ خَاصَّةً لآخِرَتِكَ فَعَسَاهُ أَنْ يَكُوْنَ كَفَّارَةً لِبَقِيَّةِ الأُسْبُوْعِ.

---

(١) – أخرج ابن السني (١٤٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه: أنه جعل له من يرقب له طلوع الشمس، فلما أخبره بطلوعها قال: «الحمد لله الذي وهب لنا هذا اليوم، وأقالنا فيه عثراتنا».

(٢) – في سبيل الله تعالى.

آدابُ الصِّيامِ

لاَ يَنْبَغِي أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى صَوْمِ رَمَضَانَ فَتَتْرُكَ التِّجَارَةَ بِالنَّوَافِلِ وَكَسْبِ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْفَرَادِيْسِ(١) ، فَتَتَحَسَّرُ(٢) إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الصَّائِمِيْنَ ـ كَمَا تَنْظُرُ إِلَى (الْكَوَاكِبِ الدُّرِّيَّةِ)(٣) ـ وَهُمْ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ.

وَالأَيَّامُ الْفَاضِلَةُ الَّتِي شَهِدَتِ الأَخْبَارُ (بِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا)(٤) ، وَبِجَزَالَةِ الثَّوَابِ فِي صِيَامِهَا: يَوْمُ عَرَفَةٍ لِغَيْرِ (الْحَاجِّ)(٥) ، وَيَوْمُ عَاشُوْرَاءَ(٦) ، وَالْعَشْرُ الأَوَّلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ(٧) ، وَالْعَشْرُ الأَوَّلُ مِنَ الْمُحَرَّمِ(٨) ، وَرَجَبُ(٩) ، وَشَعْبَانُ(١٠) ، وَصَوْمُ الأَشْهُرِ الْحُرُمِ مِنَ

---

(١) – جمع فردوس، وهي أعلى الجنة وأوسطها. وقال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. (مراقي العبودية ص٥٤).

(٢) – أي: فتتلهف.

(٣) – في نسخة: (الكوكب الدري).

(٤) – في نسخة: (بفضلها وشرفها).

(٥) – في نسخة: (الحجاج). أخرج مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِيَامُ يوم عرفة أَحتَسِبُ على اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنة التي قبله والسنة التي بعده».

وما ذكر ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٢٦/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة. وقال: متفق عليه من حديث أم الفضل ومن حديث ميمونة.

(٦) – أخرج مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله». وانظر تلخيص الحبير (٢٢٦/٢).

(٧) – أخرج البخاري (٩٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما العمل في أيامٍ أفضل منها في هذا العشر!». قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء».

الْفَضَائِلِ[1] ، وَهِيَ: ذُوْ الْقِعْدَةِ وَذُوْ الحِجَّةِ (وَالْمُحَرَّمِ)[2] وَرَجَبُ، وَاحِدٌ فَرْدٌ وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ، وَهَذِهِ فِي السَّنَةِ[3] .

---

(٨) – أخرج أحمد (٣٠٣/٢ و٣٢٩) ومسلم (١١٦٣) وابن ماجة (١٧٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

(٩) – ذكر الهيثمي في المجمع: (٥١٥٢) عن خرشة بن الحر قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب أكف الرجال في صوم رجب حتى يضعونها في الطعام، ويقول: رجب وما رجب، إنما رجب شهر كان يعظمه أهل الجاهلية، فلما جاء الإسلام ترك. قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه: الحسن بن جبلة ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله ثقات.

(١٠) – أخرج البخاري (١٩٦٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان».

وذكر الهيثمي في المجمع: (٥١٥٩) عن أبي أمامة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصل شعبان برمضان. قال: رواه الطبراني في الكبير (٧٧٥٠) ورجاله ثقات. قلت: فيه: سويد بن عبد العزيز: لين الحديث.

(١) – أخرج أبو داود (٢٤٢٨) والنسائي في الكبرى (تحفة ٥٢٤٠). وابن ماجة (١٧٤١) والمزي في تهذيب الكمال (٣٠٣/٣٥) عن مجيبة الباهلية، عن أبيها أو عمها: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق فعادَ إليه بعد سنة وقد تغيَّرت حاله وهيئته، فقال: يا رسول الله أما تَعْرِفني؟ قال: «ومن أنت؟» قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام أوَّل. قال: «فما غيَّرك وقد كنت حسن الهيئة؟». قال: ما أكلت طعاماً منذ فارقتك إلا بليلٍ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولم عذبت نفسك؟! صم شهرَ الصَّبر، ومن كل شهرٍ يوماً». قال: زدني فإن بي قوة. قال: «صم من كل شهر يومين». قال: زِدني فإن بي قوة. قال: «صم ثلاثة أيام من كل شهر». قال: زدني فإنَّ بي قوة. قال: «صم من الحُرُمِ وَاتْرُك». يقولها ثلاثاً.

(٢) – في نسخة: (ومحرم).

(٣) – قال في مراقي العبودية (ص٥٤): وأفضلها الصوم بعد رمضان المحرم ثم رجب ثم الحجة ثم القعدة ثم شعبان، ونظم البحيرمي ترتيب الأفضلية في الشهور فقال:

وَأَمَّا فِي الْشَّهْرِ: فَأَوَّلُ الْشَّهْرِ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ[1] ، وَالأَيَّامُ الْبِيْضُ، وَهِيَ: الْثَّالِثَ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخَامِسَ عَشَرَ[2] .

وَأَمَّا فِي الأُسْبُوْعِ: فَيَوْمُ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيْسِ[3] وَالْجُمُعَةِ[4] .

فَتُكَفِّرُ ذُنُوْبَ الأُسْبُوْعِ بِصَوْمِ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيْسِ وَالْجُمُعَةِ.

وَذُنُوْبُ الْشَّهْرِ تُكَفِّرُ بِالْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الْشَّهْرِ وَالْيَوْمِ الأَوْسَطِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالأَيَّامِ الْبِيْضِ.

وَتُكَفِّرُ ذُنُوْبَ الْسَّنَةِ بِصِيَامِ هَذِهِ الأَيَّامِ وَالأَشْهُرِ الْمَذْكُوْرَةِ.

وَلاَ تَظُنَّ إِذَا صُمْتَ أَنَّ الْصَّوْمَ هُوَ: تَرْكُ الْطَّعَامِ وَالْشَّرَابِ وَالْوِقَاعِ فَقَطْ، فَقَدْ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوْعُ وَالْعَطَشُ**»[5] . بَلْ تَمَامُ

وأفضل الشهور بالإطلاق شهر الصيام فهو ذو السباق
فشهر ربنا هو المحرم فرجب فالحجة المعظم
فقعدة فبعده شعبان وكل ذا جاء به البيان

(١) – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَوْصَانِي خليلي بثلاث، صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام». أخرجه البخاري (١٩٨١).

وقال ابن حجر: ويسن صوم أيام السود خوفاً من ظلمة الذنوب وهي: السابع أو الثامن وتالياه، فإن بدأ بالثامن ونقص الشهر صام أول تاليه وحينئذ يقع صومه عن أول الشهر أيضاً فإنه يسن صوم ثلاثة أول كل شهر.

(٢) – أخرج الترمذي بإسنادٍ حسن (٧٦١) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صمت في الشهر ثلاثاً، فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة».

(٣) – أخرج الترمذي (٧٤٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرَّى صوم الإثنين والخميس.

وأخرج الترمذي (٧٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحبُّ أن يعرض عملي وأنا صائم.

(٤) – لقوله صلى الله عليه وسلم : «لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده» أخرجه البخاري (١٨٨٤) ومسلم (١١٤٤)

(الْصَّوْمِ)[1] بِكَفِّ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا (مِنَ الْسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْلِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَغَيْرِهِمَا)[2] عَمَّا يَكْرَهُ اللهُ تَعَالَى.

بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ:

١- الْعَيْنَ عَنِ الْنَّظَرِ إِلَى الْمَكَارِهِ.

٢- وَاللِّسَانَ عَنِ الْنُّطْقِ بِمَا لاَ يَعْنِيْكَ[3].

٣- وَالأُذُنَ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ (تَعَالَى)[4]، فَإِنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيْكُ الْقَائِلِ وَهُوَ أَحَدُ الْمُغْتَابِيْنَ.

٤- وَكَذَلِكَ تَكُفُّ جَمِيْعَ الْجَوَارِحِ كَمَا تَكُفُّ الْبَطْنَ وَالْفَرْجَ، فَفِي الْخَبَرِ: **«خَمْسٌ يُفَطِّرْنَ الْصَّائِمَ: الْكَذِبُ، وَالْغِيْبَةُ، وَالْنَّمِيْمَةُ[5]، وَالْنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ[6]، وَالْيَمِيْنُ الْكَاذِبَةُ»[7].**

---

(٥) - أخرجه أحمد (٤٤١/٢) رقم (٩٦٩١) والدارمي (٣٠١/٢) عن أبي هريرة بهذا اللفظ ولكن بدون قوله: (والعطش) وزاد: «وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

وأخرجه ابن ماجه (١٦٩٠) عن أبي هريرة أيضاً بلفظ: «رب صائم». وليس فيه: «والعطش» وبقيته كما في رواية أحمد والدارمي.

(١) - في نسخة: (الصيام).

(٢) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) - بما لا يعنيك: أي بما لا يهمك، والذي يهم الإنسان ما يتعلق بسلامته في المعاد وبضرورة حياته في معاشه فيما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه .... (مراقي العبودية ص٥٥).

(٤) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (واليمين الكاذبة).

(٦) - قال في مراقي العبودية (ص٥٥): ومذهب الشافعي وأصحابه: أن هذه تبطل ثواب الصوم لا نفس الصوم، ومعنى يفطرن الصائم: أي: يذهبن ثواب الصائم كما يذهب الفطر في النهار الصيام.

(٧) - أخرجه الديلمي في الفردوس (٢٩٧٩) وابن أبي حاتم في علل الحديث: (١٤٧/٢) وابن الجوزي في الموضوعات: (١٩٦/٢) والزيلعي في نصب الراية: (٤٨٣/٢) من حديث أنس بن مالك

وَقَالَ (صلى الله عليه وسلم)[1] : «**إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ[2] ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِماً فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَفْسُقْ وَلاَ يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ**»[3] .

ثُمَّ اجْتَهِدْ أَنْ تُفْطِرَ عَلَى طَعَامٍ حَلاَلٍ.

وَلاَ تَسْتَكْثِرْ فَتَزِيْدَ عَلَى مَا تَأْكُلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ، (فَلاَ)[4] فَرْقَ إِذَا اسْتَوْفَيْتَ مَا تَعْتَادُ أَنْ تَأْكُلَهُ (دُفْعَتَيْنِ فِي دَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ)[5] ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُوْدُ كَسْرُ شَهْوَتِكَ وَتَضْعِيْفُ قُوَّتِكَ لِتَقْوَى بِهَا عَلَى التَّقْوَى.

فَإِذَا أَكَلْتَ (عَشِيَّةً مَا)[6] تَدارَكْتَ بِهِ مَا فَاتَكَ (ضَحْوَةً)[7] فَلاَ فَائِدَةَ فِي صَوْمِكَ وَقَدْ ثَقُلَتْ عَلَيْكَ مَعِدَتُكَ، وَمَا (وِعَاءٌ)[8] أَبْغَضُ إِلَى اللهِ (تَعَالَى)[9] مِنْ بَطْنٍ مَلِيءٍ مِنْ حَلاَلٍ فَكَيْفَ إِذَا (مُلِيءَ)[10] مِنْ حَرَامٍ؟.

رضي الله عنه بلفظ: «خمس يفطرن الصائم، وينقضن الوضوء...». وقال: هذا حديث موضوع. وقال ابن معين: سعيد كذاب.

(١) – في نسخة: (رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٢) – أي: وقاية من المعاصي.

(٣) – لم أجده بلفظ المصنف. أخرج البخاري (١٨٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم...». وأخرج النسائي (٢٢٣٤) عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصيام جنة من النار، فمن أصبح صائماً فلا يجهل يومئذ، وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه، وليقل: إني صائم....». وانظره في الجامع الصغير (٥٢٢٤) بتحقيق شيخنا وهو حديثٌ صحيح.

(٤) – في نسخة: (لأجل صيامك، فلا).

(٥) – في نسخة: (دفعة أو دفعتين).

(٦) – في نسخة: (عيش ما فاتك فقد).

(٧) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٨) – في نسخة: (من وعاء).

(٩) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(١٠) – في نسخة: (كان).

فَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى الْصَّوْمِ فَاسْتَكْثِرْ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْعِبَادَاتِ وَمِفْتَاحُ الْقُرُبَاتِ[1] .

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلاَّ الْصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»[2] .

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخَلُوْفُ فَمِ الْصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**[3] ، **يَقُوْلُ اللهُ (تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ)**[4] **: إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي فَالْصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**[5] ».

---

(١) – لقوله صلى الله عليه وسلم: «لكل شيء باب وباب العبادة الصوم». ذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢٣٢/١) وإتحاف السادة المتقين: (١٩٢/٤). عن أبي الدرداء بسند ضعيف.

(٢) – أخرج ابن حبان في صحيحه (٣٤١٦) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: كل حسنة عملها ابن آدم جزيته بها عشر حسنات إلى سبع مئةِ ضعف إلا الصيام، فهو لي وأنا أجزي به، الصيام جنة، فمن كان صائماً، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤٌ شتمه أو آذاه، فليقل: إني صائم».

وأخرج ابن أبي شيبة (٥/٣) وأحمد (٤٤٣/٢ و٤٧٧) ومسلم (١١٥١) وابن ماجة (١٦٣٨) وابن حبان (٣٤٢٤) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبع مئة ضعف، يقول الله: إلا الصوم، فهو لي وأنا أجزي به...».

(٣) – أخرج أحمد (٢٧٣/٢) والبخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١)(١٦٣) وابن حبان (٣٤٢٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فهو لي وأنا أجزي به، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك...».

وأخرج النسائي (١٦٢/٤ – ١٦٣) وابن حبان (٣٤٢٢) عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، والصيام لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

قال الإمام الماوردي: المعنى: أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم، أي: يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم. (مراقي العبودية ص٥٦).

(٤) – في نسخة: (عز وجل).

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «**لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ لاَ يَدْخُلُهُ إلاَّ الصَّائِمُوْنَ**»[1] .

فَهذَا (الْقَدْرُ)[2] مِنْ شَرْحِ الطَّاعَاتِ (يَكْفِيْكَ)[3] مِنْ **بِدَايَةِ الْهِدَايَةِ**، فَإِذَا احْتَجْتَ إِلَى الزَّكَاةِ (وَالْحَجِّ)[4] أَوْ إِلَى مَزِيْدٍ (لِشَرْحِ)[5] الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ فَاطْلُبْهُ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ فِي (كِتَابِنَا)[6] : إِحْيَاءِ عُلُوْمِ الدِّيْنِ.

---

(٥) – أخرجه البخاري (١٨٩٤) عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل... والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها».

وفي رواية عند ابن حبان (٣٤٢٤) عن أبي هريرة: «... إلا الصوم، فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، والشراب من أجلي، وشهوته من أجلي، وأنا أجزي به...».

(١) – أورد هذه الرواية المصنف في الإحياء . انظر المغني عن حمل الأسفار (٢٣٢/١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (١٩١/٤). وأبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢٥/٢ و ٢٧٠).

وأخرجه البخاري (١٨٩٦) ومسلم (١١٥٢) عن سهل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم...».

(٢) – في نسخة: (القدر يكفيك).

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – في نسخة: (وإلى الحج).

(٥) – في نسخة: (شرح).

(٦) – في نسخة: (كتاب).

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي

اجْتِنَابِ الْمَعَاصِي[1]

---

(١) - وفي ذلك أحوال للناس في فعل الطاعات واجتناب المعاصي، وقد قال الإمام الماوردي في دب الدنيا والدين (ص١٥٦ - ١٥٩): ثم ليس يخلو حال الناس فيما أمروا به ونُهوا عنه، من فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، من أربعة أحوال:

فمنهم من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويكف عن ارتكاب المعاصي، وهذا أكمل أحوال أهل الدين، وأفضل صفات المتقين، فهذا يستحق جزاء العاملين، وثواب المطيعين. روى محمد بن عبد الملك المدائني، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذنب لا يُنسى، والبر لا يبلى، والديان لا يموت، فكن كما شئت، فكما تدين يدان». وقديماً قيل: كل يحصد ما يزرع، ويُجزى بما يصنع. بل قالوا: زرع يومك حصاد غَدِك.

ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات، ويُقدم على ارتكاب المعاصي، وهي أخبث أحوال المكلفين، وشر صفات المتعبدين، فهذا يستحق عذاب اللاهي عن فعل ما أمر به من طاعته، وعذاب المجترىء على ما أقدم عليه من معاصيه، وقد قال ابن شبرمة: عجبت لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء، كيفَ لا يحتمي من المعاصي مخافة النار؟ فأخذ ذلك بعض الشعراء فقال:

جسمُك قد أفنيته بالحمى ... دهراً من البارد والحار

وكان أولى بك أن تحتمي ... من المعاصي حذرَ النار

وقال ابن شُبارة: إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى أهون من الصبر على عذاب الله تعالى. وقال آخر: اصبروا عباد الله على عملٍ لا غنى بكم عن ثوابه، واصبروا عن عملٍ لا صبر لكم على عقابه. وقيل للفضيل بن عياض: رضي الله عنك. فقال: كيف يرضى عني و لم أرضه!.

ومنهم من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويُقدم على ارتكاب المعاصي، فهذا يستحق عذاب المجترىء؛ لأنه تورط بغلبة الشهوة على الإقدام على المعصية، وإن سلم من التقصير في فعل الطاعة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أقلعوا عن المعاصي قبل أن يأخذكم الله، فيدعكم هتا بتّاً». ـ الهتُّ: الكسر، والبت: القطع ـ ولذلك قال بعض العلماء: أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه، و لم تزل الشبهة يقينه.

(اعْلَمْ: أَنَّ (الْدِّيْنَ)[1] شَطْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَرْكُ الْمَنَاهِي.

وَالآخَرُ: فِعْلُ الطَّاعَاتِ.

وقال حماد بن زيد: عجبت لمن يحتمي من الأطعمة لمضراتها، كيف لا يحتمي من الذنوب لمعَرَّاتها. وقال بعض الصلحاء: أهل الذنوب مرضى القلوب. وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله: ما أعجبُ الأشياء؟ فقال: قلبٌ عرف الله عز وجل ثم عصاه. وقال بعض الألباء: يدل بالطاعة العاصي، وينسى عِظَمَ المعاصي. وقال رجلٌ لابن عباس رضي الله عنهما: أيما أحبُّ إليك؟ رجلٌ قليل الذنوب قليل العمل، أو رجلٌ كثيرُ الذنوب كثيرُ العمل؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا أعدِلُ بالسلامة شيئاً.

وقيل لبعض الزُّهَّاد: ما تقول في صلاة الليل؟ فقال: خف الله بالنهار، ونم بالليل. وسمع بعض الزهاد رجلاً يقول لقومٍ: أهلككم النوم. فقال: بل أهلكتكم اليقظة. وقيل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟ فقال: أجزتُ في أرض فيها شوك؟ فقال: نعم. فقال: كيف كنتَ تصنع؟ فقال: كنت أتوقّى، قال: فتوقَّ الخطايا. وقال عبد الله بن المبارك:

أيضمن لي فتًى ترك المعاصي   وأرهنه الكفالة بالخلاص

أطاع الله قومٌ فاستراحوا   و لم يتجرعوا غُصَصَ المعاصي

ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات، ويكف عن ارتكاب المعاصي، فهذا يستحق عقاب اللاهي عن دينه، المنذر بقلة يقينه. روى أبو إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كانت صُحُفُ موسى عليه السلام كلها عبراً: عجبتُ لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم يتعب، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها، ثم يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل».

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اجتهدوا في العمل، فإن قصر بكم ضعفٌ فكفوا عن المعاصي». وهذا واضح المعنى؛ لأن الكف عن المعاصي تركٌ، وهو أسهل، وعمل الطاعات فعلٌ، وهو أثقلُ؛ ولذلك لم يبح الله تعالى ارتكاب المعصية بعذرٍ، ولا بغير عذرٍ؛ لأنه ترك، والترك لا يعجز المعذور عنه، وإنما أباح ترك الأعمال بالأعذار؛ لأن العمل قد يُعجز المعذور عنه.

وقال بكر بن عبد الله: رحم الله امرأ كان قوياً، فأعمل قوته في طاعة الله تعالى، أو كان ضعيفاً فكفَّ عن معصية الله تعالى....

(١) – في نسخة: (للدين).

وَتَرْكُ الْمَنَاهِي هُوَ الأَشَدُّ، فَإِنَّ الطَّاعَاتِ يَقْـدِرُ عَلَيْهَـا كُـلُّ أَحَـدٍ، وَتَـرْكُ الشَّـهَوَاتِ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلاَّ الصِّدِّيْقُوْنَ، (فَلِذَلِكَ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ)[1] صلى الله عليه وسلم: «**الْمُهَـاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوْءَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ**»[2])[3] .

وَاعْلَمْ: أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْصِي اللهَ بِجَوَارِحِكَ، وَإِنَّمَا هِي نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ وَأَمَانَةٌ لَدَيْكَ، فَاسْتِعَانَتُكَ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ غَايَةُ الْكُفْرَانِ، وَخِيَانَتُكَ فِي أَمَانَةٍ (اسْـتَوْدَعَكَهَا)[4] اللهُ غَايَةُ الطُّغْيَـانِ، فَأَعْضَاؤُكَ (رَعَايَـاكَ)[5] فَـانْظُرْ كَيْـفَ تَرْعَاهَـا، فـ«**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[6] .

---

(١) – في نسخة: (ولذلك قال).

(٢) – أخرجه أحمد (٦/٢١) عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن، من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». وصححه ابن حبان (٢٥) والحاكم (١/١٠، ١١).

وأخرج أحمد (٣/١٥٤) عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء...».

وأخرج ابن ماجة (٣٩٣٤) أن فضالة بن عبيد حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم. والمهاجر بن هجر الخطايا والذنوب».

وأخرج أحمد (٦/٢١ و٢٢) عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

(٣) – ما بين: ( ) قد أوردها الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (١٩/٣٣٨) ضمن ترجمة المصنف.

(٤) – في نسخة: (أودعكها).

(٥) – في نسخة: (رعاؤك).

(٦) – أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وبقيته: «الإمام راعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالرَّجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت

وَاعْلَمْ: أَنَّ جَمِيعَ أَعْضَائِكَ سَتَشْهَدُ عَلَيْكَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ[1] بِلِسَانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ[2] تَفْضَحُكَ بِهِ عَلَى (رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ)[3] .

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النور: ٢٤]. وَقَالَ (اللهُ)[4] تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يس: ٦٥].

فَاحْفَظْ (يَا مِسْكِينُ)[5] جَمِيعَ بَدَنِكَ (مِنَ الْمَعَاصِي)[6] وَخُصُوصاً أَعْضَاءَكَ السَّبْعَةَ. فَإِنَّ جَهَنَّمَ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ[7]﴾[الحجر: ٤٤]. وَلاَ يَتَعَيَّنُ لِتِلْكَ الأَبْوَابِ إِلاَّ مَنْ عَصَى اللهَ (تَعَالَى)[8] بِهَذِهِ الأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ، وَهِيَ: **الْعَيْنُ وَالأُذُنُ وَاللِّسَانُ وَالْبَطْنُ وَالْفَرْجُ وَالْيَدُ وَالرِّجْلُ.**

أَمَّا الْعَيْنُ: فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِيَ بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ، وَتَسْتَعِينَ بِهَا فِي الْحَاجَاتِ، وَتَنْظُرَ بِهَا إِلَى عَجَائِبِ مَلَكُوتِ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الآيَاتِ[9] .

فَاحْفَظْهَا عَنْ (أَرْبَعٍ)[10] :

زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته». قال: وحسبت أن قد قال: «والرجل راعٍ في مالِ أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته».

(١) – أي: أماكنها.

(٢) – أي: فصيح عذب المنطق.

(٣) – في نسخة: (ملأ من الخلق).

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٧) – أي: معلوم.

(٨) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٩) – أي: الدلالات الواضحات على وحدانية الله تعالى.

(١٠) – في نسخة: (ثلاث أو أربع). وقد وردت أحاديث كثيرة تحذر من الزلل لأنها تؤدي بصاحبها إلى النار فقد أخرج أحمد (٢/٢٩١ و٣٩٢ و٤٤٢) والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٩

١- أَنْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مَحْرَمٍ.

٢- أَوْ إِلَى صُوْرَةٍ مَلِيْحَةٍ (أَوَّلاً)[١] بِشَهْوَةِ نَفْسٍ.

٣- أَوْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَى مُسْلِمٍ بِعَيْنِ الاحْتِقَارِ.

٤- أَوْ تَطَّلِعَ بِهَا عَلَى عَيْبِ مُسْلِمٍ.

وَأَمَّا الْأُذُنُ: فَاحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيَ بِهَا إِلَى الْبِدْعَةِ، أَوِ الْغِيْبَةِ، أَوِ الْفُحْشِ، أَوِ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ، أَوْ ذِكْرِ مَسَاوِىءِ النَّاسِ، فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَحِكْمَةَ أَوْلِيَائِهِ، وَتَتَوَصَّلَ بِاسْتِفَادَةِ الْعِلْمِ بِهَا إِلَى الْمُلْكِ الْمُقِيْمِ وَالنَّعِيْمِ الدَّائِمِ (فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ)[٢] .

فَإِذَا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَكَارِهِ صَارَ مَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ وَانْقَلَبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ سَبَبَ هَلاَكِكَ، (وَهَذَا)[٣] غَايَةُ الْخُسْرَانِ، وَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ الإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ الْقَائِلُ دُوْنَ الْمُسْتَمِعِ، فَفِي الْخَبَرِ أَنَّ: «**الْمُسْتَمِعَ شَرِيْكُ الْقَائِلِ وَهُوَ أَحَدُ الْمُغْتَابِيْنَ**»[٤] .

و٢٩٤) وابن ماجة (٤٢٤٦) والترمذي (٢٠٠٤) عن أبي هريرة قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: التقوى وحسن الخلق. وسئل ما أكثر ما يدخل النار؟ قال: الأجوفان: الفم والفرج.

وأخرج أحمد (٣١٧/٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا أدرك لا محالة. فالعين زنيتها النظر ويصدقها الإعراض، واللسان زنيته النطق، والقلب التمني، والفرج يصدق ما ثم ويكذب.

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) – في نسخة: (فهذه).

(٤) – قال العجلوني في كشف الخفاء: (٢٣٢٣) ذكره الغزالي في الإحياء، ولم يخرجه العراقي. لكن رواه الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعاً: «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغيبة، وعن الاستماع إلى الغيبة». ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٢٢). وورد أيضاً: «من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أذله الله تعالى في الدنيا والآخرة». وفي التنزيل: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾[الحجرات: ١٢].

وَأَمَّا **اللِّسَانُ:** فَإِنَّمَا خُلِقَ لَكَ لِتُكْثِرَ بِهِ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى وَتِلاَوَةِ كِتَابِهِ، وَتُرْشِدَ بِهِ خَلْقَ اللهِ تَعَالَى إِلَى طَرِيْقِهِ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيْرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِيْنِكَ وَدُنْيَاكَ.

فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ فَقَدْ كَفَرْتَ نِعْمَةَ اللهِ تَعَالَى فِيْهِ، وَهُوَ أَغْلَبُ أَعْضَائِكَ عَلَيْكَ وَعَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ، وَلاَ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ[1]، فَاسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِغَايَةِ قُوَّتِكَ حَتَّى لاَ يَكُبَّكَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، ففي الْخَبَرِ: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا أَصْحَابَهُ، فَيَهْوِي بِهَا فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ سَبْعِيْنَ خَرِيْفاً»**[2].

(وَرُوِيَ أَنَّهُ)[3] قُتِلَ شَهِيْدٌ فِي الْمَعْرَكَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ قَائِلٌ: هَنِيئاً لَهُ (الْجَنَّةَ)[4]، فَقَالَ (النَّبِيُّ)[5] صلى الله عليه وسلم: **«مَا يُدْرِيْكَ؟ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيْمَا لاَ يَعْنِيْهِ، وَيَبْخَلُ بِمَا لاَ يُغْنِيْهِ»**[6].

وانظره في المقاصد الحسنة: (١٠٣٦) وتمييز الطيب من الخبيث (١٢٩٤) ومختصر المقاصد الحسنة: (٩٥٤) وأسنى المطالب (١٥٩١)

(١) – أخرجه أحمد (٥/٢٣٠ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٤٥) والترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجة (٣٩٧٣). وابن حبان (٢١٤) عن معاذ بن جبل من حديثٍ طويل. وانظره في (الأربعين النووية) حديث رقم: (٢٩).

(٢) – أخرج ابن حجر في المطالب العالية (٣٢٢٣) القطعة الأولى من الحديث عن ابن مسعود رفعه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها من حوله..». وأخرج الترمذي (٢٣١٤) وابن ماجة (٣٩٧٠) وابن حبان (٥٧٠٦) عن أبي هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يرى بها بأساً يهوي بها في النار سبعين خريفاً».

وأخرج أحمد (٢/٣٧٨ – ٣٧٩) والبخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) وابن حبان (٥٧٠٧) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعدَ ما بين المشرق والمغرب».

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – في نسخة: (بالجنة).

(٥) – في نسخة: (رسول الله).

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ ثَمَانِيَةٍ:

الأَوَّلُ: الْكَذِبُ(١) .

---

(٦) – قال السيوطي في الدر المنثور (١٩٦/٦): أخرج الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً توفي فقالوا: أبشر بالجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولا تدرون فلعله قد تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينفعه». ولفظه في الترمذي (٢٣١٦) في الزهد (عارضة الأحوذي (١٩٦/٩): «توفي رجل من أصحابه فقال -يعني رجل -: أبشر بالجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه». وقال: حديث غريب.

وأخرج البيهقي من وجه آخر عن أنس رضي الله عنه قال: أصيب رجل يوم أحد فجاءت امرأة فقال: يا بني لتهنك الشهادة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه».

وأخرج أبو يعلى (٦٦٤٦) عن أبي هريرة قال: قُتل رجلٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فبكت عليه باكية، فقالت: واشهيداه، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مه ما يدُريك أنه شهيد، ولعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويبخل بما لا ينقصهُ». قال الهيثمي في المجمع (١٨١٨٠): رواه أبو يعلى، وفيه: عصام بن طليق، وهو ضعيف.

وأخرج أبو يعلى (٤٠١٧) عن أنس قال: استشهد رجلٌ منا يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئاً لك يا بني الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع مالا يضره». قال الهيثمي في المجمع (١٨١٨١): رواه أبو يعلى، وفيه: يحيى بن يعلى الأسلمي، وهو ضعيف. وقال شيخنا في تحقيقه للمجمع: وفيه أيضاً: انقطاع، سليمان الأعمش، لم يدرك أنساً.

(١) – قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص٤١٢ – ٤١٣): [ذم الكذب]: قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[آل عمران: ٦١]. وقال تعالى: ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾[النحل: ١٠٥]. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال للحسن بن علي رضي الله عنهما: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك، فإن الكذب ريبة، والصدق طمأنينة». وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رحم الله امرأً أصلح من لسانه، وأقصر من عنانه، وألزم طريقَ الحقِّ مِقوله، و لم يعوِّد الخطل مِفصله». وروى صفوان بن سُليم قال: «قيلَ للنبي صلى الله عليه وسلم: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل: أفيكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: أفيكون

كذاباً؟ قال: لا». وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل﴾[البقرة: ٤٢]: أي: لا تخلطوا الصدق بالكذب. وقيل في منثور الحكم: الكذاب لص؛ لأنَّ اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. وقال بعض الحكماء: الخرسُ خيرٌ من الكذب، وصدق اللسان أول السعادة. وقال بعض البلغاء: الصادق مصان جليل، والكاذب مُهانٌ ذليل. وقال بعض الأدباء: لا سيف كالحقِّ، ولا عونَ كالصدق. وقال بعض الشعراء:

وما شيء إذا فكرت فيه ... بأذهبَ للمروءة والجَمالِ

من الكذب الذي لا خيرَ فيه ... وأبعد بالبهاء من الرجال

والكذبُ جِمَاعُ كلِّ شرٍّ، وأصل كل ذمٍّ، لسوء عواقبه، وخبث نتائجه؛ لأنه يُنتج النميمة، والنميمةُ تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمنٌ ولا راحةٌ، ولذلك قيل: من قلَّ صدقه قل صديقهُ. والصِّدق والكذب يدخلان الأخبار الماضية، كما أن الوفاء والخلف يدخلان المواعيد المستقبلة؛ فالصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، ولكل واحدٍ منهما دواعٍ، فدواعي الصدق لازمة، ودواعي الكذب عارضة؛ لأن الصدق يدعو إليه عقل موجبٌ، وشرع مؤكد؛ فالكذب يمنع منه العقل، ويصدُّ عنه الشرع؛ ولذلك جاز أن تستفيض الأخبار الصادقة؛ حتى تصير متواترة، ولم يجز أن تستفيض الأخبار الكاذبة؛ لأن اتفاق الناس في الصدق والكذب إنما هو لاتفاق الدواعي؛ فدواعي الصدق يجوز أن يتفق الجمعُ الكثير عليها، حتى إذا نقلوا خبراً، وكانوا عدداً ينتفي عن مثلهم المواطأة، وقع في النفس صدقه، لأن الدواعي إليه نافعة، واتفاق الناس في الدواعي النافعة ممكن، ولا يجوز أن يتفق العدد الكثير الذي لا يمكن مواطأة مثلهم على نقل خبرٍ يكون كذباً؛ لأنَّ الدواعي إليه غير نافعة، وربما كانت ضارة، وليس في جاري العادة أن يتفق الجمع الكثير على دواعٍ غير نافعة؛ ولذلك جاز اتفاق الناس على الصدق؛ لجواز اتفاق دواعيهم، ولم يجز أن يتفقوا على الكذب لامتناع اتفاق دواعيهم...

وقال (ص٤١٥ - ٤١٧): **[دواعي الكذب]**: وأما دواعي الكذب: فمنها **اجتلاب النفع، واستدفاع الضر**؛ فيرى أن الكذب أسلمُ وأغنم، فيرخص لنفسه فيه اغتراراً بالخُدَع، واستشفافاً للطَّمع، وربما كان الكذب أبعدَ لما يؤمل، وأقربَ لما يخاف، لأن القبيح لا يكون حسناً، والشرَّ لا يصير خيراً، وليس يجنى من الشوك العنب، ولا من الكرم الحنظل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تحروا الصدق، وإن رأيتم أنَّ فيه الهَلَكة، فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب، وإن رأيتم أنَّ فيه النجاة، فإن فيه الهلكة». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق ـ وقلما يضع ـ أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل. وقال بعض الحكماء: الصِّدق منجيك وإن خفته،

فَاحْفَظْ مِنْهُ لِسَانَكَ فِي الْجِدِّ وَالْهَزْلِ، وَلاَ تُعَوِّدْ نَفْسَكَ الْكَذِبَ هَزْلاً (فَيَدْعُوكَ إِلَى الْكَذِبِ)(١) فِي الْجِدِّ، وَالْكَذِبُ مِنْ أُمَّهَاتِ الْكَبَائِرِ.

ثُمَّ إِنَّكَ إِذَا عُرِفْتَ بِذَلِكَ سَقَطَتْ عَدَالَتُكَ، (وَالثِّقَةُ بِقَوْلِكَ)(٢)، وَتَزْدَرِيكَ الأَعْيُنُ وَتَحْتَقِرُكَ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قُبْحَ الْكَذِبِ مِنْ نَفْسِكَ، فَانْظُرْ إِلَى كَذِبِ غَيْرِكَ وَإِلَى نَفْرَةِ نَفْسِكَ عَنْهُ، وَاسْتِحْقَارِكَ لِصَاحِبِهِ، وَاسْتِقْبَاحِكَ لِمَا جَاءَ بِهِ، وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ فِي جَمِيعِ عُيُوبِ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي قُبْحَ عُيُوبِكَ مِنْ نَفْسِكَ بَلْ مِنْ غَيْرِكَ، فَمَا اسْتَقْبَحْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ يَسْتَقْبِحُهُ غَيْرُكَ مِنْكَ لاَ مَحَالَةَ، فَلاَ تَرْضَ لِنَفْسِكَ ذَلِكَ.

الثَّانِي: **الْخُلْفُ فِي الْوَعْدِ.**

فَإِيَّاكَ أَنْ تَعِدَ بِشَيْءٍ وَلاَ تَفِيَ بِهِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِحْسَانُكَ إِلَى النَّاسِ فِعلاً بلاَ قَوْلٍ، فَإِنِ اضْطُرِرْتَ إِلَى الْوَعْدِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْلِفَ إِلاَّ لِعَجْزٍ أَوْ ضَرُورَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمَارَاتِ

والكذب مرديك وإن أمنته. وقال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان، والصبر والحلم توأمسان، فيهن تمام كل دين، وصلاحُ كل دنيا، وأضدادهن سببُ كل فرقة، وأصل كل فساد. **ومنها: أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذباً، وكلامه مستظرفاً**، فلا يجد صدقاً يعذب، ولا حديثاً يستظرف، فيستحلي الكذبَ الذي ليست غرائبه معوزة، ولا طرائفه معجزة. وهذا النوع أسوأ حالاً مما قبل؛ لأنه يصدر عن مهانة النفس، ودناءة الهمة. وقد قال الجاحظ: لم يكذب أحدٌ قطُّ إلا لصغر قدر نفسه عنده. وقال ابن المقفع: لا تتهاون بإرسال الكذبة من الهزل، فإنها تسرع إلى إبطال الحق. **ومنها: أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه**، فيسمه ويصمه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه، ويرى أن معرَّة الكذب غُنمٌ، وأنَّ إرسالها في العدو سهمٌ وسم، وهذا أسوأ حالاً من النوعين الأولين؛ لأنه قد جمع بين الكذب المُعرِّ والشرِّ المضرِّ، ولذلك ورد الشرع بردِّ شهادة العدوِّ على عدوه. **ومنها: أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها**، فصار الكذب له عادةً، ونفسه إليه منقادةً، حتى لو رام مجانبة الكذب عَسُر عليه؛ لأن العادة طبعٌ ثان. وقد قالت الحكماء: من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه. وقيل في منثور الحكم: لا يلزم الكذب شيءٌ إلا غلب عليه.

(١) - في نسخة: (فيتداعى إلى الجد).

(٢) - في نسخة: (وانتفى قولك).

النِّفَاقِ وَخَبَائِثِ الأَخْلاَقِ، قَالَ(النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم)[1] :«ثَلاَثٌ مَنْ كُـنَّ فِيْـهِ فَهُوَ مُنافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ،وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[2] .

الثَّالِثُ: (الْغِيْبَةُ، فَاحْفَظْ لِسَانَكَ عَنْهَا)[3] ،

وَالْغِيْبَةُ أَشَدُّ مِنْ ثَلاَثِيْنَ زَنْيَةً فِي الإِسْلاَمِ[4] ، كَذَلِكَ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ.

---

(١) – في نسخة: (عليه الصلاة والسلام).

(٢) – أخرجه أحمد (٥٣٦/٢) رقم (١٠٩٢٥) عن أبي هريرة بلفظ أوله: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم...».

أخرج البخاري (٨٤/١) ومسلم (٥٨) وأبو داود (٤٦٨٨) الترمذي (٢٦٣٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

وذكر الهيثمي في المجمع (٤١٨) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعلام المنافقين: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمنته خانك».

ومن علامات المنافقين ما أخرجه أحمد (٧٩١٣) والبزار (٨٥) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للمنافقين علاماتٍ يعرفون بها: تحيتهم لعنةٌ، وطعامهم نهبةٌ، وغنيمتهم غلول، لا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين إلا بالقول، لا يألفون ولا يؤلفون، خُشُبٍ بالليل، صُخُبٌ بالنهار». وقال يزيد: «سخب بالنهار». قال الهيثمي (٤١١) : رواه أحمد والبزار، وفيه: عبد الملك بن قدامة الجُمحي، وثقه يحيى بن معين وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره.

(٣) – في نسخة: (حفظ اللسان من الغيبة).

(٤) – ذكر الهيثمي في المجمع (١٣١٢٨) عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْغيبة أشد من الزنا». فقيل: وكيف؟ قال: «الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه». قال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عباد بن كثير الثقفي، وهو متروك.

وانظره في علل الحديث لابن أبي حاتم (٢٤٧٤). ومشكاة المصابيح (٤٨٧٤ و٤٨٧٥) والدر المنثور (٩٧/٦).

وَمَعْنَى **الْغِيْبَةُ**: أَنْ تَذْكُرَ إِنْسَاناً بِمَا يَكْرَهُهُ[1] لَوْ سَمِعَهُ، فَأَنْتَ مُغْتَابٌ ظَـالِمٌ وَإِنْ كُنْـتَ صَادِقاً، وَإِيَّاكَ وَغِيْبَةَ الْقُرَّاءِ الْمُرَائِيْنَ[2] ، وَهُوَ أَنْ تُفْهِمَ الْمَقْصُوْدَ مِنْ غَـيْرِ تَصْرِيْـحٍ فَتَقُـوْلَ: أَصْلَحَهُ اللهُ فَقَدْ (سَاءَنِي)[3] وَغَمَّنِي مَا جَرَى عَلَيْهِ، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُصْلِحَنَا وَإِيَّاهُ، فَإِنَّ هَذَا جَمْعٌ بَيْنَ خَبِيْثَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْغِيْبَةُ (إِذَا حَصَلَ بِهِ)[4] التَّفَهُّمُ.

وَالآخَرُ: تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهَا بِالتَّحَرُّجِ وَالصَّلاَحِ.

وَلَكِنْ إِنْ كَـانَ مَقْصُـوْدُكَ مِـنْ قَوْلِـكَ: أَصْلَحَـهُ اللهُ الدُّعَـاءَ، فَـادْعُ لَـهُ فِي السِّرِّ، وَإِنْ اغْتَمَمْتَ بِسَبَبِهِ، **فَعَلاَمَتُهُ**: أَنَّكَ لاَ تُرِيْدُ فَضِيْحَتَـهُ وَإِظْهَـارَ عَيْبِـهِ، وَفِي إِظْهَـارِكَ الْغَمَّ بِعَيْبِهِ إِظْهَارُ تَعْيِيْبِهِ.

وَيَكْفِيْكَ زَاجِراً عَنِ الْغِيْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضـاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُـمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوْهُ﴾[الحجرات: ١٢]، فَقَدْ شَبَّهَكَ اللهُ بِـآكِلِ لَحْـمِ الْمَيْتَـةِ، فَمَا أَجْدَرَكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مِنْهَا.

وَيَمْنَعُكَ عَنْ غِيْبَةِ الْمُسْلِمِيْنَ أَمْرٌ لَوْ تَفَكَّرْتَ فِيْهِ، وَهُوَ: أَنْ تَنْظُـرَ فِي نَفْسِـكَ هَـلْ فِيْـكَ عَيْبٌ ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ، وَهَلْ أَنْتَ مُقَارِفٌ مَعْصِيَةً سِرّاً أَوْ جَهْراً؟.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ فَـاعْلَمْ أَنَّ عَجْزَهُ عَـنِ التَّنَزُّهِ عَمَّـا نَسَبْتَهُ إِلَيْـهِ كَعَجْـزِكَ، وَعُذْرَهُ كَعُذْرِكَ[5] ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ تُفْتَضَحَ وَتُذْكَرَ عُيُوْبُكَ، فَهُوَ أَيْضاً يَكْرَهُهُ، فَإِنْ سَـتَرْتَهُ

---

(١) – أخرج أبو داود (٤٨٧٤) والترمذي (١٩٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكـر أحدكـم أخـاه بما يكره، فقال رجل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقـول فقـد اغتبتـه، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». [والبهت: الكذب والافتراء على الإنسان].

(٢) – وهو أخبث أنواع الغيبة.

(٣) – في نسخة: (أساءني).

(٤) – في نسخة: (إذ بها حَصَل).

سَتَرَ اللهُ عَلَيْكَ عُيُوبَكَ، وَإِنْ فَضَحْتَهُ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكَ أَلْسِنَةً حِداداً[١] يُمَزِّقُ عِرْضَكَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَفْضَحُكَ اللهُ فِي الآخِرَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ فَلَمْ تَطَّلِعْ (فِيهِمَا)[٢] عَلَى عَيْبٍ (وَ)[٣] نَقْصٍ فِي دِينٍ وَلاَ دُنْيَا، فَاعْلَمْ: أَنَّ جَهْلَكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ أَقْبَحُ أَنْوَاعِ الْحَمَاقَةِ، وَلاَ عَيْبَ أَعْظَمُ مِنَ الْحُمْقِ، وَلَوْ أَرَادَ اللهُ بِكَ خَيْراً لَبَصَّرَكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ، فَرُؤْيَتُكَ نَفْسَكَ بِعَيْنِ الرِّضَا غَايَةُ غَبَاوَتِكَ وَجَهْلِكَ، ثُمَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِي ظَنِّكَ فَاشْكُرِ اللهَ تَعَالَى عَلَيْهِ وَلاَ تُفْسِدْهُ بِثَلْبِ النَّاسِ وَالتَّمَضْمُضِ (بِأَعْرَاضِهِمْ)[٤] ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْعُيُوبِ[٥] .

الرَّابِعُ: الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ وَمُنَاقَشَةُ النَّاسِ فِي الْكَلاَمِ.

فَذَلِكَ فِيهِ إِيْذَاءٌ لِلْمُخَاطَبِ وَتَجْهِيلٌ لَهُ وَطَعْنٌ فِيهِ، وَفِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى النَّفْسِ وَتَزْكِيَةٌ لَهُمَا بِمَزِيْدِ الْفِطْنَةِ وَالْعِلْمِ، ثُمَّ هُوَ مُشَوِّشٌ لِلْعَيْشِ، فَإِنَّكَ لاَ تُمَارِي سَفِيْهاً إِلاَّ وَيُؤْذِيكَ، وَلاَ تُمَارِي حَلِيْماً إِلاَّ وَيَقْلِيْكَ وَيَحْقِدُ عَلَيْكَ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ تَرَكَ**

---

(٥) – أي: ككثرة عيوبك وذنوبك كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

(١) – قال تعالى: ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حدادٍ أشحة على الخير﴾[الأحزاب:١٩].

(٢) – في نسخة: (فيها).

(٣) – في نسخة: (أو).

(٤) – في نسخة: (في أعراضهم).

(٥) – قال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم والغيبة وذكر الناس فإنه داء. واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوىء إنسان يحرم أن تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به. قال الله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾[الحجرات: ١٢]. (مراقي العبودية ص٦٢).

الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ»[1] .

وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْدَعَكَ الشَّيْطَانُ وَيَقُولَ لَكَ: أَظْهِرِ الْحَقَّ وَلاَ تُدَاهِنْ فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَبَداً يَسْتَجِرُّ الْحَمْقَى إِلَى الشَّرِّ فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ، فَلاَ تَكُنْ ضُحْكَةً[2] لِلشَّيْطَانِ فَيَسْخَرُ بِكَ، فَإِظْهَارُ الْحَقِّ حَسَنٌ مَعَ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْكَ، وَذَلِكَ بِطَرِيقِ النَّصِيحَةِ فِي الْخُفْيَةِ لاَ بِطَرِيقِ الْمُمَارَةِ.

وَلِلنَّصِيحَةِ: صِفَةٌ وَهَيْئَةٌ، وَيُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى تَلَطُّفٍ، وَإِلاَّ صَارَتْ فَضِيحَةً، (وَكَانَ)[3] فَسَادُهَا أَكْثَرَ مِنْ صَلاَحِهَا، وَمَنْ خَالَطَ مُتَفَقِّهَةَ الْعَصْرِ غَلَبَ عَلَى طَبْعِهِ الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ، وَعَسُرَ عَلَيْهِ الصَّمْتُ، إِذْ أَلْقَى إِلَيْهِمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْمُحَاجَّةِ وَالْمُنَاقَشَةِ هُوَ الَّذِي يُتَمَدَّحُ بِهِ، فَفِرَّ مِنْهُمْ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ الْمِرَاءَ سَبَبُ الْمَقْتِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الْخَلْقِ.

الْخَامِسُ: **تَزْكِيَةُ النَّفْسِ**[4] .

(فَقَدْ)[5] قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[النجم: ٣٢].

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ[6] : مَا الصِّدْقُ الْقَبِيحُ؟ فَقَالَ: ثَنَاءُ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ.

---

(١) – أخرجه الترمذي (١٩٩٤) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق، بني له في وسطها، ومن حسن خلقه، بني له في أعلاها». واللفظ القريب المذكور في جامع الأصول (١٢٥٧/٢).

وأخرجه أبو داود (٤٨٠٠) بإسناد حسن عن أبي أمامة، بلفظ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

(٢) – قال في مراقي العبودية: أي: كثير الضحك.

(٣) – في نسخة: (وصار).

(٤) – أي: مدحها بالطهارة عن الدناءة.

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَعَوَّدَ ذَلِكَ، وَاعْلَمْ: أَنَّ ذَلِكَ يُنقِصُ مِنْ قَدْرِكَ عِنْدَ النَّاسِ، وَيُوجِبُ مَقْتَكَ عِنْدَ اللهِ (تَعَالَى)[1]، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ثَنَاءَكَ عَلَى نَفْسِكَ لاَ يَزِيدُ فِي قَدْرِكَ عِنْدَ غَيْرِكَ فَانْظُرْ إِلَى أَقْرَانِكَ[2] إِذَا أَثْنَوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْفَضْلِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ. (كَيْفَ)[3] يَسْتَنْكِرُهُ قَلْبُكَ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَثْقِلُهُ طَبْعُكَ، وَكَيْفَ تَذُمُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَارَقْتَهُمْ؟ فَاعْلَمْ: أَنَّهُمْ أَيْضاً فِي حَالِ تَزْكِيَتِكَ لِنَفْسِكَ يَذُمُّونَكَ فِي قُلُوبِهِمْ نَاجِزاً وَسَيُظْهِرُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ إِذَا فَارَقْتَهُمْ.

السَّادِسُ: **اللَّعْنُ.**

فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَنَ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ إِنْسَانٍ بِعَيْنِهِ.

وَلاَ تَقْطَعْ بِشَهَادَتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِشِرْكٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ، فَإِنَّ الْمُطَّلِعَ عَلَى السَّرَائِرِ هُوَ اللهُ تَعَالَى، فَلاَ تَدْخُلْ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى.

وَاعْلَمْ: أَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُقَالُ لَكَ: لِمَ لَمْ تَلْعَنْ فُلاَناً وَلِمَ سَكَتَّ عَنْهُ، بَلْ لَوْ لَمْ تَلْعَنْ إِبْلِيسَ طُولَ عُمُرِكَ وَلَمْ تَشْغَلْ لِسَانَكَ بِذِكْرِهِ لَمْ تُسْأَلْ عَنْهُ وَلَمْ تُطَالَبْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا لَعَنْتَ أَحَداً مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى طُولِبْتَ (بِهِ وَسُئِلْتَ عَنْهُ)[4]، وَلاَ تَذُمَّنَّ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لاَ يَذُمُّ الطَّعَامَ الرَّدِيءَ قَطُّ، بَلْ كَانَ إِذَا اشْتَهَى شَيْئاً أَكَلَهُ، وَإِلاَّ تَرَكَهُ.

السَّابِعُ: **الدُّعَاءُ عَلَى الْخَلْقِ.**

---

(٦) – أي: الواضعين الشيء في محله.

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – أي: الذين هم أهل زمان واحد.

(٣) – في نسخة: (وكيف).

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(فَاحْفَظْ)[1] لِسَانَكَ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَكِلْ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَفِي الْحَدِيْثِ: «**إِنَّ الْمَظْلُوْمَ لَيَدْعُوْ عَلَى ظَالِمِهِ حَتَّى يُكَافِئَهُ، ثُمَّ (يَبْقَى)[2] لِلظَّالِمِ فَضْلٌ عِنْدَهُ يُطَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3] .

وَطَوَّلَ بَعْضُ النَّاسِ لِسَانَهُ عَلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ[4] : إِنَّ اللهَ (لَيَنْتَقِمُ)[5] لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ (تَعَرَّضَ)[6] لَهُ بِلِسَانِهِ كَمَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ.

الثَّامِنُ: **الْمُزَاحُ وَالسُّخْرِيَةُ وَالاسْتِهْزَاءُ بِالنَّاسِ.**

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ فِي الْجِدِّ وَالْهَزْلِ، فَإِنَّهُ يُرِيْقُ مَاءَ الْوَجْهِ وَيُسْقِطُ الْمَهَابَةَ وَيَسْتَجِرُّ الْوَحْشَةَ وَيُؤْذِي الْقَلْبَ، وَهُوَ مَبْدَأُ اللَّجَاجِ وَالْغَضَبِ وَالتَّصَارُمِ، وَيَغْرِسُ الْحِقْدَ فِي الْقُلُوْبِ، فَلاَ تُمَازِحْ أَحَداً، (فَإِنْ)[7] مَازَحُوْكَ فَلاَ (تُجِبْهُمْ)[8] وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوْضُوا فِي حَدِيْثٍ غَيْرِهِ[9] ، وَكُنْ مِنَ الَّذِيْنَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً[10] .

---

(١) – في نسخة: (احفظ).

(٢) – في نسخة: (يكون).

(٣) – انظره في المغني عن حمل الأسفار: (١٢٢/٣) وقال: لم أقف له على أصل. وإتحاف السادة المتقين: (٤٩٣/٧). والفوائد المجموعة: (٢١١). وتذكرة الموضوعات: (١٨٤).

وأخرج الترمذي (٣٥٥٢) عن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا على من ظلمه فقد انتصر».

(٤) – الصالح وهو الإمام محمد بن سيرين إمام المعبرين نهياً عن تطويل الكلام على الحجاج. (مراقي العبودية ص٦٤).

(٥) – في نسخة: (ينتقم).

(٦) – في نسخة: (يتعرض).

(٧) – في نسخة: (وإن).

(٨) – في نسخة: (تجبه).

(٩) – لقوله تعلى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾[النساء: ١٤٠]. وقوله: ﴿فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾[الأنعام: ٦٨].

فَهَذِهِ مَجَامِعُ آفَاتِ اللِّسَانِ.

وَلاَ يُعِيْنُكَ عَلَيْهِ إِلاَّ الْعُزْلَةُ[1] (أَوْ)[2] مُلاَزَمَةُ الصَّمْتِ إِلاَّ بِقَدْرِ الضَّرُوْرَةِ، فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللهُ (تَعَالَى)[3] عَنْهُ يَضَعُ حَجَراً فِي فِيْهِ لِيَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنَ الْكَلامِ بِغَيْرِ ضَرُوْرَةٍ، وَيُشِيْرُ إِلَى لِسَانِهِ وَيَقُوْلُ: هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ كُلَّهَا[4] ، فَاحْتَرِزْ مِنْهُ (بِجَهْدِكَ)[5] ، فَإِنَّهُ أَقْوَى أَسْبَابِ هَلاَكِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَمَّا **الْبَطْنُ**: فَاحْفَظْهُ مِنْ تَنَاوُلِ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاحْرِصْ عَلَى طَلَبِ الْحَلاَلِ، فَإِذَا وَجَدْتَهُ فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ تَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى مَا دُوْنَ الشِّبَعِ، فَإِنَّ الشِّبَعَ يُقَسِّي الْقَلْبَ وَيُفْسِدُ الذِّهْنَ، وَيُبْطِلُ الْحِفْظَ، وَيُثْقِلُ الأَعْضَاءَ عَنِ الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ، وَيُقَوِّي الشَّهَوَاتِ، وَيَنْصُرُ جُنُوْدَ الشَّيْطَانِ.

وَالشِّبَعُ مِنَ الْحَلاَلِ مَبْدَأُ كُلِّ شَرٍّ[6] فَكَيْفَ مِنَ الْحَرَامِ؟.

---

(١٠) - لقوله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾الفرقان: ٧٢]. ومتمثلاً بقوله: ﴿وإذا سمعوا اللغوَ أعرضوا عنه﴾[القصص: ٥٥].

(١) - فقد جاء في العزلة: ما أخرجه الطبراني في الصغير (٣٢١) عن عمران بن حُصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنِ انْقَطَعَ إلى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب، وَمَنْ انْقَطَعَ إلى الدنيا، وكله الله إليها». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١٨٩): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل، وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: يغرب ويخطىء ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

(٢) - في نسخة: (و).

(٣) - ما بين: ( ) نقص من المطبوع.

(٤) - أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٣٣).

(٥) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) - أخرج أحمد (١٣٢/٤) الترمذي (٢٣٨٠) والنسائي في الكبرى: (٨٨). عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ آدَمِيٌّ وعاءً شراً من بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابن آدمَ أكلاتٍ يقمن صُلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

وَطَلَبُ الْحَلاَلِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَالْعِبَادَةُ وَالْعِلْمُ مَعَ أَكْلِ الْحَرَامِ كَالْبِنَاءِ عَلَى السِّرْجَيْنِ، فَإِذَا قَنِعْتَ فِي السَّنَةِ بِقَمِيْصٍ خَشِنٍ، وَفِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلِ بِرَغِيْفَيْنِ مِنَ الْخُشْكَارِ[1] ، وَتَرَكْتَ التَّلَذُّذَ بِأَطْيَبِ الأُدْمِ، لَمْ يُعْوِزْكَ مِنَ الْحَلاَلِ مَا يَكْفِيْكَ وَالْحَلاَلُ كَثِيْرٌ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَيَقَّنَ بَوَاطِنَ الأُمُوْرِ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مِمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ، أَوْ تَظُنُّ أَنَّهُ حَرَامٌ، ظَنّاً حَصَلَ مِنْ عَلاَمَةٍ نَاجِزَةٍ، (مَقْرُوْنَةٍ بِالْمَالِ)[2] .

أَمَّا الْمَعْلُوْمُ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا الْمَظْنُوْنُ بِعَلاَمَةٍ، فَهُوَ مَالُ السُّلْطَانِ وَعُمَّالُهُ، وَمَالُ مَنْ لاَ كَسْبَ لَهُ إِلاَّ مِنَ النِّيَاحَةِ أَوْ بَيْعِ الْخَمْرِ أَوِ الرِّبَا أَوِ الْمَزَامِيْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آلاَتِ اللَّهْوِ الْمُحَرَّمَةِ، (فَإِنَّ)[3] مَنْ عَلِمْتَ أَنَّ أَكْثَرَ مَالِهِ حَرَامٌ قَطْعاً فَمَا تَأْخُذُهُ مِنْ يَدِهِ، وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يَكُوْنَ حَلاَلاً نَادِراً فَهُوَ حَرَامٌ، لأَنَّهُ الْغَالِبُ عَلَى الظَّنِّ[4] .

وَمِنَ الْحَرَامِ الْمَحْضِ مَا يُؤْكَلُ مِنَ الأَوْقَافِ مِنْ غَيْرِ شَرْطِ الْوَاقِفِ، فَمَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِالتَّفَقُّهِ، فَمَا يَأْخُذُهُ مِنَ الْمَدَارِسِ حَرَامٌ، وَمَنِ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً تُرَدُّ بِهَا شَهَادَتُهُ، فَمَا يَأْخُذُهُ بِاسْمِ الصُّوْفِيَّةِ مِنْ وَقْفٍ أَوْ غَيْرِهِ حَرَامٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَدَاخِلَ الشُّبُهَاتِ وَالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ مِنْ كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُوْمِ الدِّيْنِ[5] ، فَعَلَيْكَ بِطَلَبِهِ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْحَلاَلِ وَطَلَبَهُ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ.

---

(١) – أي: الخبز الأسمر.

(٢) – في نسخة: (مقدرة بالمثال).

(٣) – في نسخة: (حتى).

(٤) – قال في مراقي العبودية (ص٦٧): قال الشبرخيتي في الفتوحات الوهبية نقلاً عن مختصر إحياء علوم الدين: ومن جملة التشابه أن يكون الشيء مما قد اشترى في الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام لا أن يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب وأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالإجماع ولا ينقلب بأداء المال في مقابلته من الحرام حراماً بل غايته أنه لا تبرأ ذمته فكأنه لم يقضِ الثمن فلا يحرم ما أكله.

(٥) – (٨٨/٢) فراجعه هناك.

وَأَمَّا **الْفَرْجُ**: فَاحْفَظْهُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى، وَكُنْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِيْنَ هُمْ لِفُرُوْجِهِمْ حَافِظُوْنَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُوْمِيْنَ﴾[المؤمنون: ٥ - ٦].

وَلاَ تَصِلْ إِلَى حِفْظِ الْفَرْجِ إِلاَّ بِحِفْظِ الْعَيْنِ عَنِ النَّظَرِ، وَحِفْظِ الْقَلْبِ عَنِ الْفِكْرِ، وَحِفْظِ الْبَطْنِ عَنِ الشُّبْهَةِ، وَعَنِ الشِّبَعِ، فَإِنَّ هَذِهِ مُحَرِّكَاتٌ لِلشَّهْوَةِ وَمَغَارِسِهَا.

وَأَمَّا **الْيَدَيْنِ**: فَاحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَضْرِبَ بِهِمَا مُسْلِماً، (أَوْ)[1] تَتَنَاوَلَ بِهِمَا مَالاً حَرَاماً، أَوْ تُؤْذِي بِهِمَا أَحَداً مِنَ الْخَلْقِ، أَوْ تَخُوْنَ بِهِمَا أَمَانَةً أَوْ وَدِيْعَةً، أَوْ تَكْتُبَ بِهِمَا مَالاَ يَجُوْزُ النُّطْقُ بِهِ، فَإِنَّ الْقَلَمَ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ، فَاحْفَظْ الْقَلَمَ عَمَّا يَجِبُ حِفْظُ اللِّسَانِ عَنْهُ.

وَأَمَّا **الرِّجْلاَنِ**: فَاحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى حَرَامٍ، أَوْ تَسْعَى بِهِمَا إِلَى بَابِ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، فَالْمَشْيُ إِلَى السَّلاَطِيْنِ الظَّلَمَةِ مِنْ غَيْرِ ضَرُوْرَةٍ وَإِرْهَاقٍ مَعْصِيَةٌ كَبِيْرَةٌ، فَإِنَّهُ تَوَاضُعٌ لَهُمْ، وَإِكْرَامٌ لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالإِعْرَاضِ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[هود: ١١٣] الآيَة، (وَهُوَ تَكْثِيْرٌ لِسَوَادِهِمْ)[2].

وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِسَبَبِ طَلَبِ مَالِهِمْ فَهُوَ سَعْيٌ إِلَى (حَرَامٍ)[3]، وَقَدْ قَالَ صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ صَالِحٍ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِيْنِهِ»**[4]. (وَهَذَا)[5] فِي غَنِيٍّ صَالِحٍ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْغَنِيِّ الظَّالِمِ؟.

---

(١) - في نسخة: (و).

(٢) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) - في نسخة: (الحرام).

(٤) - قال العجلوني في كشف الخفاء (٢٤٤٤): رواه البيهقي عن ابن مسعود من قوله بلفظ: «من خضع لغني ووضع له نفسه إعظاماً له وطمعاً فيما قبله ذهب ثلثا مروءته وشطر دينه».

وانظر الحديث في الحلية (٢٣/٨) والمقاصد الحسنة (١١٠٢) ومختصر المقاصد الحسنة:(١٠١٣) وتمييز الطيب من الخبيث (١٣٧٠). وأسنى المطالب (١٣٧٩).

(٥) - في نسخة: (هذا).

وَعَلَى الْجُمْلَةِ: فَحَرَكَاتُكَ وَسَكَنَاتُكَ بِأَعْضَائِكَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، فَلاَ تُحَرِّكْ شَيْئاً مِنْهَا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى أَصْلاً، وَاسْتَعْمِلْهَا فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

وَاعْلَمْ: أَنَّكَ إِنْ قَصَّرْتَ فَعَلَيْكَ (وَبَالُهُ)[1] ، وَإِنْ شَمَّرْتَ فَإِلَيْكَ (تَعُودُ)[2] (ثَمَرَتُهُ)[3] . وَاللهُ غَنِيٌّ عَنْكَ وَعَنْ عَمَلِكَ، وَإِنَّمَا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر: ٣٨].

وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِلْعُصَاةِ، فَإِنَّ هَذِهِ كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، وَصَاحِبُهَا مُلَقَّبٌ بِالْحَمَاقَةِ بِتَلْقِيبِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَيْثُ قَالَ: **«الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِي»**[4] .

وَاعْلَمْ: أَنَّ (قَوْلَكَ هَذَا يُضَاهِي قَوْلَ)[5] مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ فَقِيهاً فِي عُلُومِ الدِّينِ (مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْرُسَ عِلْماً)[6] وَاشْتَغَلَ بِالْبَطَالَةِ وَقَالَ: إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُفِيضَ عَلَى قَلْبِي مِنَ الْعُلُومِ مَا أَفَاضَهُ عَلَى قُلُوبِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ مِنْ غَيْرِ جُهْدٍ وَتَكْرَارٍ (وَتَعَلُّقٍ)[7] ، وَهُوَ كَقَوْلِ مَنْ يُرِيدُ مَالاً (فَيَتْرُكُ)[8] الْحِرَاثَةَ وَالتِّجَارَةَ (وَالْكَسْبَ)[9] (وَيَتَعَطَّلُ)[10] وَقَالَ: إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ، وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى

---

(١) - في نسخة: (يرجع وباله).

(٢) - في نسخة: (ترجع).

(٣) - في نسخة: (ثمراته) وفي نسخة: (ثمرته). ومعناه: أي: فائدة تشميرك.

(٤) - أخرجه أحمد (١٢٤/٤) والترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجة (٤٢٦٠) عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

(٥) - في نسخة: (قول).

(٦) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٧) - في نسخة: (أو تعليق).

(٨) - في نسخة: (فترك).

(٩) - في نسخة: (والمكسب).

(١٠) - في نسخة: (وتعطل).

أَنْ يُطْلِعَنِي عَلَى كَنْزٍ مِنَ الْكُنُوْزِ أَسْتَغْنِي بِهِ عَنِ الْكَسْبِ، فَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لِبَعْضِ عِبَادِهِ، فَأَنْتَ إِذَا سَمِعْتَ كَلاَمَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اسْتَحْمَقْتَهُمَا وَسَخِرْتَ مِنْهُمَا، وَإِنْ كَانَ مَا وَصَفَاهُ مِنْ كَرَمِ اللهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ صِدْقاً وَحَقّاً، فَكَذَلِكَ يَضْحَكُ عَلَيْكَ أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ فِي الدِّيْنِ إِذَا طَلَبْتَ الْمَغْفِرَةَ بِغَيْرِ سَعْيٍ لَهَا، وَاللهُ تَعَالَى يَقُوْلُ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[النجم: ٣٩]. وَيَقُوْلُ: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾[الطور: ١٦]، وَيَقُوْلُ: ﴿(إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيْمٍ)[1]، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيْمٍ﴾[الإنفطار: ١٣ - ١٤].

فَإِذَا لَمْ تَتْرُكِ السَّعْيَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَالِ اعْتِمَاداً عَلَى كَرَمِهِ، فَكَذَلِكَ لاَ تَتْرُكِ التَّزَوُّدَ لِلآخِرَةِ، وَلاَ تَفْتُرْ[2] فَإِنَّ رَبَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاحِدٌ، وَهُوَ فِيْهِمَا كَرِيْمٌ رَحِيْمٌ، (وَلَيْسَ)[3] يَزِيْدُ لَهُ كَرَمٌ بِطَاعَتِكَ، وَإِنَّمَا كَرَمُهُ فِي أَنْ يُيَسِّرَ لَكَ طَرِيْقَ الْوُصُوْلِ إِلَى الْمُلْكِ الْمُقِيْمِ (وَالنَّعِيْمِ الدَّائِمِ)[4] الْمُخَلَّدِ، بِالصَّبْرِ عَلَى تَرْكِ الشَّهَوَاتِ أَيَّاماً قَلاَئِلَ، وَهَذَا نِهَايَةُ الْكَرَمِ.

فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِتَهْوِيْسَاتِ الْبَطَّالِيْنَ، (وَاقْتَدِ)[5] بِأُوْلِي الْعَزْمِ وَالنُّهَى مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ، وَلاَ تَطْمَعْ فِي أَنْ تَحْصِدَ مَا لَمْ تَزْرَعْ، وَلَيْتَ مَنْ (صَلَّى وَصَامَ)[6] وَجَاهَدَ وَاتَّقَى غُفِرَ لَهُ.

فَهَذِهِ جُمَلٌ (مِمَّا)[7] يَنْبَغِي أَنْ تَحْفَظَ عَنْهُ جَوَارِحَكَ الظَّاهِرَةَ، وَأَعْمَالُ هَذِهِ الْجَوَارِحِ إِنَّمَا تَتَرَشَّحُ مِنْ صِفَاتِ الْقَلْبِ، فَإِنْ أَرَدْتَ حِفْظَ الْجَوَارِحِ فَعَلَيْكَ بِتَطْهِيْرِ الْقَلْبِ، (وَهُوَ تَقْوَى)[8] الْبَاطِنِ[9]، وَالْقَلْبُ هُوَ الْمُضْغَةُ الَّتِي إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ (بِهَا سَائِرُ)[10] الْجَسَدِ

---

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – أي: لا تلن في العمل بعد شدتك.

(٣) – في نسخة: (ليس).

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) – في نسخة: (واقتداء).

(٦) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٧) – في نسخة: (ما)

(٨) – في نسخة: (فهو التقوى).

(وَإِذَ فَسَدَتْ فَسَدَ بِهَا سَائِرُ الْجَسَدِ)[1] ، فَاشْتَغِلْ (بِإِصْلَاحِهِ)[2] لِتُصْلِحَ بِهِ جَوَارِحَكَ، (وَصَلَاحُهُ يَكُونُ بِمُلَازَمَةِ الْمُرَاقَبَةِ)[3] .

الْقَوْلُ فِي مَعَاصِي الْقُلُوبِ

اعْلَمْ: أَنَّ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةَ فِي الْقَلْبِ كَثِيرَةٌ، (وَطَرِيقُ تَطْهِيرِ)[4] الْقَلْبِ مِنْ رَذَائِلِهَا (طَوِيلَةٌ، وَسَبِيلُ)[5] الْعِلَاجِ فِيهَا غَامِضٌ، وَقَدْ انْدَرَسَ بِالْكُلِّيَّةِ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ لِغَفْلَةِ الْخَلْقِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَاشْتِغَالِهِمْ بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا، وَقَدْ اسْتَقْصَيْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ فِي رُبْعِ الْمُهْلِكَاتِ وَرُبْعِ الْمُنْجِيَاتِ، وَلَكِنَّا نُحَذِّرُكَ الآنَ ثَلَاثاً مِنْ خَبَائِثِ الْقَلْبِ: هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَى مُتَفَقِّهَةِ الْعَصْرِ، لِتَأْخُذَ مِنْهَا حَذَرَكَ، فَإِنَّهَا مُهْلِكَاتٌ فِي أَنْفُسِهَا، وَهِيَ أُمَّهَاتٌ لِجُمْلَةٍ مِنَ الْخَبَائِثِ سِوَاهَا، وَهِيَ: **الْحَسَدُ، وَالرِّيَاءُ، وَالْعُجْبُ**.

فَاجْتَهِدْ فِي تَطْهِيرِ قَلْبِكَ مِنْهَا، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهَا فَتَعَلَّمْ كَيْفِيَّةَ الْحَذَرِ مِنْ بَقِيَّتِهَا مِنْ رُبْعِ الْمُهْلِكَاتِ.

---

(٩) – قال أحمد بن خضرويه: القلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح. (مراقي العبودية ص٦٩).

(١٠) – ما بين: ( ) نقص من المطبوع.

(١) – في نسخة: (كله). يشير المصنف إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». أخرجه البخاري (٥٢ و٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) وأبو داود (٣٣٢٩ و٣٣٣٠). وابن ماجة (٣٩٨٤). عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) – في نسخة: (بصلاحه).

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – في نسخة: (وتطهير).

(٥) – في نسخة: (طويل، وسبب).

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ هَذَا فَأَنْتَ عَنْ غَيْرِهِ أَعْجَزُ، وَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّكَ تَسْلَمُ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ فِي تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَفِي قَلْبِكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ، وَقَدْ قَالَ صلى الله عليه وسلم: **«ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»**[1] .

---

(١) - ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٣) عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكات: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وهوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصدُ في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعدَ الصلاة وإسباغ الوضوء في السَّبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام». قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه: ابن لهيعة ومن لا يعرف.

وذكر الهيثمي في المجمع (٣١٤) عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «ثلاثٌ كفارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات، فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في السبرات.... وَأَمَّا المهلكات: فشحٌّ مطاعٌ، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه». قال: رواه البزار والطبراني في الأوسط ببعضه وقال: «إعجاب المرء بنفسه من الخُيلاء»، وفيه: زائدة بن أبي الرقاد وزياد النُّميري وكلاهما مختلف في الاحتجاج به.

وذكر الهيثمي في المجمع (٣١٥) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المهلكات ثلاث: إعجاب المرء بنفسه، وشحٌّ مطاعٌ، وهوًى متبع». وانظره في الحلية: (٣/٢١٩).

أَمَّا الْحَسَدُ[1] :

---

(١) – قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٤٢٤ – ٤٣٢): في ذم الحسد، اعلم أن الحسد خُلُقٌ ذميمٌ، مع إضراره بالبدن؛ وإفساده للدين، حتى لقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من شره، فقال تعالى: ﴿ومن شر حاسدٍ إذا حسد﴾[الفلق: ٥]. وناهيك بحال ذلك شراً. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «دب إليكم داءُ الأمم قبلكم: البغضاء والحسد، هي الحالقة؛ حالقةُ الدين، لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده، لا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بأمرٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». فأخبر صلى الله عليه وسلم بحال الحسد، وأن التحابب ينفيه، وأن السلام يبعث على التحابب، فصار السلام إذن نافياً للحسد، وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول. وقال الله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسنُ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم﴾[فصلت: ٣٤]. حكى مجاهد أنَّ معناه: ادفع بالسلام إساءةَ المُسيء.... وقال بعض السلف: الحسد أول ذنبٍ عُصِيَ الله به في السماء، يعني حسد إبليس لآدم عليه السلام، وأول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله. وقال بعض الحكماء: من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحدٌ، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد. وقال بعض البلغاء: الناسُ حاسدٌ ومحسودٌ، ولكل نعمة حسود. وقال بعض الأدباء: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود؛ نفس دائم، وهمٌّ لازم، وقلبٌ هائم... ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خُلُقٌ دنيءٌ، يتوجه نحو الأكفاء والأقارب، ويختص بالمخالط والمصاحب، لكانت النزاهة عنه كرماً، والسلامة منه مغنماً، فكيف وهو بالنفس مُضرٌ، وعلى الهمِّ مُصِرٌ، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف، من غير نكايةٍ في عدوٍّ، ولا إضرار بمحسود. وقد قال معاوية رضي الله عنه: ليس في خصال الشر أعدلُ من الحسد، يقتلُ الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. وقال بعض الحكماء: يكفيك من الحاسد أنه يغتم في وقت سرورك. وقيل في منثور الحكم: عقوبة الحاسد من نفسه. وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما أطول عُمرك؟ قال: تركت الحسد فبقيت. وقال رجلٌ لشُريح القاضي: إني لأحسُدُكَ على ما أرى من صبرك على الخصوم، ووقوفك على غامض الحُكْم. فقال: ما نفعك الله بذلك ولا ضرني. وقال عبد الله بن المعتز:

اصبر على كيد الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكلُ بعضها إن لم تجد ما تأكله

وحقيقة الحسد: شِدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل، وهو غير المنافسة، وربما غلط قومٌ فظنوا أن المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر على ما ظنوا؛ لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضررٍ عليهم؛ والحسد مصروف إلى الضرر؛ لأن غايته أن يعدمَ الفاضل فضله، من غير أن

يصير الفضل له، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد، فالمنافسة إذن فضيلة لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل، والاقتداء بالأخيار الأفاضل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن يغبط، والمنافق يحسدُ»....

واعلم أن دواعي الحسد ثلاثة: **أحدها**: بُغضُ المحسود، فيأسى عليه بفضيلة تظهر، أو منقبةٍ تشكر، فيثير حسداً قد خامر بغضاً، وهذا النوع لا يكون عاماً وإن كان أضرها؛ لأنه ليس يبغض كل الناس. **والثاني**: أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه الحاسد، فيكره تقدمه فيه، واختصاصه به، فيثير ذلك حسداً لولاهُ لكفَّ عنه، وهذا أوسطها، لأنه لا يحسد الأكفاء ومن دنا، وإنما يختص بحسد من علا. وقد يمتزج بهذا النوع ضربٌ من المنافسة، ولكنها مع عجز، فلذلك صارت حسداً. **والثالث**: أن يكون في الحاسد شُحٌّ بالفضائل، وبخلٌ بالنعم، وليست إليه فيمنع منها، ولا بيده فيدفع عنها، لأنها مواهب قد منحها الله من شاء، فيسخط على الله عز وجل في قضائه، ويحسد على ما منح من عطائه، وإن كانت نعم الله عز وجل عنده أكثر، ومنه عليه أظهرَ. وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها؛ إذ ليس لصاحبه راحة، ولا لرضاه غاية؛ فإن اقترن بشر وقدرة، كان بوراً وانتقاماً، وإن صادف عجزاً ومهانة كان جهداً وسقاماً. وقال عبد الحميد: الحسود من الهمِّ كساقي السُّمِّ، فإذا سرى سمُّه، زال عنه همه.

واعلم أنه بحسب فضل الإنسان، وظهور النعمة عليه، يكون حسدُ الناس له؛ فإن كثر فضله كثر حساده، وإن قل قلُّوا؛ لأن ظهور الفضل يثير الحسد، وحدوث النعمة يضاعف الكمد، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «استعينوا على قضاء الحوائج بسترها، فإنَّ كل ذي نعمة محسود». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما كانت لله على أحدٍ نعمة إلا وجد لها حاسداً. ولو كان الرجل أقوَمَ من القِدْح لما عدم غامزاً. وقد قال الشاعر:

إن يحسدوني فإني غيرُ لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجدُ

وربما كان الحسدُ منبهاً على فضل المحسود ونقص الحسود، كما قال أبو تمام الطائي:

وَإذا أراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للعواقب لم يزل للحاسد النُّعمى على المحسود

[دواء الحسد]: فأما ما يستعمله من كان غالباً عليه الحسد، وكان طبعه إليه مائلاً، لينتفي عنه ويُكفاه، ويسلم من ضرره وعدواه، فأمور هي له حسم، إن صادفها عزم. **منها**: اتباع الدين في اجتنابه، والرجوع إلى الله عز وجل في ندبه وآدابه، فيقهر نفسه على مذموم خُلُقها، وينقلها عن لئيم طبعها.

وإن كان نقل الطباع عَسِراً، لكن بالرياضة والتدريج يسهل منها ما استصعب، ويحبب منها ما أتعبَ، وإن تقدم قولُ القائل: من ربه خلقه كيف يُخلي خُلُقه! غير أنه إذا عانى تهذيب نفسه، تظاهر بالتخلق دون الخلق، ثم بالعادة يصير كالخلق. قال أبو تمام الطائي:

فلم أجِدِ الأخلاق إلا تخلقاً　　ولم أجد الإفضال إلا تفضُّلاً

ومنها: العقل الذي يستقبح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه، ويستنكف من هجنة مساويه، فيذلل نفسه أنفة، ويقهرها حمية؛ فتذعن لرشدها؛ وتجيب إلى صلاحها. وهذا إنما يصح لذي النفس الأبية، والهمة العلية وإن كان ذو الهمة يجلُّ عن دناءة الحسد. وقد قال الشاعر:

أبي له نفسان: نفسٌ زكية　　ونفسٌ إذا ما خافتِ الظلمَ تشمس

ومنها: أن يستدفعَ ضرره، ويتوقّى أثره، ويعلم أن مكانته في نفسه أبلغ، ومن الحسد أبعد؛ فيستعمل الحزم في دفع ما كدَّه وأكمده؛ ليكون أطيب نفساً، وأهنأ عيشاً. وقد قيل: العجب لغفلة الحساد، عن سلامة الأجساد! وقد قال الشاعر:

بصيرٌ بأعقاب الأمور كأنما　　يرى بصواب الرأي ما هُو واقعُ

ومنها: ما يرى من نفور الناس عنه، وبعدهم منه، فيخافهم؛ إما على نفسه من عداوة، أو على عِرضه من ملامة، فيتألفهم بمعالجة نفسه، ويراهم إن صَلحوا أجدى نفعاً، وأخلص وداً. وقال ابن العميد:

داوي جوًى بجوًى وليس بحازمٍ　　من يستكفّ النار بالحلفاء

ومنها: أن يساعد القضاء، ويستسلم للمقدور؛ ولا يرى أن يغالب قضاء الله، فيرجع مغلوباً، ولا أن يعارضه في أمره، فيرد محروماً مسلوباً ومحزوناً. وقد قال أردشير بن بابك: إذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه. وقال محمود الوراق:

قَدَرُ الله كائنٌ　　حين يُقضى وروده
قد مضى فيك علمه　　وانتهى ما يريدُهُ
وأخو الحزمِ حزمُهُ　　ليس مما يزيدهُ
فأرد ما يكون إن　　لم يكن ما تريده

فإن أظفرته السعادة بأحد هذه الأسباب، وهدته المراشدُ إلى استعمال الصواب، سلمَ من سقامه، وخلصَ من غرامه، واستبدل بالنقص فضلاً، واعتاض من الذم حمداً، ولمن استنزل نفسه عن مذمةٍ، وصرفها عن لائمة، هو أظهر حزماً، وأقوى عزماً، ممن كفته النفس جهادها، وأعطته قيادها؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خياركم كل مُفتنٍ تواب. -

فَهُوَ مُتَشَعِّبٌ مِنَ الشُّحِّ، فَإِنَّ الْبَخِيْلَ هُوَ الَّذِي يَبْخَلُ بِمَا فِي يَدِهِ عَلَى غَيْرِهِ. وَالشَّحِيْحُ: هُوَ الَّذِي يَبْخَلُ بِنِعْمَةِ اللهِ (تَعَالَى)(١) - وَهِيَ فِي خَزَائِنِ قُدْرَتِهِ (تَعَالَى)(٢) لاَ فِي خَزَائِنِهِ - عَلَى عِبَادِ اللهِ تَعَالَى، فَشُحُّهُ أَعْظَمُ.

=[آفات الحسد]: وإن صدَّته الشقوة عن مراشده، وأصله الحرمان عن مقاصده، فانقاد للطبع اللئيم، وغلب عليه الخُلُقُ الذميم، حتى ظهر حسده، واشتد كمده، فقد باء بأربع مذامّ. إحداهنَّ: حسراتُ الحسد، وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاءً، ولا يؤمل لسقامه شفاءً. وقال ابن المعتز: الحسد داء الجسد. والثانية: انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة؛ لانحراف الناس عنه، ونفورهم منه. وقد قيل في منثور الحكم: الحسود لا يسود. والثالثة: مَقْتُ الناس له، حتى لا يجدَ فيهم مُحبّاً، وعداوتهم له، حتى لا يرى فيهم وليّاً، فيصير بالعداوة موتوراً، وبالمقت مزجوراً، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه». والرابعة: إسخاطُ الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته؛ إذ ليس يرى قضاء الله عدلاً، ولا لنعمه من الناس أهلاً؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال عبد الله ابن المعتز: الحاسدُ مغتاظٌ على من لا ذنب له، بخيل بما لا يملكه، طالب ما لا يجده؛ وإذا بلي الإنسان بمن هذه حاله من حُسَّاد النعم وأعداء الفضل، استعاذ بالله من شره، وتوقى مصارع كيده، وتحرَّز من غوائل حسده، وبعد عن ملابسته وإدنائه؛ لعضل دائه، وإعواز دوائه. فقد قيل: حاسدُ النعمة لا يرضيه إلا زوالها. وقال بعض الحكماء: من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه؛ فإن قلب الأعيان صعبُ المرام. وقال عبد الحميد: أسد تقاربه خيرٌ من حسود تراقبه. وقال محمود الوراق:

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا ... إلا الحسود فإنه أعياني
ما إنَّ لي ذنباً إليه علمته ... إلا تظاهر نعمة الرحمن
وأبى فما يرضيه إلا ذلتي ... وذهاب أموالي وقطعُ لساني
فَسَأستعين بخالقي مولى الورى ... يكفينا بها من الشيطان

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاث لا يسلم أحدٌ منهنَّ: الطيرة، وسوء الظن، والحسد؛ فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تَبْغِ».

(١) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

وَالْحَسُوْدُ: هُوَ الَّذِي يَشُقُّ عَلَيْهِ إِنْعَامُ اللهِ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ قُدْرَتِهِ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ بِعِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ مَحَبَّةٍ فِي قُلُوْبِ النَّاسِ، أَوْ حَظٍّ مِنَ الْحُظُوْظِ، حَتَّى إِنَّهُ يُحِبُّ زَوَالَهَا عَنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْصَلْ لَهُ (بِذَلِكَ شَيءٌ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ فَهَذَا)[1] مُنْتَهَى الْخُبْثِ، فَلِذَلِكَ قَالَ (النَّبِيُّ)[2] صلى الله عليه وسلم: «**الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**»[3].

وَالْحَسُوْدُ: هُوَ الْمُعَذَّبُ الَّذِي لاَ يُرْحَمُ، وَلاَ يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لاَ تَخْلُو قَطُّ عَنْ خَلْقٍ كَثِيْرٍ مِنْ أَقْرَانِهِ وَمَعَارِفِهِ مِمَّنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، فَلاَ يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَوْتِهِ، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ، بَلْ لاَ يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى حَقِيْقَةِ الإِيْمَانِ مَا لَمْ يُحِبَّ لِسَائِرِ الْمُسْلِمِيْنَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ[4]، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُسَاهِمَ الْمُسْلِمِيْنَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَالْمُسْلِمُوْنَ كَالْبُنْيَانِ الْوَاحِدِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَكَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ اشْتَكَى سَائِرُ الْجَسَدِ[5].

فَإِنْ كُنْتَ لاَ تُصَادِفُ هَذَا مِنْ قَلْبِكَ، فَاشْتِغَالُكَ بِطَلَبِ التَّخَلُّصِ (عَنِ)[6] الْهَلاَكِ أَهَمُّ مِنِ اشْتِغَالِكَ بِنَوَادِرِ الْفُرُوْعِ وَعِلْمِ الْخُصُوْمَاتِ.

وَأَمَّا الرِّيَاءُ:

---

(١) – في نسخة: (من ذلك مصلحة وهذا).

(٢) – في نسخة: (رسول الله).

(٣) – أخرجه أبو داود (٤٩٠٣) وابن ماجة (٤٢١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وبقيته: «والصدقة تطفيء الخطيئة، كما يطفيء الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جنة من النار» وهو حديث ضعيف.

(٤) – ذكر الهيثمي في المجمع (١٣٦٦٧) عن خالد بن عبد الله القسري، عن أبيه، عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجده يزيد بن أسد: «أحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك». أخرج أحمد (٤/٧٠، ٧٠ – ٧١) والطبراني في الكبير (٢٢/٢٣٨) وأبو يعلى (٩١١).

(٥) – عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». أخرجه البخاري (١/١٢٩ و٣/١٦٩ و٨/١٤) والترمذي (١٩٢٨) والنسائي (٥/٧٩). والحميدي (٧٧٢). وانظره في الجامع الصغير (٩١٦٩) بتحقيق شيخنا.

(٦) – في نسخة: (من).

فَهُوَ الْشِّرْكُ الْخفِيُّ، (وَهُوَ)[1] أَحَـدُ الشِّـرْكَيْنِ، وَذَلِـكَ طَلَبُـكَ (الْمَنْزِلَـةَ)[2] في قُلُـوْبِ الْخلْقِ لِتَنالَ بِهَا الْجَاهَ وَالْحِشْمَةَ.

وَحُبُّ الْجَاهِ مِنَ الْهَوَى الْمتَّبَعِ، وَفِيْهِ هَلَكَ أَكْثَرُ النَّاسِ، فَمَـا أَهْلَـكَ النَّـاسَ إِلاَّ النَّـاسُ.

(وَلَوْ)[3] أَنْصَفَ النَّاسَ حَقِيْقَةً لَعَلِمُوا أَنَّ أَكْثَرَ مَا هُمْ فِيْهِ مِنَ الْعُلُوْمِ وَالْعِبَـادَاتِ فَضْـلاً عَـنْ أَعْمَالِ الْعَادَاتِ، لَيْسَ يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهَا إِلاَّ مُرَاءَاةُ النَّاسِ. وَهِيَ مُحْبِطَـةٌ لِلأَعمَـالِ. كَمَـا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ: «**إِنَّ الْشَّهِيْدَ يُؤْمَرُ بِهِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِلَى الْنَّـارِ فَيَقُوْلُ: يَا رَبُّ اسْتَشْـهَدْتُ فِي سَبِيْلِكَ، فَيَقُوْلُ اللهُ تعالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ شُجَاعٌ، وَقَـدْ قِيْـلَ ذَلِـكَ، وَذَلِـكَ أَجْرُكَ**»[4] . (وَكَذَلِكَ)[5] يُقَالُ لِلْعَالِمِ وَالْحَاجِّ (وَالْقَارِىءِ)[6] .

---

(١) – في نسخة: (هو).

(٢) – في نسخة: (منزلةً).

(٣) – في نسخة: (فلو).

(٤) – أخرجه مسلم (١٩٠٥) والترمذي (٢٣٨٣) والنسائي (٣١٣٧) عن سليمان بن يسار قـال: تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له قائلٌ من أهل الشام: أيها الشيخ، حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول: «أول النـاس يُقْضَـى لَهُمْ يوم القيامة ثلاثة: رجلٌ استشهد فأتي به فعرفه نعمة فعرفها قـال: فمـا عملـت فيهـا؟ قـال: قـاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال: فلان جريءٌ فقد قيل ثـم أمـر بـه فسـحبَ على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلمَ وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمـة فعرفهـا قـال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبـت ولكنـك تعلمـت العلـم ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهـه حتـى أُلقـي في النـار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمة فعرفها فقال: مـا علمـت فيهـا؟ قال: ما تركت في سبيل تُحِبُّ ـ قال أبو عبد الرحمن: ولم أفهم تُحِبُّ ـ كمـا أردت أن ينفـق فيهـا إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكن ليقال إنه جوادٌ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهـه فـأُلقي في النار». وانظره في جامع الأصول (٥٢٦٤).

(٥) – في نسخة: (وكذا).

(٦) – في نسخة: (والغازي).

وَأَمَّا **الْعُجْبُ**(1) **وَالْكِبْرُ**(2) **وَالْفَخْرُ**: فَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ، وَهُوَ نَظَرُ الْعَبْدِ إِلَى نَفْسِهِ بِعَيْنِ (الْعِزِّ)(3) وَالاسْتِعْظَامِ، (وَإِلَى)(4) غَيْرِهِ بِعَيْنِ الاحْتِقَارِ (وَالذُّلِّ)(5).

---

(1) – قال الإمام الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص٣٧٥ – ٣٧٧): **وَأَمَّا الإعجاب**: فيخفي المحاسن، ويظهر المساوىء، ويكسب المذام، ويصد عن الفضائل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب. وقال بُزُرْجَمِهر: النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها: التواضع. والبلاء الذي لا يرحم صاحبه منه: العُجب. وقال بعض الحكماء: عجب المرء بنفسه أحد حُسَّاد عقله. وليس لما يكسبه الكِبر من المقت حدٌّ، ولا لما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفىء من المحاسن ما انتشر، ويسلبُ من الفضائل ما اشتهر. وناهيك بسيئة تُحبط كل حسنةٍ، وبمذمة تهدمُ كل فضيلة، مع ما يثيره من حَنق، ويكسبه من حقدٍ. حكى عمر بن حفص قال: قيل للحجاج: كيفَ وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل، لو كان الله بلغني قتل أربعة، فتقرَّبت إليه بدمائهم. قيل: ومن هم؟ قال: مُقاتل بن مسمع: ولي سجستان، فأتاه الناس، فأعطاهم الأموالَ، فلما عُزل دخل مسجد البصرة، فبسط الناس له أرديتهم، فمشى عليها، وقال لرجل يماشيه: لمثل هذا فليعمل العاملون. وعبد الله بن زياد بن ظبيان التَّيمي: حزب أهل البصرة أمرٌ، فخطب خطبةً أوجز فيها، فنادى الناسُ من أعراض المسجد: أكثر الله فينا مثلك! فقال: لقد كلَّفتم الله شططاً. ومعبد بن زُرارة: كان ذات يوم جالساً في طريق، فمرت به امرأة، فقالت له: يا عبد الله، كيف الطريقُ إلى موضع كذا؟ فقال: يا هَناهُ، مثلي يكون من عَبيد الله!. وأبو سمَّال الأسدي: أضلَّ راحلته، فالتمسها الناسُ، فلم يجدوها، فقال: والله لئن لم يردد عليَّ راحلتي لا صليت له صلاة أبداً؛ فالتمسها الناس، فوجدوها، فقالوا له: قد رد الله راحلتك فصلِّ، فقال: إن يميني يمين مُصِرٌّ. فانظر إلى هؤلاء، كيف أفضى بهم العُجب إلى حمقٍ، صاروا به نكالاً في الأولين، ومثلاً في الآخرين. ولو تصور المعجب والمتكبر ما فطر عليه من جبلة، وبلي به من مهنةٍ، لخفض جناح نفسه، واستبدل ليناً من عُتُوه، وسكوناً من نفوره. وقال الأحنف بن قيس: عجبتُ لمن جرى في مجرى البول مرتين، كيف يتكبر؟... وأحق من كان للكبر مجانباً، وللإعجاب مبايناً، من جل في الدنيا قدره، وعظم فيها خطره، لأنه قد يستقل بعالي همته كل كثير، ويستصغر معها كل كبير. وقال محمد بن علي: لا ينبغي للشريف أن يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطيراً، فيكون بها تائهاً. وقال ابن السماك لعيسى بن موسى: تواضعك في شرفك أشرفُ لك من شرفك. وكان يقال: اسمان متضادان بمعنًى واحد: التواضع والشرف. –

وقال (ص٣٧٨ – ٣٧٩): [**أسباب الإعجاب**]: **وللإعجاب أسباب**: فمن أقوى أسبابه كثرةُ مديح المتقربين، وإطراء المتسلقين، الذين جعلوا النفاق عادةً ومكسباً، والتملق خديعةً وملعباً، فإذا وجدوه مقبولاً في العقول الضعيفة، أغروا أربابها باعتقاد كذبهم، وجعلوا ذلك ذريعة إلى الاستهزاء بهم. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يزكي رجلاً فقال له: «قطعت مطاه، لو سمعها ما أفلح بعدها». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المدحُ ذَبحٌ. وقال ابن المقفع: قابلُ المدح كمادح نفسه. وقال بعض الحكماء: من رضي أن يُمدح بما ليس فيه، فقد أمكن الساخر منه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم والتمادح، فإنه الذبح، إن كان أحدكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل أحسب ولا أزكي على الله أحداً». وقيل فيما أنزل الله عز وجل من الكتب السالفة: عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح؟ وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب؟...

(٢) – قال الإمام الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص٣٧٣ – ٣٧٥): أما **الكبر**: فيكسب المقت، ويُلهي عن التألف، ويوغر صدور الإخوان، وحسبُك بذلك سوءاً عن استقصاء ذمه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس: «أنهاك عن الشرك با لله والكبر؛ فإن الله يحتجب منهما». وقال أردشيرُ ابن بابك: ما الكبر إلا فضل حُمقٍ، لم يدر صاحبه أين يَذهب به، فيصرفه إلى الكبر، وما أشبه ما قال بالحق. وحكي أن مطرِّف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صُفرة وعليه حلة يسحبها، ويمشي الخُيلاء، فقال: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟ قال: بلى أعرفك: أوَّلك نُطفةٌ مَذِرة، وآخرك جيفةٌ قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بولٌ وَعَذِرة. فأخذ ابن عوف هذا الكلام، فنظمه شعراً فقال:

عجبت من معجبٍ بصورته وكان بالأمس نُطفة مذرة
وفي غدٍ بعد حسن صورته يصير في اللحد جيفةً قذرة
وهو على تيهه ونخوته ما بين ثوبيه يحملُ العَذِرة

وقد كان المهلب أفضل من أن تُخدع نفسه بهذا الجواب، ولكنها زلة من زلات الاسترسال، وخطيئة من خطايا الإدلال. فأما الحمقُ الصُّريح، والجهل القبيح، فهو ما حُكي عن نافع بن جبير ابن مطعم، أنه جلس في حلقة العلاء بن عبد الرحمن الحُرقيّ وهو يقرىء الناس، فلما فرغ قال: أتدرون لمَ جلستُ إليكم؟ قالوا: جلستَ لتستمع، قال: لا، ولكن أردتُ أن أتواضع لله بالجلوس إليكم. فهل يُرجى من مثل هذا فضلٌ، أو ينفع فيه عَذْلٌ، وقد قال ابن المعتز: لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال، استعانوا بالكِبر، ليعظم صغيراً، ويرفع حَقيراً، وليس بفاعل.–

وَنَتِيجَتُهُ عَلَى اللِّسَانِ أَنْ يَقُولَ: أَنَا وَأَنَا، كَمَا قَالَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[الأعراف: ١٢].

وَثَمَرَتُهُ فِي الْمَجَالِسِ: التَّرَفُّعُ وَالتَّقَدُّمُ، وَطَلَبُ التَّصَدُّرِ (فِيهَا وَ)[١] فِي الْمُحَاوَرَةِ، وَالاسْتِنْكَافِ مِنْ أَنْ يُرَدَّ كَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَالْمُتَكَبِّرُ: هُوَ الَّذِي إِنْ وُعِظَ أَنِفَ أَوْ وَعَظَ عَنَّفَ[٢]، (فَكُلُّ)[٣] مَنْ رَأَى نَفْسَهُ خَيْراً مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ، بَلْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْخَيِّرَ مَنْ هُوَ خَيِّرٌ عِنْدَ اللهِ فِي دَارِ الآخِرَةِ وَذَلِكَ غَيْبٌ، وَهُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَاتِمَةِ، فَاعْتِقَادُكَ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ

وقال (ص٣٧٧ – ٣٧٨): **وللكبر أسباب:** فمن أقوى أسبابه علو اليد، ونفوذ الأمر، وقلة مخالطة الأكفاء. وحُكي أن قوماً مشوا خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أبعدوا عني خفق نعالكم، فإنها مفسدة لقلوب نَوْكَى الرجال. ومشوا خلف ابن مسعود فقال: ارجعوا؛ فإنها زلة للتابع، وفتنة للمتبوع.

وروى قيس بن أبي حازم أنَّ رجلاً أتي به النبي صلى الله عليه وسلم، فأصابته رعدة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القَديد». وإنما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حسماً لمواد الكبر، وقطعاً لذرائع الإعجاب، وكسر لأشر النفس، وتذليلاً لسطوة الاستعلاء. ومثل ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه نادى: الصلاة جامعة؛ فلما اجتمع الناس صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب، فأظل اليوم وأي يوم؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: والله يا أمير المؤمنين! ما زدت على أن قصرت بنفسك. فقال له عمر رضي الله عنه: ويحك يا ابن عوف! إني خلوت، فحدثتني نفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضلُ منك، فأردت أن أعرفها نفسها.

(٣) – في نسخة: (العزة).

(٤) – في نسخة: (ونظره إلى).

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – في النصح.

(٣) – في نسخة: (وكل).

خَيْرٌ مِنْ غَيْرِكَ جَهْلٌ مَحْضٌ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ لاَ تَنْظُرَ إِلَى أَحَدٍ إِلاَّ وَتَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ، وَأَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ.

فَإِنْ رَأَيْتَ **صَغِيْراً** قُلْتَ: هَذَا لَمْ يَعْصِ اللهَ وَأَنَا عَصَيْتُهُ فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي.

وَإِنْ رَأَيْتَ **كَبِيْراً** قُلْتَ: هَذَا قَدْ عَبَدَ اللهَ قَبْلِي فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي.

وَإِنْ كَانَ **عَالِماً** قُلْتَ: هَذَا قَدْ أُعْطِيَ مَا لَمْ أُعْطَ وَبَلَغَ مَا لَمْ أَبْلُغْ وَعَلِمَ مَا جَهِلْتُ، فَكَيْفَ أَكُوْنُ مِثْلَهُ.

وَإِنْ كَانَ **جَاهِلاً** قُلْتَ: هَذَا (قَدْ)[1] عَصَى اللهَ بِجَهْلٍ وَأَنَا عَصَيْتُهُ بِعِلْمٍ، فَحُجَّةُ اللهِ عَلَيَّ آكَدُ، وَمَا أَدْرِي بِمَ يُخْتَمُ لِي وَبِمَ يُخْتَمُ لَهُ.

وَإِنْ كَانَ **كَافِراً** قُلْتَ: لاَ أَدْرِي عَسَى أَنْ يُسْلِمَ وَيُخْتَمَ لَهُ بِخَيْرِ الْعَمَلِ، وَيَنْسَلَّ بِإِسْلاَمِهِ مِنَ الذُّنُوْبِ كَمَا تَنْسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِيْنِ.

وَأَمَّا أَنَا ـ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ ـ فَعَسَى أَنْ يُضِلَّنِيَ اللهُ فَأَكْفُرَ فَيُخْتَمُ لِي بِشَرِّ الْعَمَلِ، فَيَكُوْنُ (هُوَ غَداً)[2] مِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ (وَأَكُوْنَ أَنَا مِنَ الْمُبْعَدِيْنَ)[3] .

فَلاَ يَخْرُجُ الْكِبْرُ مِنْ قَلْبِكَ إِلاَّ بِأَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْكَبِيْرَ مَنْ هُوَ كَبِيْرٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ مَوْقُوْفٌ عَلَى الْخَاتِمَةِ وَهِيَ مَشْكُوْكٌ فِيْهَا، فَيَشْغَلُكَ خَوْفُ الْخَاتِمَةِ (عَنْ)[4] أَنْ تَتَكَبَّرَ ـ مَعَ الشَّكِّ فِيْهَا ـ عَلَى عِبَادِ اللهِ تَعَالَى، فَيَقِيْنُكَ وَإِيْمَانُكَ فِي الْحَالِ لاَ يُنَاقِضُ تَجْوِيْزَكَ التَّغَيُّرَ فِي الاسْتِقْبَالِ، فَإِنَّ اللهَ مُقَلِّبُ الْقُلُوْبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

وَالأَخْبَارُ فِي الْحَسَدِ وَالْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ كَثِيْرَةٌ، وَيَكْفِيْكَ فِيْهَا حَدِيْثٌ وَاحِدٌ جَامِعٌ، فَقَدْ رَوَى ابنُ الْمُبَارَكِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذٍ: يَا مُعَاذُ حَدِّثْنِي حَدِيْثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَبَكَى مُعَاذٌ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لاَ يَسْكُتُ

---

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – في نسخة: (غداً هو).

(٣) – في نسخة: (وأنا أكون منَ المعذبين).

(٤) – في نسخة: (على).

ثُمَّ سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: (وَاشَـوْقَاهُ إِلَـى رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَإِلَـى لِقَائِهِ، ثُـمَّ قَالَ)[١] : سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ لِي: «يَا مُعَاذُ إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيْثٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ عِنْدَ اللهِ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ وَلَمْ تَحْفَظْهُ انْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ اللهِ (تَعَالَى)[٢] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَا مُعَاذُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلاَكٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، فَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّبْعِ مَلَكاً بَوَّاباً عَلَيْهَا، فَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ حِيْنِ يُصْبِحُ إِلَى حِيْنِ يُمْسِي، لَهُ نُوْرٌ كَنُوْرِ الشَّمْسِ، حَتَّى إِذَا (صَعِدَتْ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)[٣] الدُّنْيَا زَكَّتْهُ (وَكَثَّرَتْهُ)[٤] ، فَيَقُوْلُ الْمَلَكُ (الْمُوَكَّلُ بِهِ)[٥] لِلْحَفَظَةِ: اضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الْغِيْبَةِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لاَ أَدَعَ مَنِ اغْتَابَ النَّاسَ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. قَالَ: ثُمَّ تَأْتِي الْحَفَظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ (لَهُ نُوْرٌ)[٦] فَتُزَكِّيَهُ وَتُكَثِّرَهُ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَيَقُوْلُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا (أَنَا مَلَكُ الْفَخْرِ)[٧] أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لاَ أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ فِي (مَجَالِسِهِمْ)[٨] . قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَبْتَهِجُ نُوْراً مِنْ صَدَقَةٍ وَصَلاَةٍ وَصِيَامٍ قَدْ أَعْجَبَ الْحَفَظَةَ، فَيُجَاوِزُوْنَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَيَقُوْلُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ (بِهَا)[٩] : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ أَنَا مَلَكُ الْكِبْرِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ

---

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) – في نسخة: (طعلت به إلى سماء).

(٤) – في نسخة (فكثرته).

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٧) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٨) – في نسخة: (مجالسهم، أنا ملك الفخر).

(٩) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

لاَ أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَزْهُو كَمَا يَزْهُو الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ (وَلَهُ)[1] دَوِيٌّ مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرِهِ وَبَطْنِهِ، أَنَا صَاحِبُ الْعُجْبِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لاَ أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَدْخَلَ الْعُجْبَ فِيْهِ. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ كَأَنَّهُ الْعَرُوسُ الْمَزْفُوفَةُ إِلَى بَعْلِهَا، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَاحْمِلُوهُ (عَلَى)[2] عَاتِقِهِ، أَنَا مَلَكُ الْحَسَدِ، إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلاً (مِنَ الْعِبَادَةِ)[3] كَانَ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ فِيْهِمْ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لاَ أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ لَهُ ضَوْءٌ كَضَوْءِ (الشَّمْسِ)[4] مِنْ صَلاَةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَجِهَادٍ وَصِيَامٍ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، إِنَّهُ كَانَ لاَ يَرْحَمُ إِنْسَاناً قَطُّ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَصَابَهُ بَلاَءٌ أَوْ مَرَضٌ، بَلْ كَانَ يَشْمَتُ بِهِمْ، أَنَا مَلَكُ الرَّحْمَةِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لاَ أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ (صَوْمٍ وَصَلاَةٍ)[5] وَنَفَقَةٍ وَجِهَادٍ وَوَرَعٍ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، وَضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ، مَعَهُ ثَلاَثَةُ آلاَفِ مَلَكٍ فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا

---

(١) – في نسخة: (له).

(٢) – في نسخة: (واجعلوه على).

(٣) – في نسخة: (على العباد).

(٤) – في نسخة: (القمر).

(٥) – في نسخة: (صلاة وصيام).

بِهَذَا الْعَمَلَ وَجْهَ صَاحِبِهِ، (وَاضْرِبُوا)[1] جَوَارِحَهُ وَاقْفِلُوا (بِهِ)[2] عَلَى قَلْبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الذِّكْرِ (فَإِنِّي)[3] أَحْجُبُ عَنْ رَبِّي كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يُـرِدْ بِـهِ وَجْـهَ رَبِّي، (إِنَّـهُ)[4] إِنَّمَا أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ رِفْعَةً عِنْدَ الْفُقَهَـاءِ، وَذِكْـراً عِنْـدَ الْعُلَمَـاءِ، وَصِيْتـاً فِي الْمَدَائِنِ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لاَ أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَـى غَيْرِي، وَكُـلُّ عَمَـلٍ لَـمْ يَكُـنْ للهِ (تَعَالَى)[5] خَالِصاً فَهُوَ رِيَاءٌ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ عَمَلَ الْمُرَائِي. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَـةُ بِعَمَـلِ الْعَبْدِ مِنْ صَلاَةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَخُلُقٍ حَسَـنٍ وَصَمْتٍ وَذِكْـرٍ للهِ تَعَـالَى، (فَتُشَيِّعُهُ)[6] مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ السَّـبْعِ حَتَّى يَقْطَعُوا (بِـهِ)[7] الْحُجُـبَ كُلَّهَـا إِلَـى اللهِ تَعَالَى، فَيَقِفُوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ (وَيَشْهَدُوْنَ)[8] لَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُخْلِصِ للهِ تَعَـالَى، فَيَقُـوْلُ اللهُ تَعَالَى: أَنْتُمُ الْحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي، وَأَنَا الرَّقِيْبُ عَلَى (مَا فِـي)[9] قَلْبِـهِ، إِنَّـهُ لَـمْ يُرِدْنِي بِهَذَا الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ غَيْرِي فَعَلَيْـهِ لَعْنَتِـي، فَتَقُـوْلُ الْمَلاَئِكَـةُ كُلُّهَـا: عَلَيْـهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُنَا، (فَتَلْعَنُهُ)[10] السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيْهِنَّ، فَبَكَى مُعَاذٌ (وَانْتَحَبَ انْتِحَاباً شَدِيْداً وَ)[11] قَالَ مُعَاذٌ: قُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، أَنْتَ رَسُـوْلُ اللهِ وَأَنَـا مُعَـاذٌ فَكَيْـفَ لِـي

---

(١) – في نسخة: (واضربوا به)

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) – في نسخة: (وتشيعه).

(٧) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٨) – في نسخة: (يشهدون).

(٩) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(١٠) – في نسخة: (وتلعنه).

(١١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(بالنَّجَاةِ وَالْخَلاَصِ مِنْ ذَلِكَ؟)[1] قَالَ: اقْتَدِ بِي، وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ نَقْصٌ؛ يَا مُعَاذُ: حَافِظْ عَلَى لِسَانِكَ مِنَ الْوَقِيْعَةِ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرآنِ (خَاصَّةً)[2]، وَاحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ وَلاَ تَحْمِلْهَا عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُزَكِّ نَفْسَكَ (بِذَمِّهِمْ)[3]، وَلاَ تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُدْخِلْ عَمَلَ الْدُّنْيَا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ، (وَلاَ تُرَاءِ بِعَمَلِكَ)[4]، وَلاَ تَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَي يَحْذَرَ الْنَّاسُ مِنْ سُوْءِ خُلُقِكَ، وَلاَ تُنَاجِ رَجُلاً وَعِنْدَكَ آخَرُ، وَلاَ تَتَعَظَّمْ عَلَى الْنَّاسِ فَتَنْقَطِعَ عَنْكَ خَيْرَاتُ الْدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلاَ تُمَزِّقِ الْنَّاسَ (بِلِسَانِكَ)[5] فَتُمَزِّقَكَ كِلاَبُ الْنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْنَّارِ، قَالَ ا للهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾[النازعات: ٢] هَلْ تَدْرِي مَا هُنَّ يَا مُعَاذُ؟ قُلْتُ: (مَا هِيَ)[6] بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُوْلَ ا للهِ؟ قَالَ: كِلاَبٌ فِي الْنَّارِ تَنْشُطُ اللَّحْمَ مِنَ الْعَظْمِ، قُلْتُ: بِأَبِي (أَنْتَ وَأُمِّي)[7] يَا رَسُوْلَ ا للهِ مَنْ يُطِيْقُ هَذِهِ الْخِصَالَ وَمَنْ يَنْجُوْ مِنْهَا؟ قَالَ: يَا مُعَاذُ: إِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ ا للهُ (تَعَالَى)[8] عَلَيْهِ، (إِنَّمَا يَكْفِيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُحِبَّ لِلْنَّاسِ مَا تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، فَإِذَنْ أَنْتَ يَا مُعَاذُ قَدْ سَلِمْتَ)[9] »[10]. قَالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ: فَمَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تِلاَوَةً لِلْقُرآنِ الْعَظِيْمِ مِنْ مُعَاذٍ لِهَذَا الْحَدِيْثِ الْعَظِيْمِ.

---

(١) – في نسخة: (بالخلاص والنجاة).

(٢) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٣) – في نسخة: (وتذمهم).

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) – في نسخة: (ما هنَّ).

(٧) – في نسخة: (وأمي أنت).

(٨) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٩) – ما بين: ( ) زياد من نسخة.

(١٠) – أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات: (٢/١٥٤ – ١٦١) وقال: إنه موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد أبدع الذي وضعه واحترأ على الشريعة. والسيوطي في اللآلىء المصنوعة

فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الرَّاغِبُ فِي الْعِلْمِ هَذِهِ الْخِصَالَ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ أَعْظَمَ الأَسْبَابِ فِي رُسُوخِ هَذِهِ الْخَبَائِثِ فِي الْقَلْبِ طَلَبُ الْعِلْمِ لأَجْلِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُنَافَسَةِ، فَالْعَامِّيُّ بِمَعْزِلٍ عَنْ أَكْثَرِ هَذِهِ الْخِصَالِ، وَالْمُتَفَقِّهُ مُسْتَهْدَفٌ لَهَا وَهُوَ (مُتَعَرِّضٌ)(١) لِلْهَلاكِ بِسَبَبِهَا، فَانْظُرْ أَيَّ أُمُورِكَ أَهَمُّ؟ (أَتَتَعَلَّمُ)(٢) كَيْفِيَّةَ الْحَذَرِ مِنْ هَذِهِ الْمُهْلِكَاتِ، وَتَشْتَغِلُ بِإِصْلاحِ قَلْبِكَ وَعِمَارَةِ آخِرَتِكَ، أَمْ الأَهَمُّ أَنْ تَخُوضَ مَعَ الْخَائِضِينَ فَتَطْلُبَ الْعِلْمَ مَا هُوَ سَبَبُ زِيَادَةِ الْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْعُجْبِ حَتَّى تَهْلَكَ مَعَ الْهَالِكِينَ؟.

وَاعْلَمْ: أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلاثَ مِنْ أُمَّهَاتِ خَبَائِثِ الْقَلْبِ، وَلَهَا مَغْرِسٌ وَاحِدٌ وَهُوَ حُبُّ الدُّنْيَا، وَلِذَلِكَ قَالَ (النَّبِيُّ)(٣) صلى الله عليه وسلم: «**حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ**»(٤).

وَمَعَ هَذَا فَالدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ لِلآخِرَةِ، فَمَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ (لِيَسْتَعِينَ)(٥) بِهِ عَلَى الآخِرَةِ، فَالدُّنْيَا مَزْرَعَتُهُ، وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا لِيَتَنَعَّمَ بِهَا فَالدُّنْيَا مَهْلَكَتُهُ.

في الأحاديث الموضوعة: (٢/٣٣٣ - ٣٣٨). وابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة: (٢/٢٨٧ - ٢٨٩) رقم (٢٧) وقال: وذكره الحافظ المنذري في ترغيبه (١/٧٣) مخرجاً من الزهد لابن المبارك وأشار إلى بعض طرقه المذكورة هنا وغيرها ثم قال: وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه في جميع طرقه وبجميع ألفاظه والله تعالى أعلم.

(١) - في نسخة: (معرض).

(٢) - في نسخة: (أن تتعلم).

(٣) - في نسخة: (رسول الله).

(٤) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٠١) عن الحسن رضي الله عنه.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٥٨) والزهد (٢٤٨) عن سفيان بن سعيد قال: كان عيسى عليه السلام يقول: «حب الدنيا أصل كل خطيئة، والمال فيه داءٌ كبير. قالوا: وما داؤه، قال: لا يسلم من الفخر ولا الخيلاء. قالوا: فإن سلم يشغله إصلاحه عن ذكر الله عز وجل». وقال العجلوني (١٠٩٩): ورواه... أبو نعيم.

(٥) - في نسخة: (يستعين).

فَهَذِهِ نُبْذَةٌ يَسِيرَةٌ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ التَّقْوَى، وَهِيَ **بِدَايَةُ الْهِدَايَةِ**، فَإِنْ جَرَّبْتَ (بِهَا)(١) (نَفْسَكَ)(٢) وَطَاعَتْكَ عَلَيْهَا فَعَلَيْكَ بِكِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ لِتَعْرِفَ كَيْفِيَّةَ الْوُصُولِ إِلَى بَاطِنِ التَّقْوَى، فَإِذَا عَمَّرْتَ بِالتَّقْوَى بَاطِنَ قَلْبِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَرْتَفِعُ الْحُجُبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ، وَتَنْكَشِفُ لَكَ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ، وَتَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِكَ يَنَابِيعُ (الْحِكَمِ)(٣)، وَتَتَّضِحُ لَكَ أَسْرَارُ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ، وَيَتَيَسَّرُ لَكَ مِنَ الْعُلُومِ مَا تَسْتَحْقِرُ بِهِ هَذِهِ الْعُلُومَ الْمُحْدَثَةَ، الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا ذِكْرٌ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ.

وَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ الْعِلْمَ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَالْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ، فَمَا أَعْظَمَ مُصِيبَتَكَ وَمَا أَطْوَلَ تَعَبَكَ، وَمَا أَعْظَمَ حِرْمَانَكَ وَخُسْرَانَكَ! فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا الَّتِي تَطْلُبُهَا بِالدِّينِ لاَ تَسْلَمُ لَكَ، وَالآخِرَةُ تُسْلَبُ مِنْكَ، (فَمَنْ)(٤) طَلَبَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ خَسِرَهُمَا جَمِيعاً، وَمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلدِّينِ رَبِحَهُمَا جَمِيعاً.

فَهَذِهِ جُمَلُ الْهِدَايَةِ إِلَى بِدَايَةِ الطَّرِيقِ فِي مُعَامَلَتِكَ مَعَ اللهِ تَعَالَى بِأَدَاءِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ (نَوَاهِيهِ)(٥).

وَأُشِيرُ عَلَيْكَ الآنَ بِجُمَلٍ مِنَ الآدَابِ لِتُؤَاخِذَ بِهَا نَفْسَكَ (بِهَا)(٦) فِي مُخَالَطَتِكَ عِبَادَ اللهِ تَعَالَى وَصُحْبَتِكَ مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

---

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – في نسخة: (نفسك فيها).

(٣) – في نسخة: (الحكمة).

(٤) – في نسخة: (ومن).

(٥) – في نسخة: (مناهيه).

(٦) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ
الْقَوْلُ فِي آدَابِ الصُّحْبَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْخَالِقِ (عَزَّ وَجَلَّ)(١) وَمَعَ الْخَلْقِ

اعْلَمْ: أَنَّ صَاحِبَكَ الَّذِي لاَ يُفَارِقُكَ فِي حَضَرِكَ وَسَفَرِكَ وَنَوْمِكَ وَيَقَظَتِكَ، بَلْ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ، هُوَ رَبُّكَ وَسَيِّدُكَ مَوْلاَكَ وَخَالِقُكَ، وَمَهْمَا ذَكَرْتَهُ فَهُوَ جَلِيسُكَ، إِذْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: «**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**»(٢).

وَمَهْمَا انْكَسَرَ قَلْبُكَ حَزَناً عَلَى تَقْصِيرِكَ فِي حَقِّ دِينِكَ، فَهُوَ صَاحِبُكَ وَمُلاَزِمُكَ، إِذْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: «**أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي**»(٣).

---

(١) - في نسخة: (سبحانه).

(٢) - أورده السيوطي في الدرر المنتثرة (٢٤) والسخاوي في المقاصد الحسنة (١٨٦). وانظره في تمييز الطيب من الخبيث (٢٣٢) وأسنى المطالب (٣٨٧). وقال العجلوني في كشف الخفاء (٦١١): رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً. قلت: لم أجده في مسند الفردوس.

أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٦٨٠) عن عطاء بن أبي مروان أبي مصعب الأسلمي قال: حدثني أبي، عن كعب قال: قال موسى عليه السلام: «يا رب أقريبٌ أنت فأناجيك أم بعيدٌ فأناديك؟ فقيل له: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. فقال: إني أكون على حال أجلك عنها. قال: ما هي يا موسى؟ قال: عند الغائط والجنابة. قال: اذكرني على كل حال».

وأخرج أيضاً (٦٨١) عن ابن عباس قال: وفد موسى إلى طور سيناء قال: «يا رب أيُّ عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني».

(٣) - انظره في الأسرار المرفوعة (١١٧ و٣٧٦) والمقاصد الحسنة (١٨٨) وتمييز الطيب من الخبيث (٢٣٤) وأسنى المطالب (٣٨٩). وقال العجلوني في كشف الخفاء: (٦١٤) قال في المقاصد: **ذكره في البداية الغزالي**، وقال القاري عقبه: ولا يخفى أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية، قلت: وتمامه: «وأنا عند المندرسة قلوبهم لأجلي». ولا أصل لهما في المرفوع. انتهى.

فَلَوْ عَرَفْتَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لاتَّخَذْتَهُ صَاحِباً وَتَرَكْتَ النَّاسَ جَانِباً، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيْعِ أَوْقَاتِكَ فَإِيَّاكَ أَنْ تُخَلِّي لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ عَنْ وَقْتٍ تَخْلُوْ فِيْهِ لِمَوْلاكَ، وَتَتَلَذَّذُ مَعَهُ بِمُنَاجَاتِكَ، وَعِنْدَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ آدَابَ الصُّحْبَةِ مَعَ اللهِ تَعَالَى.

[آدَابُ الصُّحْبَةِ مَعَ اللهِ تَعَالَى]: وَآدَابُهَا:

١- إِطْرَاقُ الرَّأْسِ، وَغَضُّ الطَّرْفِ.

٢- وَجَمْعُ الْهَمِّ.

٣- وَدَوَامُ الصَّمْتِ[١].

٤- وَسُكُوْنُ الْجَوَارِحِ.

٥- وَمُبَادَرَةُ الأَمْرِ.

٦- وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ.

٧- وَقِلَّةُ الاعْتِرَاضِ عَلَى الْقَدَرِ.

٨- وَدَوَامُ الذِّكْرِ.

٩- وَمُلازَمَةُ الْفِكْرِ.

١٠- وَإِيْثَارُ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ.

١١- وَالإِيَاسُ عَنِ الْخَلْقِ.

١٢- وَالْخُضُوْعُ تَحْتَ الْهَيْبَةِ.

١٣- وَالإِنْكِسَارُ تَحْتَ الْحَيَاءِ.

١٤- وَالسُّكُوْنُ عَنْ حِيَلِ الْكَسْبِ ثِقَةً بِالضَّمَانِ[٢]؛

١٥- وَالتَّوَكُّلُ عَلَى فَضْلِ اللهِ (تَعَالَى)[٣] مَعْرِفَةً بِحُسْنِ الاخْتِيَارِ.

---

(١) - متمثلاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». أخرجه البخاري (١/٨٤) ومسلم (١١٥٣) عن أبي شريح الخزاعي. وذكره السيوطي في حسن السمت في الصمت (٢٩).

(٢) - أي: بضمان الله تعالى لك في رزقك. قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾[هود: ٦].

وَهَذَا كُلُّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ شِعَارُكَ فِي جَمِيْعِ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، (فَإِنَّهَا)[1] آدَابُ الْصُّحْبَةِ مَعَ صَاحِبٍ لاَ يُفَارِقُكَ، وَالْخَلْقُ يُفَارِقُوْنَكَ فِي بَعْضِ أَوْقَاتِكَ[2].

[آدَابُ الْعَالِمِ]:

وَإِنْ كُنْتَ عَالِماً فَآدَابُ[3] (الْعَالِمِ)[4]:

١- الاحْتِمَالُ.

٢- وَلُزُوْمُ الْحِلْمِ.

٣- وَالْجُلُوْسُ بِالْهَيْبَةِ عَلَى سَمْتِ الْوَقَارِ مَعَ إِطْرَاقِ الْرَّأْسِ.

٤- وَتَرْكُ (الْتَّكَبُّرِ)[5] عَلَى جَمِيْعِ الْعِبَادِ إِلاَّ عَلَى الْظَّلَمَةِ زَجْراً لَهُمْ عَنِ الْظُّلْمِ.

٥- وَإِيْثَارُ الْتَّوَاضُعِ فِي الْمَحَافِلِ وَالْمَجَالِسِ.

---

(٣) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(١) - في النسخ: (فإنه). خطأ والله أعلم. والأصح: (فإنها) لتمام عبارة السياق.

(٢) - قال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[الحديد: ٤].

(٣) - ومن آدابه أيضاً: (تعليم العلم بلا أجر). فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص١٣٤): ومن آدابهم أن يقصدوا وجه الله تعالى بتعليم من علموا، ويطلبوا ثوابه بإرشاد من أرشدوا، من غير أن يعتاضوا عليه عوضاً، ولا يلتمسوا عليه رزقاً؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾[البقرة: ٤١]. قال أبو العالية: لا تأخذوا عليه أجراً، وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا ابن آدم علم مجاناً، كما عُلّمت مجاناً. وروي عن النبي صلى الله عليه سلم أنه قال: «أجرُ المعلم كأجر الصائم القائم». وحسب من هذا أجرهُ أن يلتمس أجراً.

وأيضاً من آدابهم: (تنزه العلماء عن شبه المكاسب) فقد قال (ص١٣٢): ومن آدابهم نزاهة النفس عن شبه المكاسب، والقناعة بالميسور عن كد المطالب، فإن شبه المكسب إثمٌ، وكد الطلب ذل، والأجر أجدرُ به من الإثم، والعز أليق به من الذلّ...

(٤) - في نسخة: (العالم سبعة عشر).

(٥) - في نسخة: (الكبر).

٦- وَتَرْكُ الْهَزْلِ وَالدُّعَابَةِ.

٧- وَالرِّفْقُ بِالْمُتَعَلِّمِ(١)، وَالتَّأَنِّي بِالْمُتَعَجْرِفِ.

٨- وَإِصْلاَحُ الْبَلِيْدِ بِحُسْنِ الإِرْشَادِ.

٩- وَتَرْكُ الْحَرَدِ عَلَيْهِ.

١٠- وَتَرْكُ الأَنَفَةِ مِنْ قَوْلِ: لاَ أَدْرِي.

١١- وَصَرْفُ الْهِمَّةِ إِلَى السَّائِلِ، وَتَفَهُّمِ سُؤَالِهِ(٢).

١٢- وَقُبُوْلُ الْحُجَّةِ.

١٣- وَالانْقِيَادُ لِلْحَقِّ بِالرُّجُوْعِ إِلَيْهِ فِي الْهَفْوَةِ.

١٤- وَمَنْعُ الْمُتَعَلِّمِ عَنْ كُلِّ عِلْمٍ يَضُرُّهُ.

١٥- وَزَجْرُهُ عَنْ أَنْ يُرِيْدَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى.

١٦- وَصَدُّ الْمُتَعَلِّمِ عَنْ أَنْ (يَشْتَغِلَ)(٣) بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنْ فَرْضِ الْعَيْنِ؛ وَفَرْضُ عَيْنِهِ: إِصْلاَحُ(٤) ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِالتَّقْوَى.

---

(١) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين: (ص١٣٤ - ١٣٥): ومن آدابهم أن لا يعنفوا متعنماً، ولا يُحقّروا ناشئاً، ولا يستصغروا مبتدئاً، فإن ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحثّ على الرغبة فيما لديهم. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «علموا ولا تعنفوا؛ فإن المعلم خيرٌ من المعنف». وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وقروا من تتعلمون منه، ووقروا من تعلمونه».

(٢) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص١٣٥): ومن آدابهم ألا يمنعوا طالباً، ولا ينفروا راغباً، ولا يؤيسوا متعلماً، لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهد فيما لديهم؛ واستمرار ذلك مُفضٍ إلى انقراض العلم بانقراضهم. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لم يُقنِط الناس من رحمة الله تعالى، ولا يؤيسهم من روح الله، ولا يدع القرآن، رغبة إلى ما سواه، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، وعلمٍ ليس فيه تفهم، وقراءة ليس فيها تدبر».

(٣) - في نسخة: (يشغل نفسه).

١٧- وَمُؤَاخَذَةُ نَفسِهِ أَوَّلاً بِالتَّقْوَى لِيَقْتَدِيَ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلاً بِأَعْمَالِهِ، وَيَسْتَفِيْدُ ثَانِياً مِنْ أَقْوَالِهِ.

[آدَابُ الْمُتَعَلِّمِ(١)]:

وَإِنْ كُنْتَ مُتَعَلِّماً فَأَدَبُ الْمُتَعَلِّمِ مَعَ الْعَالِمِ(٢) :

---

(٤) – والنصح لهم. فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص١٣٤): ومن آدابهم نصح من علموه، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم، وبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم، فإن ذلك أعظم لأجرهم، وأسنى لذكرهم، وأنشر لعلومهم، وأرسخ لمعلومهم. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي، لأن يهدي الله بك رجلاً، خيرٌ مما طلعت عليه الشمس».

(١) – **الشروط التي يتوفر بها علم الطالب**: قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (١٠٤ – ١٠٥): وأما الشروط التي يتوفر بها علم الطالب، وينتهي معها كمال الراغب، مع ما يلاحظ به من التوفيق، ويمد به من المعونة، فتسعة شروط: **أحدها**: العقل الذي به تدرك حقائق الأمور. **والثاني**: الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم. **والثالث**: الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره، وفهم ما علمه. **والرابع**: الشهوة التي يدوم بها الطلب، ولا يسرع إليها الملل. **والخامس**: الاكتفاءُ بمادةٍ تعنيه عن كُلف الطَّلب. **والسادس**: الفراغ الذي يكون معه التوفر، يحصل به الاستكثار. **والسابع**: عدمُ القواطع المذهلة، من هموم، وأشغال، وأمراض. **والثامن**: طولُ العمر، واتساع المدة؛ لينتهي بالاستكثار، إلى مراتب الكمال. **والتاسع**: الظفر بعالم سمحٍ بعلمه، متأنٍّ في تعليمه. فإذا استكمل هذا الشروط التسعة، فهو أسعدُ طالب، وأنجح متعلم. وقد قال الإسكندر: يحتاج طالبُ العلم إلى أربع: مدةٍ، وجدةٍ، وقريحةٍ، وشهوةٍ، وتمامها في الخامسة: معلم ناصح.

(٢) – قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص١٠٥ – ١١٣): وسأذكر طرفاً مما يتأدب به المتعلم، ويكون عليه العالم: اعلم أن للمتعلم في بيان تعلمه مَلَقاً وتذللاً، إن استعملهما غَنِمَ، وإن تركهما ندم وحُرِم؛ لأن التملق للعالم يُظهرُ مكنون علمه، والتذلل له سببٌ لإدامة صبره؛ وبإظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار. وقد روي: «ليس من أخلاق المؤمن الْمَلَقُ إلا في طلب العلم». وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ذللتُ طالباً، فعززتُ مطلوباً. وقال بعض الحكماء: من لم يحتمل ذل التعلم ساعةً، بقي في ذل الجهل أبداً. وقال بعض حكماء الفرس: إذا قعدت وأنت صغير حيث تُحِبُّ، قدت وأنت كبير حيث لا تُحبُّ.

ثم ليعرف له فضل علمه، وليشكر له جميل فعله. فقد روي: «من وَقَّر عالماً فقد وقَّر ربه». وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يعرف فضل أهل العلم، إلا أهل الفضل. وقال بعض الشعراء:

إن المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت معلما

ولا يمنعه من ذلك علو منزلته إن كانت له، وإن كان العالم خاملاً، فإنّ العلماء بعلمهم قد استحقّوا التعظيم. لا بالقدرة والمال. وأنشدني بعض أهل الأدب لأبي بكر بن دُريد:

لا تحقرن عالماً وإن خلقت ... أثوابه في عيون رامقهِ
وانظر إليه بعين ذي أربٍ ... مهذب الرأي في طرائقه
فالمسكُ بينا تراه ممتهناً ... بفهرِ عطاره وساحقه
حتى تراه في عارضي مَلِكٍ ... أو موضع التاج من مفارقه

وليكن مقتدياً بهم في رضيِّ أخلاقهم متشبهاً بهم في جميع أفعالهم، ليصير لهم آلفاً، ولما خالفها مجانباً. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خيار شبَّانكم المتشبهون بشيوخكم وشرار شيوخكم المتشبهون بشبانكم». وروى ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تشبه بقومٍ فهو منهم». وأنشدني بعضُ أهل الأدب، لأبي بكر بن دُريد:

العالمُ العاقلُ ابنُ نَفْسه ... أغناه جنسُ علمه عن جنسه
كن ابن من شئت وكن مؤدباً ... فإنما المرءُ بفضل كَيسه
وليسَ من تكرمُهُ لغيره ... مثلَ الذي تكرمه لنفسه

وليحذر المتعلم التَّبسُّطَ على من يعلمه وإن آنسهُ، والإدلال عليه، وإن تقدمت صحبته؛ فقد قيل لبعض الحكماء: من أذل الناس؟ فقال: عالمٌ يجري عليه حكم جاهل. وكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريةٌ من السَّبي، فقال لها: «من أنت؟». فقالت: بنت الرجلِ الجواد حاتم، فقال صلى الله عليه وسلم: «ارحموا عزيزَ قومٍ ذل، ارحموا غنياً افتقر، ارحموا عالماً ضاع بين الجهال». ولا يُظهر له الاستكفاء منه، والاستغناء عنه؛ فإن في ذلك كفراً لنعمته، واستخفافاً بحقه، وربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه: لجودة ذكائه، وحدة خاطره، فقصد من يعلمه بالإعنات له، والاعتراض عليه، ازدراءً به، وتبكيتاً له، فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لأبي البَطحاء:

أعلِّمه الرِّماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

وهذه من مصائب العلماء، وانعكاس حظوظهم، أن يصيروا عندَ من علَّموه مستجهلين، وعند من قدموه مسترذلين. وقال صالح بن عبد القدوس:

وإن عناءً أن تُعــلــم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلمُ
متى يبلغ البُنيان يــومــاً تمــامه إذا كنت تبنيه وغيرك يَهدم؟
متى ينتهي عن سيىء من أتى به إذا لم يَــكُن مــنه عليه تندمُ؟

وقد رجح كثير من الحكماء حق العالم، على حق الوالد، حتى قال بعض الشعراء:

يـا فاخراً لِسِّفاهِ بالسلف وتاركاً للعلاء وَالشرف
آباءُ أجسادنا هُمُ سَبَبٌ لأن جعلنا عوارض التَّلف
من علم الناس كان خير أبٍ ذاك أبو الروح لا أبو النُّطَفِ

ولا ينبغي أن يبعثه معرفة الحق له، على قبول الشبهة منه، ولا يدعوه ترك الإعنات له، علـى التقليـد فيما أخذ عنه فإنه ربما غــلا بعض الأتباع في عـالمهم، حتـى يـروا أن قولـه دليـلٌ وإن لم يستدل، وأن اعتقاده حجة وإن لم يحتج، فيفضي بهم الأمر إلى التسليم له فيمـا أخـذوا عنه، ويؤول بهـم ذلـك إلى التقصير فيما يصدر منه؛ لأنه يجتهد بحسب اجتهاد من يأخذ عنــه، فـلا يبعـد أن تبطـل تلـك المقالـة إن انفردت، أو يخرج أهلها من عداد العلماء فيما شاركت؛ لأنه قد لا يرى لهم من يأخذ عنهم، مـا كـانوا يرونه لمن أخذوا عنه، فيطالبهم بما قصروا فيـه، فيضعفـوا عـن إبانتـه، ويعجـزوا عـن نصرتـه، فيذهبـوا ضائعين، ويصيروا عجزة مضعوفين.

ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس حفل، وقد استدل الخصمُ عليـه بدلالـة صحيحـة، فكان جوابه عنها أن قال: إن هذه دلالة فاسدة، ووجه فسادها أن شـيخي لم يذكرهـا، ومـا لم يذكـره الشيخ فلا خير فيه؛ فأمسك عنه المستدل تعجباً، ولأن شيخه كان محتشماً؛ وقد حضـرت طائفـة يـرون فيه مثل رأي هذا الجاهل، ثم أقبل المستدل عليَّ وقال لي: وا لله لقد أفحمني بجهله، وصـار سـائر النـاس المبرئين من هذه الجهالة، من بين مستهزىء أو متعجبٍ، أو مستعيذٍ با لله من جهل مُغربٍ، فهـل رأيـت كذلك عالماً أوغل في الجهل، وأدلَّ على قلة العقل. وإذا كان المتعلـم معتـدلَ الـرأي فيمـن يـأخذ عنـه، متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه، حتى لا يحمله الإعنات على اعـتراض المبكتـين، ولا يبعثـه الغلـو علـى تسليم المقلدين، برىء المتعلم من المذَمَّتين، وسلمَ العالمُ من الجهتـين، وليـس كـثرةُ السـؤال فيمـا التبـس إعناتاً، ولا قبول ما صحَّ في النفس تقليداً. وقد روي: «العلم خزائن، ومفتاحه المسألة، فاسألوا رحمكـم ا لله، فإنما يؤجر في العلم ثلاثةٌ: القائل، والمستمع، والآخذ». وقال عليه الصلاة والسـلام: «هـلاّ سـألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال»؛ فأمر بالسؤال وحث عليه. ونهى آخرين عــن السـؤال، وزجـر عنه، فقال صلى ا لله عليه وسلم: «أنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المـال». وقـال عليـه الصلاة والسلام: «إياكم وكثرة السؤال، فإنما هلـك مـن قبلكـم بكثرة السـؤال». وليـس هـذا مخالفـاً

١ - أَنْ يَبْدَأَهُ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ.

للأول، وإنما أمر بالسؤال من قصد به علم ما جهل. ونهى عنه من قصد به إعنات ما سمع، وإذا كان السؤال في موضعه، أزال الشكوك. ونفى الشبهة. وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما: بم نلتَ هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول. وروي: «حسن السؤال نصف العلم». وأنشد المبرّد عن أبي سليمان الغنوي:

فسل الفقيه تكُن فقيها مثله لا خير في علمٍ بغير تدبُّرِ
وإذا تعسَّرت الأمور فأرجها وعليك بالأمر الذي لم يعسُرِ

وليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده، من نبيهٍ وخاملٍ، ولا يطلب الصيتَ وبعدَ الذكر، باتباع أهل المنازل من العلماء، إذا كان النفع بغيرهم أعم. إلا أن يستوي النفعان، فيكون الأخذ عمن اشتهر ذكرهُ، وارتفع قدره أولى؛ لأن الانتساب إليه أجملُ، والأخذ عنه أشهر، وقد قال الشاعر:

إذا أنت لم يشهرك علمك لم تجد لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله
وإن صانك العلمُ الذي قد حملته أتاك لـه من يجتنيه ويحملُه

وإذا قرُبَ منك العلمُ، فلا تطلب ما بعد، وإذا سهل عليك من وجهٍ، فلا تطلب ما صعب، وإذا حمدت من خبرته، فلا تطلب من لم تختبره؛ فإن العدول عن القريب إلى البعيد عناءٌ، وترك الأسهل بالأصعب بلاءٌ، والانتقال من المخبور إلى غيره حظرٌ، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عُقْبَى الأخرق مضرة، والمتعسف لا تدوم له مسرة. وقال بعض الحكماء: القصد أسهل من التعسف، والكف أودع من التكلف، وربما تتبعت نفس الإنسان من بعد عنه، استهانةً بمن قرب منه، وطلب ما صعب، احتقاراً لما سهل عليه، وانتقل إلى من لم يخبره، ملـلاً لمن خبره، فلا يدرك محبوباً، ولا يظفر بطائلٍ. وقد قالت العرب في أمثالها: **العالم كالكعبة يأتيها البعداء، ويزهد فيها القرباء**. وأنشدني بعض شيوخنا لمسيح بن حاتم:

لا ترى عالماً يحل بقوم فيحلوه غير دار الهوان
قلما توجد السلامة والصحـ ـة مجموعتين في إنسان
فإذا حلتا مكاناً سحيقاً فهما في النفوس معشوقتان
هذه مكة المنيعة بيت الله يسعى لحجها الثقلان
وترى أزهد البرية في الحج لها أهلها لقرب المكان

٢- وَأَنْ (يُقَلِّلَ)(١) بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلاَمَ.
٣- وَلاَ يَتَكَلَّمَ مَالَمْ يَسْأَلْهُ أُسْتَاذُهُ.
٤- وَلاَ يَسْأَلَ (مَالَمْ يَسْتَأْذِنْ أَوَّلاً)(٢) .
٥- وَلاَ يَقُولَ فِي مُعَارَضَةِ قَوْلِهِ: قَالَ فُلاَنٌ بِخِلاَفِ مَا قُلْتَ.
٦- وَلاَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِخِلاَفِ رَأْيِهِ، فَيَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ مِنْ أُسْتَاذِهِ.
٧- وَلاَ (يَسْأَلَ)(٣) جَلِيْسَهُ فِي مَجْلِسِهِ.
٨- وَلاَ يَلْتَفِتَ إِلَى الْجَوَانِبِ بَلْ يَجْلِسُ مُطْرِقاً سَاكِناً مُتَأَدِّباً كَأَنَّهُ فِي الصَّلاَةِ.
٩- وَلاَ يُكْثِرُ عَلَيْهِ (السُّؤَالَ)(٤) عِنْدَ مَلَلِهِ.
١٠- وَإِذَا قَامَ قَامَ لَهُ.
١١- وَلاَ يَتْبَعَهُ بِكَلاَمِهِ وَسُؤَالِهِ.
١٢- وَلاَ يَسْأَلَهُ فِي طَرِيْقِهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ إِلَى مَنْزِلِهِ.
١٣- وَلاَ يُسِيءَ الظَّنَّ بِهِ فِي أَفْعَالٍ ظَاهِرُهَا مُنْكَرَةٌ عِنْدَهُ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِهِ، وَلْيَذْكُرْ عِنْدَ ذَلِكَ قَوْلَ مُوْسَى لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾[الكهف: ٧١].
وَكَوْنَهُ مُخْطِئاً فِي إِنْكَارِهِ اعْتِمَاداً عَلَى (الظَّاهِرِ)(٥) .

[آدَابُ الْوَلَدِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ]:

وَإِنْ كَانَ لَكَ وَالِدَانِ، (فَآدَابُ)(٦) الْوَلَدِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ(٧) :

---

(١) – في نسخة: (يقلّ). ومعنى قوله: (يقلل بين يديه الكلام) أي: بين يدي مُعلمه.

(٢) – في نسخة: (أولاً ما لم يستأذن).

(٣) – في نسخة: (يُشاور).

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) – في نسخة: (ظاهره).

(٦) – في نسخة: (فأدبُ).

(٧) – قال الإمام الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص٣٦٧ – ٣٧٢): والتأديب يلزم من وجهين: **أحدهما**: ما لزم الوالد لولده في صغره. **والثاني**: ما لزم الإنسان في نفسه عند نشوئه وكبره.

فأما التأديب اللازم للأب: فهو أن يأخذ ولده بمبادىء الآداب ليأنس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر؛ لأن نشوء الصغير على الشيء يجعله متطبعاً به، ومن أغفل في الصغر، كان تأديبه في الكبر عسيراً. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما نحل والدٌ ولدهُ نحلةً أفضل من أدبٍ حسنٍ يفيده إياه، أو جهل قبيح يكفُّه عنه، ويمنعه منه». وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال، وتفرُّق البال. وقال بعض الشعراء:

أدِّب بنيك صغاراً قبل كبرتهم ... فليس ينفع بعد الكبرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا تلين إذا قوَّمتها الخُشُبُ
العلم في صغر كالنقش في حجر ... ما إن تغيره الأزمان والحقبُ
قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في صغرٍ ... وليس ينفعُ عند الشيبة الأدبُ

وقال آخر:

ينشو الصغير على ما كان والده ... إن الأصول عليها ينبُتُ الشَّجرُ

وأمَّا الأدبُ اللازم للإنسان عند نشوئه وكبره: فأدبان: أدب مواضعة واصطلاح، وأدب رياضة واستصلاح.

فأما أدبُ المواضعة والاصطلاح: فيؤخذ تقليداً على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء، واتَّفقَ عليه استحسان الأدباء، وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليلٌ مستنبط، ولا لاتفاقهم على استحسانه دليلٌ موجبٌ، كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب، واتفاقهم على هيئات اللباس، حتى إن الإنسان الآن إذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها صار مجانباً للأدب، مستوجباً للذمِّ؛ لأن فراق المألوف في العادة، ومجانبة ما صار متفقاً عليه بالمواضعة، مفضٍ إلى استحقاق الذَّمِّ بالعقل، ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة، ومعنًى حادثٌ، وقد كان جائزاً في العقل أن يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه، فيرونه حسناً، ويرون ما سواه قبيحاً، فصار هذا مشاركاً لما وجبَ بالعقل، من حيث توجه الذم على تاركه، ومخالفاً له من حيثُ إنه كان جائزاً في العقل أن يوضعَ على خلافه.

وأما أدب الرياضة والاستصلاح: فهو ما كان محمولاً على حال لا يجوز في العقل أن يكون بخلافها، ولا أن تختلف العقلاء في صاحبها وفسادها؛ وما كان كذلك فتعليله بالعقل مستنبطٌ؛ ووضوح صحته بالدليل مرتبطٌ، وللنفس على ما يأتي من ذلك شاهد، ألهمها الله تعالى إرشاداً لها. قال الله

تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾[الشمس: ٨]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: بين لها ما تأتي من الخير، وتذرُ من الشر. وسنذكر تعليل كل شيء في موضعه؛ فإنه أولى به وأحق. فأول مقدمات أدب الرياضة والاستصلاح: أن لا يسبق إلى حسن الظن بنفسه، فيخفى عنه مذمومُ شيمه، ومساوئ أخلاقه؛ لأن النفس بالشهوات آمرة، وعن الرشد زاجرة. وقد قال الله تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾[يوسف: ٥٣]. وروي: «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك. ثم أهلك، ثم عيالك».

ودعت أعرابية لرجل فقالت: كبت الله كل عدو لك إلا نفسك، فأخذه بعض الشعراء فقال:

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيفَ احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

فإذا كانت النفس كذلك، فحسنُ الظن بها ذريعةٌ إلى تحكيمها، وتحكيمها داعٍ إلى سلاطتها، وفساد الأخلاق بها؛ فإذا صَرَفَ حُسْنَ الظنِّ عنها، وتوسمها بما هي عليه من التسويف والمكر، فاز بطاعتها، وانحاز عن معصيتها. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: العاجزُ من عجزَ عن سياسة نفسه. وقال بعض الحكماء: من ساس نفسه ساد نَاسهُ.

فأما سوءُ الظَّنِّ بها، فقد اختلف الناس فيه؛ فمنهم من كرهه؛ لما فيه من اتهام طاعتها، وردِّ مناصحتها، فإن النفس وإن كان لها مكرٌ يُردي، فلها نُصحٌ يَهدي، فلما كان حسن الظن بها يُعمي عن مساويها، كان سوء الظن بها يُعمي عن محاسنها؛ ومن عمي عن محاسن نفسه، كان كمن عميَ عن مساويها، فلم ينف عنها قبيحاً، و لم يُهد إليها حسناً. وقد قال الجاحظ في كتاب البيان: يجبُ أن يكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتصداً؛ فإنه إن تجاوز مقدار الحقَّ في التهمة ظلمها، فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز بها الحقَّ في مقدار حُسْنِ الظنِّ أودعها تهاون الآمنين، ولكل ذلك مقدارٌ من الشغل، ولكلِّ شُغل مقدارٌ من الوهن، ولكل وهنٍ مقدارٌ من الجهل.

وقال الأحنف بن قيس: من ظلم نفسه كان لغيره أظلمَ؛ ومن هدم دينه كان لمجده أهدمَ. وذهب قومٌ إلى أن سوء الظن بها أبلغ في صلاحها، وأوفرُ في اجتهادها؛ لأن للنفس جوراً لا ينفك إلا بالسخط عليها، وغروراً لا ينكشف إلا بالتهمة لها؛ لأنها محبوبة تجور إدلالاً، وتغدر مكراً، فإن لم يسيء الظن بها، غلب عليه جورها، وتموه عليه غرورها، فصار بميسورها قانعاً، وبالشبهة من أفعالها راضياً. وقد قالت الحكماء: من رضي عن نفسه، أسخط عليه الناس. وقال كُشَاجم:

لم أرضَ عن نفسي مخافةَ سُخطها ورضا الفتى عن نفسه إغضابها
ولو أنني عنها رضيتُ لقصرت عما تزيدُ بمثله آدابها
وتبينت آثار ذاك فأكثرت عذلي عليه فطال فيه عتابها

١- أَنْ يَسْمَعَ كَلاَمَهُمَا.

٢- وَيَقُوْمُ لِقِيَامِهِمَا.

٣- وَيَمْتَثِلَ (لأَمْرِهِمَا)[١] .

٤- وَلاَ يَمْشِيَ أَمَامَهُمَا.

٥- وَلاَ يَرْفَعَ صَوْتَهُ فَوْقَ (أَصْوَاتِهِمَا)[٢] .

٦- وَيُلَبِّي دَعْوَتَهُمَا.

٧- وَيَحْرِصَ عَلَى (مَرْضَاتِهِما)[٣] .

٨- وَيَخْفِضَ لَهُمَا (جَنَاحَ الْذُّلِّ)[٤] .

وقد استحسن قول أبي تمام الطائي:

ويسيء بالإحسان ظنّاً لا كمن هـو بابنـه وبشعره مفتونُ

فلم يروا إساءة ظنّه بالإحسان ذمّاً، ولا استقلال عمله لوماً، بل رأوا ذلك أبلغَ في الفضل وأبعثَ على الازدياد. فإذا عرفَ من نفسه ما تُجنُّ، وتصور منها ما تُكن، و لم يُطاوعها فيما تحبُّ إذا كان غيّاً، ولا صرفَ عنها ما تكره إذا كان رُشداً، فقد ملكها بعد أن كان في ملكها، وغلبها بعد أن كان في غلبتها.

وقد روى أبو حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشديد من غلب نفسه». وقال عون بن عبد الله: إذا عَصَتْكَ نَفسُكَ فيما كرهت، فلا تطعها فيما أحبَّت، ولا يغرنك ثناء من جهل أمرك. وقال بعض البلغاء: من قويَ على نفسه، تناهى في القوة، ومن صبر عن شهوته، بالغ في المروَّة، فحينئذ يأخذ نفسه عند معرفة ما أكنّت، وخبرة ما أجنّت، بتقويم عوَجها، وإصلاح فاسدها. وقد رُويَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، متى يعرف الإنسان ربه؟ قال: «إذا عرف نفسه». ثُمَّ يُراعي منها ما صلح واستقام؛ من زَيغٍ يحدثُ عن إغفال، أو ميلٍ يكون عن إهمالٍ؛ ليتم له الصلاح، وتستديم له السعادة فإن المغفل بعد المعاناة ضائع، والمهمل بعد المراعاة ذائع.

(١) - في نسخة: (أمرهما).

(٢) - في نسخة: (صوتهما).

(٣) - في نسخة: (طلب مرضاتهما).

٩- وَلاَ يَمُنَّ عَلَيْهِمَا بِالْبِرِّ لَهُمَا وَلاَ بِالْقِيَامِ لأَمْرِهِمَا.

١٠- وَلاَ يَنْظُرَ إِلَيْهِمَا شَزَراً[١] .

١١- وَلاَ يُقَطِّبَ وَجْهَهُ فِي (وَجْهِهِمَا)[٢] .

١٢- وَلاَ يُسَافِرَ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا.

[أَصْنَافُ النَّاسِ وَآدَابُ مُجَالَسَتِهِمْ]:

وَاعْلَمْ: أَنَّ النَّاسَ بَعْدَ هَؤُلاَءِ فِي حَقِّكَ ثَلاَثَةُ أَصْنَافٍ:

١- إِمَّا أَصْدِقَاءُ.

٢- وَإِمَّا (مَعَارِيْفُ)[٣] .

٣- وَإِمَّا مَجَاهِيْلُ.

❑ فَإِنْ بُلِيْتَ بِالْعَوَامِّ الْمَجْهُوْلِيْنَ، (فَآدَابُ مُجَالَسَتِهِمْ)[٤] :

١- **تَرْكُ** الْخَوْضِ فِي حَدِيْثِهِمْ.

٢- **وَقِلَّةُ** الإِصْغَاءِ إِلَى أَرَاجِيْفِهِمْ.

٣- **وَالتَّغَافُلُ** عَمَّا يَجْرِي مِنْ سُوْءِ أَلْفَاظِهِمْ.

٤- **وَالاحْتِرَازُ** عَنْ كَثْرَةِ لِقَائِهِمْ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ.

٥- **وَالتَّنْبِيْهُ** عَلَى مُنْكَرَاتِهِمْ بِاللُّطْفِ وَالنُّصْحِ عِنْدَ رَجَاءِ الْقَبُوْلِ مِنْهُمْ.

❑ وَأَمَّا (الإِخْوَانُ)[٥] وَالأَصْدِقَاءُ[٦] فَعَلَيْكَ فِيْهِمْ وَظِيْفَتَانِ:

---

(٤) – في نسخة: (الجناح). يتمثل قول الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لهما جناح الذل من الرحمة﴾[الإسراء: ٢٤].

(١) – وهو نظر الغضبان بمؤخر العين أو هو النظر عن يمين وشمال أو هو نظر فيه إعراض كما في القاموس.

(٢) – في نسخة: (وجهيهما).

(٣) – في نسخة: (معارف).

(٤) – في نسخة: (فأدب مجالسة العامة).

(٥) – في نسخة: (الإخوة).

(٦) - وعلى الإنسان أن يُحسن اختبار الإخوان قبل اصطفائهم فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص٢٦٦ - ٢٦٧): فإذا عزم على اصطفاء الإخوان سَبَرَ أحوالهم قبل إخائهم، وكشف عن أخلاقهم قبل اصطفائهم؛ لما تقدم من قول الحكماء: اسبر تَخبُر. ولا تبعثه الوحدة على الإقدام قبل الخبرة، ولا حُسن الظنِّ على الاغترار بالتصنع؛ فإن المَلَقَ - أي: القول الحسن مع خبث القلب - مصائد العقول، والنفاق تدليس الفِطن، وهما سجية المتصنع، وليس فيمن يكون النفاق والملق بعض سجاياه خيرٌ يُرجى، ولا صلاحٌ يؤمل. ولأجل ذلك قالت الحكماء: اعرف الرجل من فعله، لا من كلامه، واعرف محبته من عينه، لا من لسانه. وقال خالد بن صفوان: إنما نفقتُ عند إخواني؛ لأني لم أستعمل معهم النفاق؛ ولا قصرت بهم عن الاستحقاق...

ونذكر هنا اختلاف مذاهب الناس في كثرة الإخوان، فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص٢٧٥ - ٢٧٦): وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الإخوان؛ فمنهم من يرى أن الاستكثار منهم أولى، ليكونوا أقوى منعةً ويداً، وأوفر تحبباً وتودداً، وأكثر تعاوناً وتفقداً. وقيل لبعض الحكماء: ما العيش؟ قال: إقبال الزمان، وعزُّ السلطان، وكثرة الإخوان. وقد قيل: حلية المرء كثرة إخوانه.

ومنهم من يرى أن الإقلال منهم أولى؛ لأنه أخفُّ أثقالاً وكُلفاً، وأقل تنازعاً وخُلُفاً. وقد قال الإسكندر: المستكثر من الإخوان من غير اختيار، كالمستوقر من الحجارة. والمُقِلُّ من الإخوان المتخير لهم، كالذي يتخير الجوهر. وقال عمرو بن العاص: من كثر إخوانه كثر غرماؤه. وقال إبراهيم بن العباس: مثل الإخوان كالنار؛ قليلها متاعٌ، وكثيرها بوارٌ....وقال بعض البلغاء: ليكن غرضك في اتخاذ الإخوان، واصطناع النصحاء تكثير العُدة، لا تكثير العِدّة، وتحصيل النَّفع، لا تحصيل الجَمع، فواحدٌ يحصِّلُ به المراد، خيرٌ من ألف يُكثِّر الأعداد.

أما مذهب العقلاء وأهل الفضل في اتخاذ الإخوان فقد قال: وإذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الأخوة وأسباب المودة، كان وفور العقل، وظهور الفضل، يقتضي من حال صاحبه قلة إخوانه؛ لأنه يروم مثله، ويطلب شكله، وأمثاله من ذوي العقل والفضل، أقل من أضداده من ذوي الحمق والنقص؛ لأن الخيار في كل جنس هو الأقل، فلذلك قل وفور العقل والفضل. وقد قال الله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾[الحجرات: ٤]، فقل بهذا التعليل إخوان أهل الفضل لقلتهم، وكثر إخوان ذوي النقص والجهل لكثرتهم...

إِحْدَاهُمَا: أَنْ تَطْلُبَ أَوَّلاً شُرُوْطَ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ، فَلاَ تُوَاخِ إِلاَّ مَنْ يَصْلُحُ لِلأُخُوَّةِ وَالصَّدَاقَةِ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**الْمَرْءُ عَلَى دِيْنِ خَلِيْلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[1] .

فَإِذَا طَلَبْتَ رَفِيْقاً لِيَكُوْنَ شَرِيْكَكَ فِي التَّعَلُّمِ وَصَاحِبَكَ فِي أَمْرِ دِيْنِكَ وَدُنْيَاكَ فَرَاعِ فِيْهِ خَمْسَ خِصَالٍ:

الأُوْلَى: **الْعَقْلُ**، فَلاَ خَيْرَ فِي صُحْبَةِ الأَحْمَقِ، فَإِلَى الْوَحْشَةِ وَالْقَطِيْعَةِ يَرْجِعُ آخِرُهَا، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَضُرَّكَ وَهُوَ يُرِيْدُ أَنْ يَنْفَعَكَ، وَالْعَدُوُّ الْعَاقِلُ خَيْرٌ مِنَ الصَّدِيْقِ الأَحْمَقِ.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(فَلاَ)[2] تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ ... وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى ... حَلِيْماً حِيْنَ وَاخَاهُ

يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ ... إِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ

(كَحَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ... إِذَا مَا الْفِعْلُ حَاذَاهُ)[3]

وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ ... مَقَايِيْسٌ وَأَشْبَاهُ

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ ... دَلِيْلٌ حِيْنَ يَلْقَاهُ

---

(١) - أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٩).

وأخرجه الحاكم (٤/١٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد (٢/٣٠٣) عن عبد الرحمن، ومؤمل، قالا: حدثنا زهير بن محمد - قال مؤمل: الخراساني - حدثنا موسى بن وردان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالط». وقال مؤمل: «من يخالل».

(٢) - في نسخة: (ولا).

(٣) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

الثَّانِيَةُ: حُسْنُ الْخُلُقِ، فَلاَ تَصْحَبْ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ، وَهُوَ الَّذِي لاَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ، وَقَدْ جَمَعَهُ عَلْقَمَةُ الْعُطَارِدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (تَعَالَى)(١) فِي وَصِيَّتِهِ لابْنِهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقَالَ: **يَا بُنَيَّ** إِذَا أَرَدْتَ صُحْبَةَ إِنْسَانٍ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ، وَ(إِنْ)(٢) قَعَدَتْ بِكَ مُؤْنَةٌ مَانَكَ. اصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ (بِخَيْرٍ)(٣) مَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ سَيِّئَةً سَدَّهَا؛ اصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَكَ، وَإِنْ حَاوَلْتَ أَمْراً (أَمَّرَكَ)(٤)، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا فِي شَيْءٍ آثَرَكَ.

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجْزاً:

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكْ ... وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكْ ... شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

الثَّالِثَةُ: الصَّلاَحُ، فَلاَ تَصْحَبْ فَاسِقاً مُصِرّاً عَلَى مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ، لأَنَّ مَنْ يَخَافُ اللهَ لاَ يُصِرُّ عَلَى (كَبِيرَةٍ)(٥)، وَمَنْ لاَ يَخَافُ اللهَ لاَ تُؤْمَنُ غَوَائِلُهُ، بَلْ يَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ (الأَحْوَالِ وَالأَعْرَاضِ)(٦). قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)(٧)﴾[الكهف: ٢٨].

فَاحْذَرْ صُحْبَةَ الْفَاسِقِ، فَإِنَّ مُشَاهَدَةَ الْفِسْقِ وَالْمَعْصِيَةِ عَلَى الدَّوَامِ تُزِيلُ عَنْ قَلْبِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَعْصِيَةِ، وَيَهُونُ عَلَيْكَ أَمْرُهَا، وَلِذَلِكَ هَانَ عَلَى الْقُلُوبِ مَعْصِيَةُ الْغِيبَةِ لإِلْفِهِمْ لَهَا، وَلَوْ رَأَوا خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ مَلْبُوساً مِنْ حَرِيرٍ عَلَى فَقِيهٍ لاشْتَدَّ إِنْكَارُهُمْ عَلَيْهِ، وَالْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ.

---

(١) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٢) – في نسخة: (إذا).

(٣) – في نسخة: (للخير).

(٤) – في نسخة: (أعانك ونصرك).

(٥) – في نسخة: (معصية كبيرة).

(٦) – في نسخة: (الأعراض والأحوال).

(٧) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

الرَّابِعَةُ: (لاَ تَصْحَبْ)(١) حَرِيصاً عَلَى الدُّنْيَا(٢) ، فَصُحْبَةُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا سُمٌّ قَاتِلٌ، لأَنَّ الطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالاقْتِدَاءِ، بَلِ الطَّبْعُ يُسْرَقُ مِنَ الطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لاَ يَدْرِي؛ فَمُجَالَسَةُ الْحَرِيصِ تَزِيْدُ فِي حِرْصِكَ، وَمُجَالَسَةُ الزَّاهِدِيْنَ تَزِيْدُ فِي زُهْدِكَ.

الْخَامِسَةُ: الصِّدْقُ، فَلاَ تَصْحَبْ كَذَّاباً فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى غُرُوْرٍ، فَإِنَّهُ مِثْلُ السَّرَابِ، يُقَرِّبُ مِنْكَ الْبَعِيْدَ وَيُبْعِدُ مِنْكَ الْقَرِيْبَ، وَلَعَلَّكَ تَعْدَمُ (اجْتِمَاعَ)(٣) هَذِهِ الْخِصَالِ فِي سُكَّانِ الْمَدَارِسِ وَالْمَسَاجِدِ.

❑ فَعَلَيْكَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ:

١- إِمَّا الْعُزْلَةُ وَالانْفِرَادُ (فَفِيْهَا)(٤) سَلاَمَتُكَ.

---

(١) – في نسخة: (أن لا يكون)

(٢) – قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص٣٥٦ – ٣٥٨): وأما الحرص: فيسلب فضائل النفس، لاستيلائه عليها، ويمنع من التوفر على العبادة، لتشاغله عنها، ويبعث على التورط في الشبهات؛ لقلة تحرزه منها... وأن الحريص لا يستزيد بحرصه زيادةً على رزقه، سوى إذلال نفسه، وإسخاط خالقه. وروي: «الحريص الجاهد، والقنوع الزاهد، يستوفيان أكلهما غير منتقصٍ منه شيئاً، فعلام التهافت في النار». وقال بعض الحكماء: الحرصُ مفسدة للدين والمروءة، والله ما عرفت من وجه رجلٍ حرصاً فرأيت أن فيه مصطنعاً. وقال آخر: الحريصُ أسير مهانة لا يفك أسره. وقال بعض البلغاء: المقادير الغالبة لا تنال بالمغالبة، والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشدة والمكالبة، فذلل للمقادير نفسك، واعلم بأنك غير نائل بالحرص إلا حظك. وقال بعض الأدباء: رب حظ أدركه غير طالبه، ودرٍّ أحرزه غير حالبه.... وليس للحريص غاية مقصودة يقف عندها، ولا نهاية محدودة يقنع بها؛ لأنه إذا وصل بالحرص إلى ما أمل، أغراه ذلك بزيادة الحرص والأمل، وإذا لم يصل رأى إضاعة العناء لوماً، والصبر عليه حزماً، وصار بما سلف من عنائه به أقوى رجاءً، وأبسط أملاً. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يشيبُ ابن آدم ويبقى معه خصلتان: الحرص وطول الأمل». وقيل للمسيح عليه السلام: ما بالُ المشايخ أحرص على الدنيا من الشباب؟ قال: لأنهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب. ولو صدق الحريص نفسه، واستنصح عقله، لعلم أن من تمام السعادة، وحسن التوفيق، الرضا بالقضاء، والقناعة بالقسم.

(٣) – في نسخة: (احتمال).

٢- وَإِمَّا أَنْ تَكُوْنَ مُخَالَطَتُكَ مَعَ شُرَكَائِكَ بِقَدْرِ خِصَالِهِمْ، بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الإِخْوَةَ ثَلاثَةٌ[1] :

---

(٤) – في نسخة: (فإن فيها).

(١) – ومن أقسام الداخلين في عدد الإخوان ما قاله الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص٢٧٧ – ٢٧٩): وإذا كان الأمر على ما وصفنا، فقد تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام: منهم من يعين ويستعين، ومنهم من لا يعين ولا يستعين، ومنهم من لا يستعين ولا يعين، ومنهم من يعين ولا يستعين.

فأما **المعين والمستعين**، فهو معاوض منصف، يؤدي ما عليه، ويستوفي ماله، فهو كالمقرض: يُسعف عند الحاجة، ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته، ومعذور في استعانته؛ وهذه أعدل أحوال الإخوان.

وأما **من لا يعين ولا يستعين**، فهو متارك، قد منع خيره، وقمعَ شره، فلا هو صديق يرجى، ولا هو عدو يُخشى. وقد قال المغيرة بن شعبة: التارك للإخوان متروك. ومن كان كذلك فهو كالصورة الممثلة؛ يروقك حسنها، ويخونك نفعها؛ فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكورٌ لمنع خيره، وإن كان باللوم أحدر. وقد قال الشاعر:

وأسوأُ أيام الفتى يوم لا يُرى   له أحدٌ يُزري عليه وينكر

غير أن فساد الوقت وتغير أهله، يوجب شكر من كان شره مقطوعاً، وإن كان خيره ممنوعاً، كما قال المتنبي:

إنا لفي زمنٍ تركُ القبيح به   من أكثرِ الناس إحسانٌ وإجمالُ

وأما **من يستعين ولا يعين**، فهو لئيمٌ كلٌّ، ومهين مستذل، قد قطع عنه الرغبة، وبسط فيه الرهبة، فلا خيرُهُ يُرجى، ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة، من رجل يستثقل عند إقلاله، ويستقل عند استقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظ، ولا في الوداد نصيب، وهو ممن جعله المأمون من داء الإخوان لا من دوائهم، ومن سمهم لا من غذائهم. وقال بعض الحكماء: شر ما في الكريم أن يمنعك خيره، وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شره. وقال ابن الرومي:

عذرنا النخل في إبداء شوكٍ   يرد به الأنامل عن جَنَاهُ

فما للعوسج الملعون أبدى   لنا شوكاً بلا ثمرٍ نراه؟

❑ أَخٌ لآخِرَتِكَ فَلاَ تُرَاعِ فِيْهِ إِلاَّ الْدِّيْنَ.

❑❑ وَأَخٌ لِدُنْيَاكَ فَلاَ تُرَاعِ فِيْهِ إِلاَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ.

❑❑❑ وَأَخٌ (لِتَأْنَسَ)(١) بِهِ فَلاَ تُرَاعِ فِيْهِ إِلاَّ الْسَّلاَمَةَ مِنْ شَرِّهِ وَفِتْنَتِهِ وَخُبْثِهِ.

وَالْنَّاسُ ثَلاَثَةٌ:

أَحَدُهُمْ: مَثَلُهُ مَثَلُ الْغِذَاءِ لاَ يُسْتَغْنَى عَنْهُ.

وَالآخَرُ: مَثَلُهُ مَثَلُ الْدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي وَقْتٍ دُوْنَ وَقْتٍ.

و(الْثَّالِثُ)(٢) : مَثَلُهُ مَثَلُ الْدَّاءِ لاَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ قَطُّ، وَلَكِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يُبْتَلَى بِهِ، وَهُوَ الَّذِي لاَ أُنْسَ فِيْهِ وَلاَ نَفْعَ، فَتَجِبُ مُدَارَاتُهُ إِلَى الْخَلاَصِ مِنْهُ؛ وَفِي مُشَاهَدَتِهِ فَائِدَةٌ عَظِيْمَةٌ إِنْ وُفِّقْتَ لَهَا، وَهُوَ أَنْ تُشَاهِدَ مِنْ خَبَائِثِ أَحْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ مَا تَسْتَقْبِحُهُ فَتَجْتَنِبَهُ.

فَالْسَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَقِيْلَ لِعِيْسَى عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ: مَنْ أَدَّبَكَ؟ (فَقَالَ)(٣) : مَا أَدَّبَنِي أَحَدٌ لَكِنْ رَأَيْتُ جَهْلَ الْجَاهِلِ فَاجْتَنَبْتُهُ(٤) ، وَلَقَدْ صَدَقَ (عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الْصَّلاَةُ وَالْسَّلاَمُ)(٥) ، فَلَوِ اجْتَنَبَ الْنَّاسُ مَا يَكْرَهُوْنَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ لَكَمُلَتْ آدَابُهُمْ وَاسْتَغْنَوا عَنِ الْمُؤَدِّبِيْنَ.

وأما من يعين ولا يستعين، فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، قد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلاً في نائبة، ولا يقعد عن نهضةٍ في معونة؛ فهذا أشرف الإخوان نفساً، وأكرمهم طبعاً؛ فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله – وقل أن يكون له مثل؛ لأنه البر الكريم، والدر اليتيم – أن يثني عنيه خنصره، ويعضَّ عليه بناجذه، ويكون به أشد ضناً منه بنفائس أمواله، وسني ذخائره، لأن نفع الإخوان عامٌ، ونفع المال خاصٌ، وما كان أعم نفعاً، فهو بالادخار أحق....

(١) – في نسخة: (تستأنس).

(٢) – في نسخة: (الآخر).

(٣) – في نسخة: (قال).

(٤) – أورده الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص٣٦٥).

(٥) – في نسخة: (صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم).

الْوَظِيْفَةُ الثَّانِيَةُ: مُرَاعَاةُ حُقُوْقِ الصُّحْبَةِ، فَمَهْمَا انْعَقَدَتْ الشَّرِكَةُ، وَانْتَظَمَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَرِيْكِكَ الصُّحْبَةُ، فَعَلَيْكَ حُقُوْقٌ يُوْجِبُهَا عَقْدُ الصُّحْبَةِ، وَفِي الْقِيَامِ بِهَا آدَابٌ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الأَخَوَيْنِ، مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**»[1] .

وَدَخَلَ صلى الله عليه وسلم أَجَمَةً فَاجْتَنَى مِنْهَا سِوَاكَيْنِ، أَحَدُهُمَا مِعْوَجٌّ، وَالآخَرُ مُسْتَقِيْمٌ، وَكَانَ مَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَأَعْطَاهُ الْمُسْتَقِيْمَ وَأَمْسَكَ لِنَفْسِهِ المِعْوَجَّ، فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، (أَنْتَ)[2] أَحَقُّ مِنِّي بِالْمُسْتَقِيْمِ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلاَّ (وَيُسْأَلُ)[3] عَنْ صُحْبَتِهِ، هَلْ أَقَامَ فِيْهَا حَقَّ اللهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ**»[4] .

وَآدَابُ الصُّحْبَةِ:

١- الإِيْثَارُ بِالْمَالِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا، فَبَذْلُ الْفَضْلِ مِنَ الْمَالِ عِنْدَ الْحَاجَةِ.

٢- وَالإِعَانَةُ بِالنَّفْسِ فِي الْحَاجَاتِ على سَبِيْلِ الْمُبَادَرَةِ مِنْ غَيْرِ إِحْوَاجٍ إِلَى الْتِمَاسٍ.

٣- وَكِتْمَانُ السِّرِّ، وَسَتْرُ الْعُيُوْبِ، وَالسُّكُوْتُ عَنْ تَبْلِيْغِ مَا (يَسُوْءُ)[5] مِنْ مَذَمَّةِ النَّاسِ إِيَّاهُ.

---

(١) - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/١٥٨): رواه السُّلمي في آداب الصحبة، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس. بزيادة: (إذا التقيا)، وفيه: أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب. قلت: لم أجده في مسند الفردوس للديلمي. وانظره في إتحاف السادة المتقين (٦/٢٠٤).

(٢) - في نسخة: (إنك).

(٣) - في نسخة: (سُئل).

(٤) - لم أجده بهذا اللفظ. ولكن أخرج الطيالسي (٢٠٥٣) والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٤) والبغوي في شرح السنة (٣٤٦٦) وابن حبان (٥٦٦) عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما تحابَّ اثنان في الله، إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه». وذكر هذا الحديث المصنف في الإحياء.

(٥) - في نسخة: (يسوئه).

٤- وَإِبْلاَغُ مَا يَسُرُّهُ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ عَنْهُ، وَحُسْنِ الإِصْغَاءِ عِنْدَ الْحَدِيثِ، وَتَرْكُ الْمُمَارَاةِ فِيهِ.

٥- وَأَنْ يَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِمَا يَعْرِفُ مِنْ مَحَاسِنِهِ، وَأَنْ يَشْكُرَهُ عَلَى صَنِيعِهِ فِي (حَقِّهِ)[1]، وَأَنْ يَذُبَّ عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ إِذَا تُعُرِّضَ لِعِرْضِهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنْ يَنْصَحَهُ بِاللُّطْفِ وَالتَّعْرِيضِ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ.

٦- وَأَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَلَّتِهِ وَهَفْوَتِهِ، (وَلاَ)[2] يَعْتِبَ عَلَيْهِ.

٧- وَأَنْ يَدْعُوَ لَهُ فِي خَلْوَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ.

٨- وَأَنْ يُحْسِنَ الْوَفَاءَ مَعَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

٩- وَأَنْ يُؤْثِرَ التَّخْفِيفَ عَنْهُ فَلاَ يُكَلِّفَهُ شَيْئاً مِنْ (حَاجَاتِهِ، فَيُرَوِّحُ سِرَّهُ)[3] مِنْ مُهِمَّاتِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَ الْفَرَحَ بِجَمِيعِ مَا (يَرْتَاحُ)[4] لَهُ مِنْ مَسَارِّهِ، وَالْحُزْنُ (بِمَا)[5] يَنَالُهُ مِنْ مَكَارِهِهِ، وَأَنْ يُضْمِرَ (فِي قَلْبِهِ)[6] مِثْلَ مَا يُظْهِرُهُ فَيَكُونُ صَادِقاً فِي وِدِّهِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً.

١٠- وَأَنْ يَبْدَأَهُ بِالسَّلاَمِ عِنْدَ إِقْبَالِهِ، وَأَنْ يُوسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ.

١١- وَيَخْرِجَ لَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَأَنْ يُشَيِّعَهُ عِنْدَ قِيَامِهِ.

١٢- وَأَنْ يَصْمُتَ عِنْدَ كَلاَمِهِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ (كَلاَمِهِ، وَيَتْرُكَ)[7] الْمُدَاخَلَةَ فِي كَلاَمِهِ.

وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَيُعَامِلَهُ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ، فَمَنْ لاَ يُحِبُّ لأَخِيهِ مِثْلَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَأُخُوَّتُهُ نِفَاقٌ، وَهِيَ عَلَيْهِ (وَبَالٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)[8] .

---

(١) - في نسخة: (وجهه).

(٢) - في نسخة: (فلا).

(٣) - في نسخة: (حاجته، ويروح قلبه).

(٤) - في نسخة: (يتاح).

(٥) - في نسخة: (على).

(٦) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٧) - في نسخة: (خطابه، وترك).

(٨) - في نسخة: (في الدنيا والآخرة وبال).

فَهَذَا أَدَبُكَ فِي حَقِّ الْعَوَامِّ الْمَجْهُولِينَ، وَفِي حَقِّ الأَصْدِقَاءِ الْمُؤَاخِينَ.

❑ وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّالِثُ: وَهُمُ (الْمَعَارِيفُ)[١] :

فَاحْذَرْ مِنْهُمْ، فَإِنَّكَ لاَ تَرَى الشَّرَّ إِلاَّ مِمَّنْ تَعْرِفُهُ، أَمَّا الصَّدِيقُ فَيُعِينُكَ، وَأَمَّا الْمَجْهُولُ: فَلاَ يَتَعَرَّضُ لَكَ، وَإِنَّمَا الشَّرُّ كُلُّهُ مِنَ (الْمَعَارِيفِ)[٢] الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الصَّدَاقَةَ بِأَلْسِنَتِهِمْ.

فَأَقْلِلْ مِنَ الْمَعَارِفِ مَا قَدِرْتَ، فَإِذَا بُلِيتَ بِهِمْ فِي مَدْرَسَةٍ أَوْ (مَسْجِدٍ أَوْ جَامِعٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ بَلَدٍ)[٣] ، فَيَجِبُ أَنْ لاَ (تَسْتَصْغِرَ)[٤] مِنْهُمْ أَحَداً، فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَلاَ تَنْظُرْ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ لَهُمْ فِي حَالِ دُنْيَاهُمْ فَتَهْلِكَ، لأَنَّ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ عِنْدَ اللهِ (تَعَالَى)[٥] صَغِيرٌ مَا فِيهَا، وَمَهْمَا عَظُمَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي قَلْبِكَ فَقَدْ سَقَطْتَ مِنْ عَيْنِ اللهِ تَعَالَى؛ وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْذُلَ لَهُمْ دِينَكَ لِتَنَالَ بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، (فَلاَ)[٦] يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحَدٌ إِلاَّ صَغُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ، ثُمَّ حُرِمَ مَا عِنْدَهُمْ.

وَإِنْ عَادَوْكَ فَلاَ تُقَابِلْهُمْ بِالْعَدَاوَةِ، فَإِنَّكَ لاَ تُطِيقُ الصَّبْرَ عَلَى مُكَافَأَتِهِمْ فَيَذْهَبُ دِينُكَ فِي عَدَاوَتِهِمْ، (وَيَطُولُ)[٧] عَنَاؤُكَ مَعَهُمْ.

وَلاَ تَسْكُنْ إِلَيْهِمْ فِي حَالِ إِكْرَامِهِمْ إِيَّاكَ، وَثَنَائِهِمْ عَلَيْكَ فِي وَجْهِكَ، وَإِظْهَارِهِمُ الْمَوَدَّةَ لَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ لَمْ تَجِدْ فِي الْمِئَةِ وَاحِداً، وَلاَ تَطْمَعْ أَنْ يَكُونَ لَكَ فِي (السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَاحِداً)[٨] .

---

(١) – في نسخة: (المعارف).

(٢) – في نسخة: (المعارف).

(٣) – في نسخة: (جامع أو مسجد أو بلد أو سوق).

(٤) – في نسخة: (تستحقر).

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٦) – في نسخة: (فلم).

(٧) – في نسخة: (فيطولُ).

(٨) – في نسخة: (العلن والسر واحد).

وَلاَ تَتَعَجَّبْ إِنْ ثَلَبُوْكَ فِي غَيْبَتِكَ، وَلاَ تَغْضَبْ مِنْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ أَنْصَفْتَ وَجَدْتَ (مِنْ)[1] نَفْسِكَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى فِي أَصْدِقَائِكَ وَأَقَارِبِكَ، بَلْ فِي أُسْتَاذِكَ وَوَالِدَيْكَ، فَإِنَّكَ تَذْكُرُهُمْ فِي الْغَيْبَةِ بِمَا لاَ تُشَافِهُهُمْ بِهِ فَاقْطَعْ طَمَعَكَ عَنْ مَالِهِمْ وَجَاهِهِمْ وَمَعُوْنَتِهِمْ، فَإِنَّ الطَّامِعَ فِي الأَكْثَرِ خَائِبٌ فِي الْمَآلِ، وَهُوَ ذَلِيْلٌ لاَ مَحَالَةَ فِي الْحَالِ، (وَإِذَا)[2] سَأَلْتَ وَاحِداً حَاجَةً فَقَضَاهَا، فَاشْكُرِ اللهَ تَعَالَى وَاشْكُرْهُ، وَإِنْ قَصَّرَ فَلاَ تُعَاتِبْهُ، وَلاَ تَشْكِهِ فَتَصِيْرَ عَدَاوَةً، وَكُنْ كَالْمُؤْمِنِ يَطْلُبُ الْمَعَاذِيْرَ، وَلاَ تَكُنْ كَالْمُنَافِقِ يَطْلُبُ الْعُيُوْبَ، وَقُلْ لَعَلَّهُ قَصَّرَ لِعُذْرٍ لَهُ لَمْ أَطَّلِعْ عَلَيْهِ.

وَلاَ تَعِظَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ مَا لَمْ تَتَوَسَّمْ فِيْهِ أَوَّلاً مَخَايِلَ الْقَبُوْلِ وَإِلاَّ لَمْ يَسْتَمِعْ (مِنْكَ)[3] ، وَصَارَ خَصْماً عَلَيْكَ، فَإِذَا أَخْطَأُوا فِي مَسْأَلَةٍ، وَكَانُوا يَأْنَفُوْنَ مِنَ (التَّعَلُّمِ)[4] مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، فَلاَ تُعَلِّمْهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَسْتَفِيْدُوْنَ مِنْكَ عِلْماً، وَيُصْبِحُوْنَ لَكَ أَعْدَاءً، إِلاَّ إِذَا تَعَلَّقَ ذَلِكَ بِمَعْصِيَةٍ يُقَارِفُوْنَهَا عَنْ جَهْلٍ مِنْهُمْ، فَاذْكُرِ الْحَقَّ بِلُطْفٍ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ؛ وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ كَرَامَةً وَخَيْراً، فَاشْكُرِ اللهَ الَّذِي حَبَّبَكَ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ شَرّاً فَكِلْهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهِمْ، وَلاَ تُعَاتِبْهُمْ، وَلاَ تَقُلْ لَهُمْ: لِمَ لَمْ تَعْرِفُوا حَقِّي وَأَنَا فُلاَنُ ابْنُ فُلاَنٍ، وَأَنَا الْفَاضِلُ فِي الْعُلُوْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلاَمِ الْحَمْقَى، وَأَشَدُّ النَّاسِ حَمَاقَةً مَنْ يُزَكِّي نَفْسَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهَا.

وَاعْلَمْ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يُسَلِّطُهُمْ عَلَيْكَ إِلاَّ لِذَنْبٍ سَبَقَ مِنْكَ، فَاسْتَغْفِرِ اللهَ مِنْ ذَنْبِكَ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ ذَلِكَ عُقُوْبَةٌ مِنَ اللهِ (تَعَالَى)[5] .

وَكُنْ فِيْمَا بَيْنَهُمْ سَمِيْعاً لِحَقِّهِمْ، أَصَمَّ عَنْ بَاطِلِهِمْ، نَطُوْقاً بِمَحَاسِنِهِمْ، صَمُوْتاً عَنْ مَسَاوِيْهِمْ، وَاحْذَرْ مُخَالَطَةَ مُتَفَقِّهَةِ الزَّمَانِ، لاَ سِيَمَا الْمُشْتَغِلِيْنَ بِالْخِلاَفِ وَالْجِدَالِ،

---

(١) – في نسخة: (في).

(٢) – في نسخة: (فإذات).

(٣) – في نسخة: (لك).

(٤) – في نسخة: (التعليم).

(٥) – في نسخة: (تعالى لك).

وَاحْذَرْ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَتَرَبَّصُوْنَ بِكَ (لِحَسَدِهِمْ)[1] رَيْبَ الْمَنُوْنِ، وَيَقْطَعُوْنَ عَلَيْكَ بِالظُّنُوْنِ، وَيَتَغَامَزُوْنَ وَرَاءَكَ (بِالْعُيُوْنِ)[2] ، يُحْصُوْنَ عَلَيْكَ عَثَرَاتِكَ فِي عِشْرَتِهِمْ حَتَّى يُجْبِهُوْكَ بِهَا فِي (حَالِ)[3] غَيْظِهِمْ وَمُنَاظَرَتِهِمْ، لاَ يُقِيْلُوْنَ لَكَ عَثْرَةً، وَلاَ يَغْفِرُوْنَ لَكَ زَلَّةً، وَلاَ يَسْتُرُوْنَ عَلَيْكَ عَوْرَةً، يُحَاسِبُوْنَكَ عَلَى النَّقِيْرِ وَالْقِطْمِيْرِ، وَيَحْسُدُوْنَكَ عَلَى الْقَلِيْلِ وَالْكَثِيْرِ، وَيُحَرِّضُوْنَ عَلَيْكَ الإِخْوَانَ بِالنَّمِيْمَةِ، وَالْبَلاَغَاتِ وَالْبُهْتَانِ؛ إِنْ (رَضُوا)[4] فَظَاهِرُهُمُ الْمَلَقُ، وَإِنْ سَخَطُوا فَبَاطِنُهُمْ (الْحَنَقُ)[5] ، ظَاهِرُهُمْ ثِيَابٌ، وَبَاطِنُهُمْ ذِئَابٌ.

هَذَا حُكْمُ مَا قَطَعَتْ بِهِ الْمُشَاهَدَةُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ إِلاَّ مَنْ عِصْمَةِ اللهِ تَعَالَى، فَصُحْبَتُهُمْ خُسْرَانٌ وَمُعَاشَرَتُهُمْ خُذْلاَنٌ.

هَذَا حُكْمُ مَنْ يُظْهِرُ لَكَ الصَّدَاقَةَ، فَكَيْفَ مَنْ يُجَاهِرُكَ بِالْعَدَاوَةِ؟.

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ مَعْرُوْفٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

فَاحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً ... وَاحْذَرْ صَدِيْقَكَ أَلْفَ مَرَّة

فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيْقُ ... فَكَانَ أَعْرَفُ بِالْمَضَرَّةِ

وَكَذَلِكَ (قَالَ ابْنُ تَمَّامٍ)[6] :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيْقِكَ مُسْتَفَادٌ ... فَلاَ تَسْتَكْثِرُوْنَ مِنَ الصِّحَابِ

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ ... يَكُوْنُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

وَكُنْ كَمَا قَالَ هِلاَلُ بْنُ الْعَلاَءِ الرَّقِّي:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

---

(١) – في نسخة: (بحسدهم).

(٢) – في نسخة: (بالعيوب).

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – في نسخة: (رفضوا).

(٥) – في نسخة: (الحمق). والحنق: الغيظ.

(٦) – في نسخة: (قيل في المعنى).

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ لأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ كَأَنَّهُ قَدْ مَلاَ قَلْبِي مَسَرَّاتِ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
النَّاسُ دَاءٌ (دَوَاهُ)[1] الْمَحْضُ تَرْكُهُمُ وَفِي الْجَفَاءِ لَهُمْ قَطْعُ الأُخُوَّاتِ
فَسَالِمِ النَّاسَ تَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَكُنْ حَرِيصاً عَلَى كَسْبِ (التَّقِيَّاتِ)[2]
وَخَالِقِ النَّاسَ وَاصْبِرْ مَا بُلِيتَ بِهِمْ أَصَمَّ أَبْكَمَ أَعْمَى ذَا تَقِيَّاتِ

وَكُنْ أَيضاً كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْقَ صَدِيقَكَ وَعَدُوَّكَ بِوَجْهِ الرِّضَا، مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ (لَهُمَا)[3]، وَلاَ هَيْبَةٍ مِنْهُمَا، وَتَوَقَّرْ مِنْ غَيْرِ كِبْرٍ، وَتَوَاضَعْ مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ، وَكُنْ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فِي (أَوْسَطِهَا)[4]، فَكِلاَ طَرَفَي الأُمُورِ، كَمَا قِيلَ:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى نَهْجِ الصِّرَاطِ قَوِيمُ
وَلاَ تَكُ فِيهَا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً فَإِنَّ كِلاَ حَالِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

وَلاَ تَنْظُرْ فِي عِطْفَيْكَ، وَلاَ تُكْثِرِ الالْتِفَاتَ (إِلَى وَرَائِكَ)[5]، وَلاَ تَقِفْ عَلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِذَا جَلَسْتَ فَلاَ تَسْتَوْفِزْ، وَتَحَفَّظْ مِنْ تَشْبِيكِ أَصَابِعِكَ، وَالْعَبَثِ بِلِحْيَتِكَ وَخَاتَمِكَ، وَتَخْلِيلِ أَسْنَانِكَ، وَإِدْخَالِ أُصْبُعِكَ فِي أَنْفِكَ، وَكَثْرَةِ بُصَاقِكَ وَتَنَخُّمِكَ، وَطَرْدِ الذُّبَابِ عَنْ وَجْهِكَ، وَكَثْرَةِ التَّمَطِّي وَالتَّثَاؤُبِ فِي وُجُوهِ النَّاسِ، وَفِي الصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا.

وَلْيَكُنْ مَجْلِسُكَ هَادِئاً، وَحَدِيثُكَ مَنْظُوماً، وَاصْغِ إِلَى الْكَلاَمِ الْحَسَنِ مِمَّنْ حَدَّثَكَ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ تَعَجُّبٍ مُفْرِطٍ، وَلاَ تَسْأَلْهُ إِعَادَتَهُ، وَاسْكُتْ عَنِ الْمَضَاحِكِ وَالْحِكَايَاتِ، وَلاَ تُحَدِّثْ عَنْ إِعْجَابِكَ بِوَلَدِكَ وَشِعْرِكَ وَكَلاَمِكَ وَتَصْنِيفِكَ وَسَائِرِ مَا يَخُصُّكَ، وَلاَ تَتَصَنَّعْ

---

(١) – في نسخة: (دواء).

(٢) – في نسخة: (المودات).

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – في نسخة: (أوساطها).

(٥) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

تَصَنُّعَ الْمَرْأَةِ فِي التَّزَيُّنِ وَلاَ تَتَبَذَّلْ تَبَذُّلَ الْعَبْدِ، وَتَوَقَّ كَثْرَةَ الْكِحْلِ وَالإِسْرَافِ فِي الدُّهْنِ، وَلاَ تُلِحَّ فِي الْحَاجَاتِ، وَلاَ تُشَجِّعْ أَحَداً عَلَى (الظُّلْمِ)[1] .

وَلاَ تُعْلِمْ أَحَداً مِنْ أَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ـ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ ـ مِقْدَارَ مَالِكَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْهُ قَلِيلاً هِنْتَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ رَأَوْهُ كَثِيراً لَمْ تَبْلُغْ (قَطُّ رِضَاهُمْ)[2] ، وَاجْفُهُمْ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، وَلِنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ، وَلاَ تُهَازِلْ أَمَتَكَ وَلاَ عَبْدَكَ فَيَسْقُطَ وَقَارُكَ (مِنْ قُلُوبِهِمْ)[3] .

وَإِذَا خَاصَمْتَ فَتَوَقَّرْ، وَتَحَفَّظْ مِنْ جَهْلِكَ وَعَجَلَتِكَ، وَتَفَكَّرْ فِي حُجَّتِكَ، وَلاَ تُكْثِرِ الإِشَارَةَ بِيَدَيْكَ، وَلاَ تُكْثِرْ الالْتِفَاتَ إِلَى وَرَائِكَ، وَلاَ تَجْثُ عَلَى رُكْبَتَيْكَ، وَإِذَا هَدَأَ غَضَبُكَ فَتَكَلَّمْ، وَإِذَا قَرَّبَكَ السُّلْطَانُ فَكُنْ (مِنْهُ)[4] عَلَى حَدِّ السِّنَانِ.

وَإِيَّاكَ وَصَدِيقَ الْعَافِيَةِ، فَإِنَّهُ أَعْدَى الأَعْدَاءِ، وَلاَ تَجْعَلْ مَالَكَ أَكْرَمَ مِنْ عِرْضِكَ.

(فَهَذَا)[5] الْقَدْرُ يَا فَتَى يَكْفِيكَ مِنْ بِدَايَةِ الْهِدَايَةِ، فَجَرِّبْ بِهَا نَفْسَكَ فَإِنَّهَا ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ:

- قِسْمٌ فِي آدَابِ الطَّاعَاتِ.
- وَقِسْمٌ فِي تَرْكِ الْمَعَاصِي.
- وَقِسْمٌ فِي مُخَالَطَةِ الْخَلْقِ.

وَهِيَ جَامِعَةٌ لِجُمَلِ مُعَامَلَةِ الْعَبْدِ مَعَ الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ، فَإِنْ رَأَيْتَهَا مُنَاسِبَةً لِنَفْسِكَ وَرَأَيْتَ قَلْبَكَ مَائِلاً إِلَيْهَا رَاغِباً فِي الْعَمَلِ بِهَا.

فَاعْلَمْ: أَنَّكَ عَبْدٌ نَوَّرَ اللهُ (تَعَالَى)[6] (بِالإِيمَانِ قَلْبَكَ)[7] وَشَرَحَ بِهِ صَدْرَكَ، وَتَحَقَّقْ أَنَّ لِهَذِهِ الْبِدَايَةِ نِهَايَةً، وَوَرَاءَهَا أَسْرَاراً وَأَغْوَاراً وَعُلُوماً وَمُكَاشَفَاتٍ[8] ، وَقَدْ أَوْدَعْنَاهَا فِي كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ، فَاشْتَغِلْ بِتَحْصِيلِهِ.

---

(١) – في نسخة: (ظلم).

(٢) – في نسخة: (رضاهم قط).

(٣) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٤) – ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٥) – في نسخة: (وهذا).

(وَإِنْ)[1] رَأَيْتَ نَفْسَكَ (تَسْتَثْقِلُ)[2] الْعَمَلَ بِهَذِهِ الْوَظَائِفِ، وَتَتْرُكَ هَذَا الْفَنَّ مِنَ الْعِلْمِ، وَتَقُوْلَ لَكَ نَفْسُكَ: أَنَّى يَنْفَعُكَ هَذَا الْفَنُّ فِي مَحَافِلِ الْعُلَمَاءِ؟ وَمَتَى يُقَدِّمُكَ هَذَا عَلَى الأَقْرَانِ وَالنُّظَرَاءِ؟ وَكَيْفَ يُرْفَعُ مَنْصِبُكَ فِي مَجَالِسِ الأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ، (وَكَيْفَ يُوْصِلُكَ)[3] إِلَى الصِّلَةِ وَالأَرْزَاقِ وَوِلاَيَةِ الأَوْقَافِ وَالْقَضَاءِ؟.

فَاعْلَمْ: أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَغْوَاكَ وَأَنْسَاكَ مُتَقَلَّبَكَ وَمَثْوَاكَ، فَاطْلُبْ لَكَ شَيْطَاناً مِثْلَكَ! لِيُعَلِّمَكَ مَا تَظُنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُكَ وَيُوْصِلُكَ إِلَى بُغْيَتِكَ.

ثُمَّ اعْلَمْ: أَنَّهُ قَطُّ لاَ يَصْفُوْ لَكَ الْمُلْكُ فِي مَحِلَّتِكَ فَضْلاً عَنْ قَرْيَتِكَ وَبَلَدِكَ، ثُمَّ يَفُوْتُكَ الْمُلْكُ الْمُقِيْمُ وَالنَّعِيْمُ الدَّائِمُ فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.

وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ أَوَّلاً وَآخِراً، وَظَاهِراً وَبَاطِناً، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللهِ وَعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيْقِهِ.

---

(٦) - ما بين: ( ) زيادة من نسخة.

(٧) - في نسخة: (قلبك بالإيمان).

(٨) - وهي غاية العلوم: وهي عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في حكم خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا. (مراقي العبودية ص٩١).

(١) - في نسخة: (فإذا).

(٢) - في نسخة: (تستقل).

(٣) - في نسخة: (ليوصلك).

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث والآثار

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الكتاب

تم بحمد الله وتوفيقه